الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية

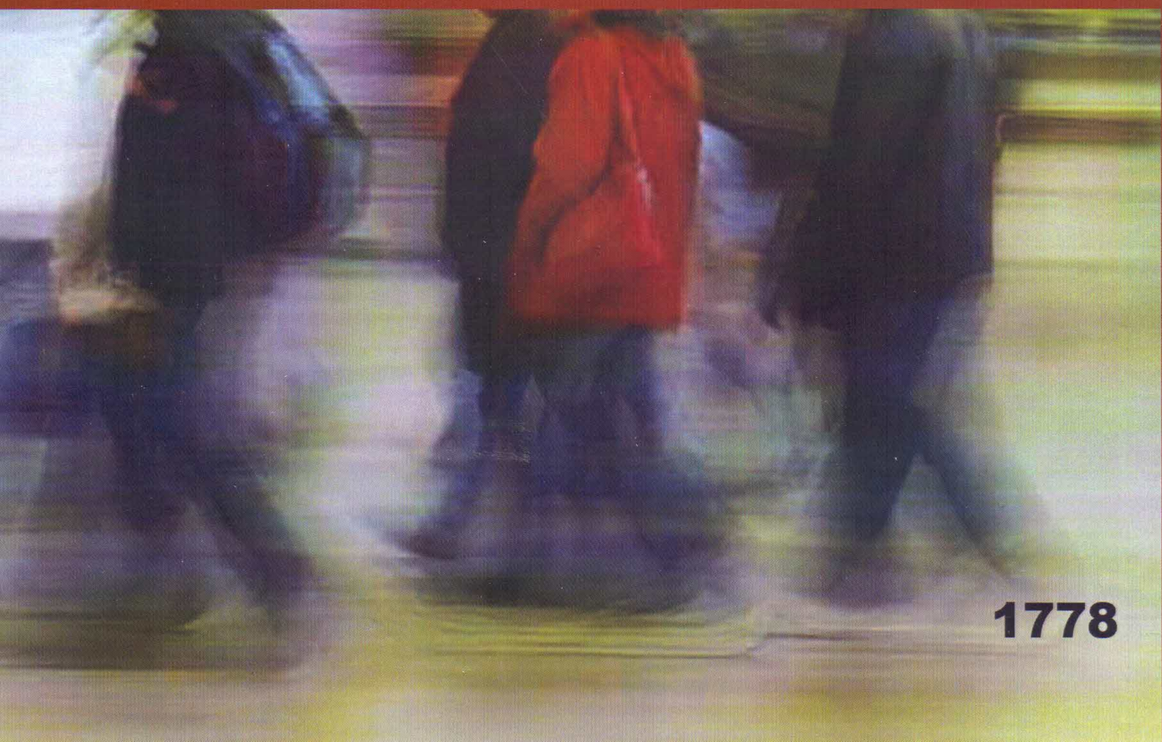
الجزء الثالث

علماء النفس

تحرير: ديڤيد إل . سيلز

ترجمة: مجموعة من الباحثين

مراجعة وتقديم: أحمد أبوزيد



1778

المركز القومي للترجمة

من العبارات الكاشفة ذات الدلالة العميقة أن علم النفس له ماضٍ طويل ، ولكن تاريخه قصير، فالتساؤلات التي يثيرها علماءً النفس الحاليون سبق أن أثيرت بطريقة أو بأخرى خلال قرون طويلة مضت على أيدي الفلاسفة والمفكرين منذ التفكير الفلسفي اليوناني ، بل في التفكير الشرقي القديم الذي لم يلق الكثير من العناية والاهتمام.

تصميم الغلاف : هند سمير

الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية

(الجزء الثالث)

علماء النفس

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 1778
- الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (ج٣) علماء النفس
- ديفيد إل. سيلز
- نخبة
- أحمد أبو زيد
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة كتاب:
International Encyclopedia
of the Social Sciences
Edited by David L. Sills

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية

(الجزء الثالث)

علماء النفس

تحرير : ديڤيد إل. سيلز

ترجمة

أحمد أبوزيد — فاروق أحمد مصطفى

أحمد عبد الخالق — مايسة النيال

سعيد فرح — ناهد صالح

سلوى العامرى — هدى مجاهد

مراجعة وتقديم : أحمد أبو زيد

2015

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الموســوعة الدولية للعلوم الاجتمــاعية / تحـرير: ديڤيد إل.
سيلز ؛ ترجمة / أحمد أبو زيد وآخرون) ؛ مراجعة وتقديم : أحمد
أبوزيد - مج ٣ - ١٧٨٦٠
ط ١ - القاهرة ، المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٥
ص ٣٨٠ ٢٤ سم
١ - الاجتماع - علم - دوائر المعارف .
(أ) إل. سيلز ، ديڤيد إل (محرر)
(ب) أبو زيد ، أحمد (مترجم مشارك ومراجع)
(جـ) العنوان : ٣٠٠,٣

رقم الإيداع : ٥٤٥٧ / ٢٠١١

الترقيم الدولى 978-977-704-526-1

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

تقديم

من العبارات الكاشفة ذات الدلالة العميقة أن "علم النفس له ماض طويل ولكن تاريخه قصير" . فالتساؤلات التى يثيرها علماء النفس الحاليون سبق أن أثيرت بطريقة أو بأخرى خلال قرون طويلة مضت، على أيدى الفلاسفة والمفكرين منذ التفكير الفلسفى اليونانى، بل فى التفكير الشرقى القديم الذى لم يلق الكثير من العناية والاهتمام، على الرغم من عمقه وتشعبه، ما لقى الفكر اليونانى، ولكن هذا لا يمنع من ملاحظة استمرار العلاقة بين علم النفس والفلسفة؛ لذا ليس من المستغرب أن نجد مفكراً مثل أوجيست ڤونت فى كتابه الأساس: دروس فى الفلسفة الوضعية ***Cours de philos phie Positive*** ويخرج علم النفس من مجال العلوم، ولا يعتبره واحداً من العلوم التى تتدرج – فى رأيه – من البساطة المتمثلة فى الرياضيات إلى التعقيد المتمثل فى علم الاجتماع. وينتقل ذلك الموقف وتلك النظرة إلى علم الاجتماع الفرنسى والمدرسة الدوركايمية، ومنها إلى الأنثروبولوچيا الاجتماعية، مع استثناءات قليلة لدى عدد محدود من الأنثروبولوچيين الأوائل، كذلك ليس من المستغرب أنه فى فرنسا لم تكن هناك شهادة جامعية مستقلة فى علم النفس حتى عام ١٩٤٧، وهذا ما كان عليه الوضع فى الجامعات المصرية، حيث كان علم النفس يدرّس ضمن مقررات أقسام الفلسفة، ولم ينشأ قسم مستقل لعلم النفس فى جامعة الإسكندرية مثلا إلا عام ١٩٧٤، حين اقتضت متطلبات التطوير إنشاء أربعة أقسام مستقلة للفلسفة والاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوچيا .

وقد تختلف الكتابات حول تحديد تاريخ نشأة علم النفس علماً مستقلا ومتمايزاً، ولكن معظمها يرجع ذلك إلى عام ١٨٧٤، نتيجة لدعاوى وجهود عالم الفسيولوچيا

الألمانى ڤيلهلم ڤونت *Wilhelm Wundt*، خصوصًا بعد إنشائه لأول معمل أو مختبر لعلم النفس فى جامعة لايبتزج عام ١٨٧٩، لإجراء تجارب سيكولوچية، لكن من الصعب بل من التعسف رد نشأة ذلك العلم إلى شخص واحد فى مكان واحد وتاريخ محدد، لذا يكفى أن يقال هنا إن علم النفس أصبح تخصصًا متميزًا ومستقلا ومعترفًا به منذ أوائل القرن العشرين فى أمريكا وأوروبا مع بعض الاختلافات فى الرأى. ولكن مهما يكن من أمر تلك الاختلافات، فالواضح أن ألمانيا كانت هى الموطن الحقيقى لنشأة ذلك التخصص بصفته علمًا، أو - كما يقال - نشأة "علم نفس علمى *A Scientific Psychology*" وظهر ذلك بشكل واضح فى كتابات ڤونت وإنشائه للمعمل . وقد اتسع نطاق علم النفس فى ألمانيا وتشعبت جهود العلماء وامتدت إلى دراسة ظواهر وجوانب عديدة فى حياة البشر، بحيث ظهر ما يعرف باسم "علم نفس الشعوب *Volkerpsychologie*" يعتمد على مداخل إثنولوجية ولغوية وتاريخية، وارتبط ذلك أيضا باسم ڤونت ، وأدى ذلك إلى أن بعض العلماء يعتبرون علم النفس "قلب" ومركزها علوم الحياة، وأن مشكلاته ومناهجه ونظرياته لها علاقة بالإنسانيات والعلوم الطبيعية والاجتماعية على السواء ، ولا تزال كثير من المشكلات التى يتناولها مشكلات مشتركة مع كثير من العلوم الاجتماعية والطبيعية والبيولوچية .

وليس ثمة شك فى أن اتجاه ڤونت يعتبر مسئولاً إلى حد كبير عن ابتعاد علم النفس عن الفلسفة، وتحوله إلى المناهج العلمية المستخدمة فى العلوم الطبيعية التى تعتمد على التجريب . وقد ظهر هذا الاتجاه منذ أول عمل رئيسى لڤونت فى ذلك المجال، ونعنى به كتابه عن "مبادئ علم النفس الفسيولوچى" الذى ظهر عام ١٨٤٧، وقد أفلح هذا الاتجاه العلمى التجريبى الجديد فى جذب أعداد كبيرة من الطلاب فى جامعة لايبتزج، حيث يقال إن مجموع من حضروا محاضرات ڤونت وصل إلى ما يزيد على سبعة عشر ألف طالب، فضلاً عن مئات الباحثين من طلبة الدراسات العليا . ولقد تراجع تأثير ڤونت بمرور الزمن، وبسبب التطورات التى طرأت على المناهج، وأساليب البحث، وتعدد المشكلات وتنوعها التى خضعت للدراسة والفحص والتحليل السيكولوچى .

ولقد حمل أتباع ڤونت إلى الولايات المتحدة علم النفس التجريبى، وإن كانوا قد استخدموا بطبيعة الحال أفكاراً ومفاهيم مختلفة، وصادف ذلك الاتجاه قبولاً واسعًا وازدهارًا نتيجة للأوضاع المختلفة المميزة للولايات المتحدة، سواء من حيث الاتساع والامتداد المكانى أو انتشار وتعدد الجامعات، وهو ما يفسر ارتفاع عدد علماء النفس فى أمريكا ، أو تعقد التركيب السكانى؛ مما أدى إلى تعدد المشكلات وتنوعها ومداخل البحث وأساليب التحليل بشكل لا يتوفر فى ألمانيا أو فى أية دولة أوربية أخرى. وقد أدى ذلك إلى تشعب مجال علم النفس وظهور ما يبدو أنه فروع مستقلة ومتمايزة، وهناك من ينظر إلى ذلك التشعب بشىء من التخوف على أساس أنه قد يؤدى إلى ضياع وحدة العلم كما حدث لعلم الاجتماع، بحيث نجد الآن من العلماء والمفكرين من ينكر وجود علم اجتماع موحد، وإنما هناك (علوم) اجتماعية عديدة لها كياناتها الخاصة المتميزة ونظرياتها ومناهجها، بل علماؤها المتخصصون الذين ينسبون أنفسهم إلى تخصصهم الضيق وليس إلى علم الاجتماع ككل، على الرغم من وجود أرضية عريضة مشتركة بينهم جميعًا. ويبدو أن هذا الاتجاه بدأ يظهر بقوة فى مجال علم النفس لدرجة أن الكثيرين لم يعودوا يقنعون بوصف أنفسهم بأنهم علماء نفس فحسب، وإنما علماء نفس سياسى أو اقتصادى أو معرفى أو اجتماعى ، وهكذا .

فعلى الرغم مما يبدو من وحدة العلم كتخصص، فإنه أصبح يضم تنوعًا كبيراً من المجالات والنظريات والمناهج والمداخل، كما أنه يشترك مع علوم أخرى فى الخلفية التاريخية والأصول المشتركة، كما ظهرت فيه عدة مدارس لها نظراتها ومنظوراتها ونظرياتها ومقارباتها المتنوعة، بل لغاتها الخاصة فى التحليل وعرض النتائج . ويحتل علم النفس الاجتماعى مكانًا فريداً وسط هذا التنوع، إذ يجمع بين مفاهيم علم النفس وعلم الاجتماع، وعدد كبير من العلماء الذين تظهر أسماؤهم فى هذا المجلد بصفتهم علماء نفس اجتماعى شاركوا منذ البداية فى تأسيسه أو عملوا على تطويره.

وليس هنا على أية حال مجال تتبع تطور علم النفس منذ بداياته الأولى على يد ڤونت، ولكن المهم هو أنه منذ الستينيات حدثت تغيرات هائلة فى علم النفس المعاصر، وظهرت مدارس وأفكار ومنظورات ومجالات جديدة تسجلها الموسوعة وتكشف عنها المقالات التى يضمها المجلد الحالى . وقد تطرقت البحوث السيكولوچية إلى كثير من مظاهر التجربة الإنسانية، ابتداءً من التأثيرات البيولوچية على السلوك إلى العوامل الاجتماعية والثقافية، بحيث نجد الآن أن معظم علماء النفس المعاصرين لا يحددون أنفسهم بمدرسة فكرية واحدة، بل كثيرًا ما يركزون على منطقة بحثية أو على منظور محدد وينظرون إليه من عدة جوانب، وقد أسهمت هذه النظرة متعددة الأبعاد والمداخل فى ظهور أفكار ونظريات جديدة تعيد تشكيل علم النفس لسنوات طويلة مقبلة .

يتمثل ذلك أولاً وبشكل واضح فى تعدد وتشعب المجالات والموضوعات والمداخل والمدارس التى تبدو كما لو كانت متنافسة ومتصارعة، كما هو الشأن بالنسبة إلى الاختلافات بين السلوكية والجشتالتية والمعرفية والتحليل النفسى وما يطلق عليه الآن فى بعض الكتابات اسم علم النفس الإنسانى. وكل مدرسة من هذه المدارس تضم عددًا من الاتجاهات، مما يشير إلى النمو المفرط والمبالغ فيه - كما يرى البعض - لذلك العلم، وهو ما يثير - كما ذكرنا - المخاوف حول إمكان فقدانه لوحدة الموضوع والهدف، فعلم النفس الحديث يدرس موضوعات تبدو أحيانًا متعارضة ومتضاربة، وتنتمى إلى مجالات متباعدة أشد التباعد، مثل الأساس البيولوچى للسلوك ومشكلات الإدراك الحسى والإرادة والذاكرة والدوافع واللغة والتعلم والتفاعل الاجتماعى والشخصية والتوتر وغير ذلك كثير ، وكل موضوع من هذه الموضوعات تندرج تحته مشكلات فرعية عديدة . ولكن ذلك التنوع يعتبر فى رأى البعض الآخر علامة صحية ومؤشرًا على قدرة العلم على التكيف مع غيره من العلوم والتخصصات، وأن فى الإمكان تطبيقه فى مختلف المواقف والأوضاع، وأنه إذا كان يفتقر إلى نظرية موحّدة، فإن ذلك لا يتعارض مع التحولات الجديدة التى تجعل منه علمًا تجريبيًا إحصائيًا، بل

إن هذا قد يعتبر فى حد ذاته اتجاهًا مقبولاً له دلالته على الدقة والموضوعية، وإضفاء الطابع العلمى الدقيق على البحوث والدراسات . فالقدرات الذهنية والأخلاقية أصبحت تعالج كما لو كانت وظائف فيزيقية، لذا نجد تعارضًا بين الاتجاهات المنهجية باعتبار علم النفس يدخل ضمن العلوم الطبيعية، بحيث يهتم فقط بالتفسير وبالتنبؤ والتحكم فى السلوك ، وبين النظر إليه من منظور إنسانى بحت يهتم بعمليات التفكير والفهم والإحساس والإرادة وما إلى ذلك .

وهناك بعض المراجعات حول مستقبل علم النفس إزاء التفرعات الكثيرة، وأيضا إزاء الفكرة الأصلية عن مكانة النفس *psyche* من العلم ذاته، وتعقد ذلك المفهوم وقصور علم النفس عن اكتشاف الكثير من أبعاده، وإثارة هذا الموضوع تستدعى التفكير فى إمكان إحياء الارتباط القديم التقليدى بين علم النفس والفلسفة، أو على الأقل تدخل الفلسفة فى تشكيل الأسئلة التى يمكن إطلاقها عن العقل، خصوصًا أن تطورات علم النفس سوف تؤدى إلى ارتياد ظواهر تتعدى قدراته الحالية على فهمها. وعلى الرغم من وجاهة التساؤل فإن الكثيرين يرون أن الاتجاه التجريبى السائد الآن يقطع الطريق أمام إمكانية مثل هذه العودة، وفى الوقت ذاته فإن هذا الاتجاه التجريبى سوف يجعل من علم النفس فى آخر الأمر (مهنة) ، فأكثر فروع علم النفس ازدهاراً وجذبًا للطلاب والباحثين هو علم النفس العيادى والتنظيمى والصناعى . ولكن هذا لم يمنع الكثيرين من التساؤل: هل هذه التطورات الجديدة ستؤدى إلى مزيد من ازدهار وتقدم علم النفس مثلما يحدث الآن فى البيولوجيا والكيمياء والفيزياء، أم إنه سيتم اندماجه مع فروع العلوم الأخرى بحيث يفقد استقلاله وتميزه ، وهكذا ؟

هناك إجابات كثيرة هى مجرد انطباعات أو تنبؤات تستند إلى ما يحدث الآن من تشعبات أشبه بالانقسامات فى المجال السيكولوچى العام، ويبدو أن غالبية العلماء يميلون إلى الاعتقاد بأن العلم سوف يواصل تفرعه وتشعبه وانقسامه إلى مجالات مختلفة ومتباينة ليس بينها رابط مباشر، وإن كانت ستنفتح فى الأغلب على مجالات

العلوم الأخرى . وكثير من أقسام علم النفس فى الجامعات الآن تستمد وجودها من أسس وتنظيمات إدارية وليس من اهتمامات مشتركة بين أعضائها، وليس ببعيد أن يأتى اليوم الذى نجد فيه أقسامًا متمايزة لعلم النفس الاجتماعى أو التطورى أو علم النفس التجريبى، مستقلة أحدها عن الآخر تماما علميًا وإداريًا، وإن كان ذلك قد يتمخض عن ظهور اتجاهات بينية تقوم على الجمع بين أفكار ومناهج العلوم الاجتماعية والإنسانيات، مما يساعد على مسايرة التطورات فى عالم المعرفة .

وعلى أية حال ، فالملاحظ هو ازدياد الإقبال على أقسام علم النفس وعلى الدراسات السيكولوجية وزيادة الميل إلى التشعب وظهور فروع جديدة، والمثال الواضح هنا هو ما يحدث فى تكوين الرابطة الأمريكية لعلم النفس *American Psychological Association* *(A.P.A)* التى تضم الآن أكثر من مائة وخمسين ألف عضو وتنقسم إلى خمسين قسمًا أو شعبة تحمل أسماء مختلفة مثل علم النفس التجريبى وعلم نفس السلام وعلم النفس العيادى وغيرها ، بل إن هناك من يرى أن ذلك التشعب أو الانقسام سوف يزداد نتيجة لزيادة ارتباط العلم بأحداث الحياة وتغيرات العصر، بحيث تظهر فروع جديدة عن التلوث البيئى أو استنزاف مصادر الطاقة أو التدهور الحضرى أو الصراعات الدولية، مع الاهتمام فى الوقت ذاته بإيجاد حلول لتلك المشكلات، وبذلك يزداد الارتباط بين الاتجاهات العلمية والإنسانية، مما يعنى فى آخر الأمر أن علم النفس سوف يزداد حيوية وارتباطًا بحياة البشر بغير توقف .

والله ولى التوفيق

أحمد أبو زيد

يوليو ٢٠١٠

علماء النفس

آش سولومون إى

ASCH, Solomon E.

ولد سولومون إى. آش فى وارسو ببولندا عام ١٩٠٧، وجاء إلى الولايات المتحدة مع عائلته وعمره ثلاثة عشر عامًا، واستقر فى المنطقة الغربية المتخلفة من نيويورك ، ولكنه التحق بعد ذلك بقليل بإحدى مدارس الصفوة، وهى مدرسة تاونسند هاريس Townsend Harris وهى مدرسة إعدادية تؤهل تلاميذها للالتحاق بكلية سيتى City College (سيتى كوليدج) فى نيويورك، حيث أنهى دراسته الجامعية بحصوله على البكالوريوس عام ١٩٢٨ . وكانت المدة التى أمضاها فى الكلية فترة بحث، حيث تراوحت دراساته من العلم الطبيعى إلى الأدب، وخلال السنوات الأربع التالية كان متفرغًا لدراساته العليا فى قسم علم النفس بجامعة كولومبيا حيث حصل على الدكتوراه عام ١٩٣٢ .

ومع أن آش كان متجهًا نحو علم النفس نتيجة شعوره بالحاجة إلى تخصص يساعد على حل المشكلات الإنسانية الاجتماعية، فإنه كان يعتبر نفسه أثناء دراساته العليا باحثًا فى علم النفس التجريبى العام، وقد تتلمذ على أيدى روبرت إس. وودورث Robert S. Woodworth وأساتذة آخرين ، ولقى كل التشجيع من علماء النفس الاجتماعى الشبان فى القسم مثل جاردنر ميرفى Gardner Murphy وأوتو كلاينبرج Otto Klineberg لكنه لم يعمل معهما بشكل مباشر . وكانت رسالته للدكتوراه تحليلاً لإحدى مشكلات التعلم .

وقد بدأ آش حياته الأكاديمية العملية كموجه فى كلية بروكلين، وهى وحدة أنشئت حديثًا حسب النظام الحر فى التعليم العالى فى نيويورك ثم أصبحت فيما بعد جامعة مدينة نيويورك . وأثناء تلك الفترة المبكرة تعرّض لتجربتين أسهمتا فى تحوّل اهتماماته نحو علم النفس الاجتماعى . التجربة الأولى كانت حصوله على منحة زمالة صيفية رتّبها له جاردنر ولويز إى. ميرفى Lois E. Murphy عن طريق عالمى

الأنثروبولوچيا فرانز بواس Franz Boas وروث بنديكت. Ruth Benedict وقد ساعدته تلك المنحة على قضاء صيف عام ١٩٢٦ هو وزوجته في إجراء ملاحظات عن ممارسات تربية الأطفال عند هنود الهوبي Hopi Indians وهم إحدى قبائل البويبلو Pueblo في أمريكا، وكان الهدف من تلك الدراسة هو اختبار بعض الفروض المستمدة من بحوث بنديكت بين جماعات الزوني التي لها علاقة بالهوبي ، ولكن ذلك الصيف لم يسفر عن نتائج قاطعة ، فقد كانت الفترة أقصر وحواجز اللغة أقوى من أن يتغلب عليهما، ولكنها ساعدت على توسيع منظوراته . والتجربة الثانية كانت مشاركته اثنين من زملائه في كلية بروكلين وهما: ماكس هرتزمان Max Hertzman وهيلين بلوك لويس Helen Block Lewis في دراسات حول تنميط ظاهرة التأثر في إطلاق الأحكام الاجتماعية بالمشاعر الشخصية وليس بالاعتبارات الموضوعية . وفي الوقت ذاته تقريبًا بدأ آش دراسة حول توجه الإدراك الحسّي ORIENTATION والمكان، وهي دراسة ترتكز على ملاحظات ماكس ڤرتايمر Max Wer-teimer عن الاختلافات الفردية في ظاهرة الخداع البصري Phi phe-nomenon . وقد تطورت هذه الدراسة بعد ذلك إلى عمل عن الشخصية في علاقتها بالاعتماد والتبعية، وقد أجراها مع هرمان ويتكين Herman Witkin.

ولقد أدى تأثير فرتايمر على آش أثناء سنواته الأولى في كلية بروكلين إلى تغيير حياته الفكرية تمامًا، وكان ڤرتايمر قد هرب من النازية إلى نيويورك للتدريس بجامعة المنفى، وهي المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي، وخلال السنوات العشر التي ارتبط فيها بڤرتايمر استوعبته تمامًا تعاليم الجشتالت. وحين توفي ڤرتايمر عام ١٩٤٤ خلفه في المدرسة الجديدة ولكنه غادر بعد ثلاث سنوات إلى كلية سوارتمور حيث انضم إلى دبليو . سي . إتش . برنتيس W.C.H. Prentice وڤولفجانج كوهلر Wolfgang Kohler وغيرهما في قسم يتميز بتوجهات جشتالتية . وقد استمر يعمل في سوارتمور لمدة عشر سنوات، وهي فترة مثمرة شهدت نشر كتابه التعليمي

الواسع الانتشار عن علم النفس الاجتماعي Social Psychology الذي صدر عام ١٩٥٢، ودراساته عن التوافق Conformity (أعوام ١٩٥١ و ١٩٥٥ و ١٩٥٦) وأخيراً الشروع في أبحاثه عن الترابط (Asch & Prentice 1958).

في عام ١٩٦٦، ترك آش سوارتمور ليصبح مديراً لمعهد الدراسات المعرفية Institute for Cognitive Studies الذي أنشئ حديثاً في جامعة رتجرز Rutgers، وهناك انضم إلى مجموعة من السيكولوجيين الذين سبق له العمل معهم حول مشكلات الذاكرة والتداعي والمعرفة . وكانت تلك المجموعة تضم إروين روكIrwin Rock وجون سيراسو John Ceraso ودوروثي دينارشتاين Dorothy Dinerstein وهاوارد جروبر Howard Gruber. وفي عام ١٩٧٢ انتقل إلى جامعة بنسلفانيا أستاذاً لعلم النفس .

وتضم رموز التشريف والتكريم التي نالها زمالتين في جوجنهايم Guggenheim ودعوتين للإقامة في معهد الدراسة المتقدمة في برنستون وجائزة نيكولاس مراي بطلرNicolas Murray Butler من جامعة كولومبيا وعضوية الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، وجائزة الإسهام العلمي المتميز من الرابطة الأمريكية لعلم النفس .

التوجه الأساسي :

الموضوع الرئيسي والأساسي في أعمال آش- والذي استمر على الرغم من تغير خصائص الموضوعات الجزئية - كان دائماً يدور حول اختبار ونقد الدعاوى المسلم بها من الكثيرين عن طبيعة الإنسان، وكان أهم تأثير خضع له في ذلك هو تأثير فرتايمر، وذلك على الرغم من أن الصياغات التي وضعها كوهلر عن مبادئ الجشتالت كانت عنصراً مهماً في توجيهه ، بينما لم يكن لتصور كورت كوفكا Kurt Koffka عن ملامح الذاكرة وتطورها سوى تأثير ثانوي . وعلى العكس من أستاذه كان آش يميل إلى ستخدام المادة المصوّرة التي تكشف خصائصها الواضحة بجلاء عن قوانين الجشتالت. وقد أجرى عدداً من التجارب الدقيقة التي تم التخطيط لها بعناية وجمع بشكل أو

بأخر بين عـادات التفكير السائدة فى التـقليـد الجـشـتـالتى وبين المدخل التجريبى لدى علماء النفس الأمريكيين الذين ينتمون إلى جيله، ولكنه لم يتجاوز الأساليب المعروفة فى الثلاثينيات حول الرســـوم والأشكال ذات الأبعـــاد المتغيـرة multivariate التى كانت تميز الستينيات والسبعينيات فى مـعظم مـجـالات الدراسـة التـجـريبـيـة فى سيكولوچيا الشخصـيـة وعلم النفس الاجتماعى، ويتألف عمل آش من مجموعة مترابطة من الدراسات التى تكشف كل منها تأثيرًا متغيرًا واحدًا مستقلاً على متغير واحد، أيضا تابع dependent بشكل واضح وخلال حياته العملية أفلح فى إنجاز إسهامات فى أربعة مجالات هى إيحاءات الهيبة Prestige Suggestions وتكوين الانطبـاع Im- pression Formation والتوافق Conformity والتداعى أو الترابط Association .

إيحاء الهيبة :

هناك نظرة تقليـــدية ترى أن المصادر التى تحظى بمكانة عالية تؤثر بطريقة آلية على الاتجاهات والمعتقدات. وعلى ذلك فإن أى حكم أو قول يمجد من شـأن الثورات مـثـلاً يعـتـبـره الأمـريكيون حكمًا إيجابيًا إذا كان المقصـود به هو توماس چيفرسـون، ويعتبرونه حكمًا سلبيًا إذا ارتبط باسم لينين . وقـــد برهن آش على أن الاستجابة لم تكن تغييرًا لاعقلانيًا فى القيمة التى يحملها ذلك الحكم، ولكنها كانت مجرد إعادة تركيب لمعنى ذلك الحكم . وبالمناسبة فإنه أثناء مناقشة جرت حول النتائج الإيجابية لإحدى التجارب التى قام بها مظفر شريف Muzafer Sherif عن تأثيرات الهيبة شـرح آش نتائج أبحاثه فى حدود وألفاظ مكانة البـاحث - وهذه نظرة تقوم على أساس خصائص ومقومات "الحاجة" حتى لا تصبح وجهة نظر مشتركة وعامة لمدة عقدين آخرين .

تكوين الانطباع :

حين يلتقى شخصان فإن كلا منهما يقوم بتكوين انطباع عن خُلُق وشخصية الآخر. وقد كانت التحليلات

التقليدية للملامح والخصائص تتطلب أن تكون هذه الانطباعات مشتقة من مجموع الملامح التى أمكن إدراكها حسيا (الشخصية = أ + ب + ج + د ....إلى آخره) بحيث تشيرهذه الحروف إلى تلك الملامح على التوالى . ولكن آش رفض هذا التصور وذهب إلى أن الانطباع هو نتاج المجموع الكلى الناجم عن تفاعل المدركات الحسية لتلك الملامح والذى يتأثر فيه كل ملمح بالسياق الذى يوجد أو يكمن فيه . وقد دلّل على هذا الرأى بالتجربة المعروفة التى يعطى فيها المبحوثون قائمة تحتوى على عدد من الملامح ويطلب منهم وصف الشخص الذى تنطبق عليه تلك الملامح، وقد أدت القوائم المتماثلة التى تختلف فقط فى إدخال الخاصية "ودود" أو الخاصية "فاتر" إلى انطباعات مختلفة تمامًا . ويبدو أن التغير من "ودود" إلى "فاتر"كان قادرًا على قلب الانطباع الذى يرتكز على عدد كبير من المكونات، إلا أن إدخال ملمح أو خاصية مثل "مهذب" و"فظ" لم يكن له مثل ذلك التأثير الكاسح . ولكن حين أضيفت خاصية "ودود" و"فاتر"إلى القوائم غير المناسبة؛ فإن تفسير هاتين اللفظتين تأثر هو نفسه بالسياق . ومن الطريف للغاية أن المبحوثين الذين أعطوا مجموعة من الملامح فيها عنصر غير متسق (مثل: متعاون ولّماح وماهر، فى مقابل: متعاون ولّماح ومتبلد) كانوا قادرين على وصف التغيير فى معنى كلمة "لّماح" من مجموعة لأخرى .

وقد تابع آش العمل لكى يدلل على وجود استخدامات تشبيهية للخصائص التى تحدد الملامح مثل "sweet" فى كثير من اللغات التى تنتمى إلى عائلات لغوية أو ثقافات مختلفة، وتتبع تطور كل استخدام من تلك الاستخدامات التشبيهية لدى الأطفال من سن الثالثة حتى مرحلة البلوغ . وفى الدراسة الأخيرة تبين وجود شيء مثل " التتابع" الذى قال به بياچيه، وبأن الأطفال يستخدمون تلك الكلمة لتحديد الخصائص الشخصية للآخرين فى سن الثالثة حتى السادسة، ولكنهم لم يكونوا قادرين حتى سن متأخرة على أن يحددوا لغويًا طبيعة العلاقة بين الخصائص الفيزيقية والسيكولوچية التى تتضمنها نفس الكلمة أو اللفظ .

وربما أمكن أن تتزامن هذه القدرة مع حدوث عمليات صورية بالمعنى الذى يستخدم بياچيه به هذه الكلمة . وقد يكرر الباحثون الذين جاءوا بعد ذلك والذين درسوا بعض خصائص الملامح؛ المحتمل أن تكون أساسية ومحورية (Hays 1958) تأثير "الودود - الفاتر" الذى قال به آش، ولكنهم أطلقوا أحكامًا ترتكز على الاتصال بأشخاص حقيقيين بدلاً من قوائم الملامح (Kelley 1950).

التوافق :

مما يدعو إلى السخرية أن ترد معظم شهرة آش إلى الاعتقاد بأنه هو مخترع التجربة التى يتعرض فيها الشخص المبحوث - سيئ الحظ - إلى أحكام يصعب البرهنة عليها وتكون صادرة من محكمين يفترض فيهم أنهم زملاء للمبحوث . وقد دفعه للقيام بهذه التجربة أنه كان يعتقد أن التوافق ليس مجرد رد فعل آلى تعسفى arbitrary، ولا يمكن تجنبه أمام سطوة الضغط الاجتماعى، فقد كان على ثقة تامة من أنه حتى تحت أشد الضغوط وطأة يمكن لبعض الناس أن يحتفظوا باستقلاليتهم ، وكان يثير دهشته واستغرابه مدى خضوع الكثيرين للضغوط الاجتماعية ، إلا أنه كان يشعر بأنه حتى الأشخاص الذين يتوافقون بسهولة كانوا يراجعون أفكارهم عن المؤثرات التى حكموا عليها وعن الموقف الاجتماعى .

وفى أشهر أعماله، وهى الدراسة التى طلب فيها من عدد من طلاب الجامعة أن يحكموا على طول بعض الخطوط وواجهوا فيها ثمانية من زملائهم الذين اختيروا كمحكمين والذين أصدروا - وفق توجيهات معينة - أحكامًا كان من الواضح أنها خاطئة؛ وجد آش أنه على الرغم من الضغوط لفرض التوافق فإن ٦٨ بالمائة من الأحكام كانت صحيحة ومخالفة لغالبية الأحكام الصادرة من المحكمين الذين خضعوا للتوجيه . وقد اختلفت تقديرات المبحوثين اختلافًا شديدًا إذ إن حوالى ربع المبحوثين لم يستسلموا قط لحكم الغالبية، بينما استسلم الثلث على طول الخط . ولكن فى المقابلات التى أجريت بعد التجارب تبين أن بعض المستقلين

فى الرأى من المبحوثين كانوا على ثقة تامة من أحكامهم بينما كان الشك يخامر البعض الآخر. وقد برر بعض المستسلمين سلوكهم بأنهم كانوا يفترضون وجود خديعة أو وهم خضعت له الأغلبية بينما أصر البعض منهم على التوافق ، لخشيتهم من الآثار التى قد تترتب على عدم التوافق، على الرغم من أنهم لم يكن لديهم شك حول أحكامهم الخفية التى لم يفصحوا عنها .. ومن خلال تلك التقارير عن ردود الفعل الداخلية استطاع أش أن يصف التغيرات المعرفية والانفعالية الخاصة بالتوافق أو الاستقلال . ولكن لا الدراسات الخاصة بالتوافق التى سبقت آش ولا البحوث القياسية التى أجريت وفق نموذجه المثالى كانت تشاركه اهتمامه بتصورات المبحوثين للموقف . وصحيح أن بعض علماء النفس الاجتماعى عادوا بعد عقد من الزمن إلى تلك التحليلات إلا أن بذور الأفكار التى وجدت فى أعمال هربرت سى . كلمان Herbert C, Kelman وريتشارد إس . كرتشفيلد Richard S. Crutcfield أو أعمال مورتون دويتش Morton Deutch وهارولد بى . چيرارد Harold B. Gerard كانت واردة بوضوح أو متضمنة فى مناقشات آش الأصلية . والواقع أن التطورات النظرية فى علم النفس الاجتماعى فى الستينيات والسبعينيات فى أعمال كلى Kelley وآخرين (Kelley 1971) حول الخصائص المميزة أو أعمال والستر Walster وزملائها عن العدالة والإنصاف (Berkowit Walster 1976) كانت تشارك أعمال آش فى التوكيد على العمليات المعرفية وعلى إعادة التشكيل الداخلى للأفكار .

الرابطة أو الترابط :

النظرة التقليدية للرابطة أو الترابط هى العلاقة الآلية بين العناصر والوحدات الموجودة جنبًا إلى جنب . ويميل الباحثون فى مجال التعلم اللفظى verbal إلى اعتبار هذه العناصر وحدات فى المؤثر والاستجابة . وقد امتد هذا النموذج خلال الخمسينيات عن طريق مفهوم الاستجابة التوسطية mediating responses التى توفر استجابات مركزية غير خاضعة

للملاحظة كجزء من السلسلة التى تربط المدخل input بالسلوك.

ولقد كان علماء النفس الجشتالتيون يرفضون دائمًا هذا النموذج. ولكن نظرية الجشتالت - حسب صياغة آش - تنظر إلى مشكلة الترابط على أنها جزء من المشكلة العامة للبناء . فالترابط عملية أساسية بمقتضاها تندمج الوحدات فى الكل البنائى، إذ لا يمكن أن نرى الترابط على أنه مجرد نتيجة بسيطة وإضافية لربط وحدات مفردة ومتمايزة بعضها عن بعض، فالتعلم هو إعادة تشكيل الاستجابات وليس اكتسابها أو الحصول عليها . وقد أمضى آش عدة سنوات فى إجراء تجارب متميزة لاكتشاف مقتضيات المدخل الجشتالتى ، وتشمل تلك التجارب الترابط التراجعى backward كدليل على أن الإنسان لايتعلم الاستجابات للمؤثر، كما تشتمل التغيرات فى خاصية الأخطاء على أنها وظيفة لمصفوفة من الوحدات ، وكذلك تشمل أعلى درجة من الحصول على الترابط بين العناصر المتصلة بعضها ببعض وليس العناصر والوحدات التى لاتقوم بينها أية علاقة . وقد لخص آش كل هذه الآراء فى محاضرته التى ألقاها عام ١٩٦٨ أمام الرابطة الأمريكية لعلم النفس، وتكشف إحدى عبارات تلك المحاضرة عن هدفه بوضوح بالغ، حيث تقول : " إن دراسة تكوين الرابطة هى دراسة التماسك والتناسق بين العلاقات التى تخضع للتجربة " .

ومن الصعب على غير المتخصصين أن يقدروا هذه الإسهامات فى دراسة الترابط، رغم أنها تهتم بمشكلات سبق إغفالها أو تناولها بشكل عرضى أثناء فترة "الانفجار الكبير" فى إجراء التجارب على التعلم اللفظى والذاكرة اللفظية التى شغلت عددا كبيرًا من علماء النفس الأمريكيين فى الفترة بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٧٠ . ففى ذلك الكم الهائل من البحوث كانت مسألة "المغزى أو الأهمية meaningfulness" -على سبيل المثال - ترتبط ليس بخصائص العناصر أو الوحدات، ولكن بعدد الارتباطات والتداعيات التى توحيها للمبحوثين

(Underwood, Shultz 1960)، وتتطلب النمــاذج المســتــمــدة من المــاثلات الكمبيوترية وحدات غير متغيرة تنتقل من خانة box لأخرى فى عملية تخزين اســتــعــارى metaphorically labeled storage، ولكنها لا تتضمن فكرة إعادة تركيب مرن للبيانات المتعلقة بالخبرة أو بأهمية "خصائصها الذاتية" . ولا عجب إذا كــانت إندل تولفــيج Endel tulvig وستــيفن مــديجــان Stephen Mudigan وليــو بوســتــمــان Leo Postman فى مــحــاولاتهم (١٩٧٥) فى العــروض المنهــجــيــة للعــمل والنظرية فى مــجــال الذاكــرة لم يشــيــروا إلى أعــمــال آش وزمــلائه أو يرجــعــوا إلى المشكلات التى أثارهــا آش، وعلينا أن ننتظر لنرى مــا إذا كانت أعمالهم اللاحقة سوف تتفق مع اتجــاهه علمــاء النفس إلى المشكلات التى اهتم بإثارتها ؟

تعليق أخير:

إن موجزًا نهائيًا لأعمال آش يمكن أن يؤكــد الوحــدة الكامنة وراء تلك الأعمال، فكل عمل منها يدعم نظرته إلى الكائنات البشرية كما ظهرت كاملة فى أول الأمــر فى كــتــابه علم النفس الاجتمــاعى، بصفتــها كائنات عــضــوية عــقــلانيــة وإبداعــيــة وقــادرة على البناء والتــشكيل والمبــادرة ، وذلك فى مــقــابل التــقــليــد الذى كــان ينظر إلى الجنس البشرى على أنه سلبى. ويســتــجيب فقط للضــغوط البيئية وللتغيرات فى الوسط الفــيــزيقى. وكــان بحــثــه عن مــصــادر الاستقلال عن الضــغط الاجتماعى يتم إجــراؤه ولكن ليس مــتــزامنًا مع ذروة عــهــد مكارثى، وقــد أمكنه - عن طريق دمج توجــهــاته الاجــتــمــاعــيــة بــاعــتــقــاداته وميوله السيكولوجية بصفته عالم نفس جشتــالتى - أن يوفــر نموذجًــا لأجيــال تالية من علماء النفس .

(*) توفى سولومون آش يوم ٢٠ فبراير ١٩٩٦ ، وهو فى التاسعة والثمانين من العمر. (المترجم)

المؤلف: Bernard Mausner

المترجم : أحمد أبوزيد

WORKS BY ASCH

Supplementary Bibliography

WORKS BY ASCH

1932 An Experimental Study of Variability in Learning. *Archives of Psychology* 143:1–55.

1934 ASCH, SOLOMON E.; KLINEBERG, OTTO; and BLOCK, HELEN. An Experimental Study of Constitutional Types. *Genetic Psychology Monographs* 16: 141–221.

1936 A Study of Change in Mental Organization. *Archives of Psychology* 195:30–79.

1938 ASCH, SOLOMON E.; BLOCK, HELEN; and HERTZMAN, MAX Studies in the Principles of Judgments and Attitudes: I. Two Basic Principles of Judgment. *Journal of Psychology* 5:219–251.

1940 Studies in the Principles of Judgments and Attitudes: Determination of Judgments by Groups and by Ego Standards. *Journal of Social Psychology* 12:433–465.

1946*a* Forming Impressions of Personality. *Journal of Abnormal and Social Psychology* 41:258–290.

1946*b* Max Wertheimer's Contribution to Modern Psychology. *Social Research* 13:81–102.

1948 ASCH, SOLOMON E.; and WITKIN, HERMAN A. Studies in Space Orientation. 4 parts. *Journal of Experimental Psychology* 38:325–337, 455–477, 603–614, 762–782. → Part 1: Perception of the Upright With Displaced Visual Fields. Part 2: Perception of the Upright With Displaced Visual Fields and With Body Tilted. Part 3: Perception of the Upright in the Absence of a Visual Field. Part 4: Further Experiments on Perception of the Upright With Displaced Visual Fields.

1951 Effects of Group Pressure Upon the Modification and Distortion of Judgments. Pages 177–190 in Harold Guetzkow (editor), *Groups, Leadership, and Men*. Pittsburgh, Penn.: Carnegie Press.

(1952) 1959 *Social Psychology*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

1955*a* On the Use of Metaphor in the Description of Persons. Pages 29–38 in H. Werner (editor), *On Expressive Language.* Worcester, Mass.: Clark Univ. Press.

1955*b* Opinions and Social Pressure. *Scientific American* 193:31–35.

1956 Studies in Independence and Conformity: I. A Minority of One Against a Unanimous Majority. *Psychological Monographs* 70, no. 9: Whole no. 416.

1958 The Metaphor: A Psychological Inquiry. Pages 86–94 in Renato Tagiuri and Luigi Petrullo (editors), *Person Perception and Interpersonal Behavior.* Stanford Univ. Press.

1958 ASCH, SOLOMON E.; and PRENTICE, W. C. H. Paired Association With Related and Unrelated Pairs of Nonsense Figures. *American Journal of Psychology* 71:247–254.

1959*a* A Perspective on Social Psychology. Volume 3, pages 363–383 in Sigmund Koch (editor), *Psychology: A Study of a Science.* New York: McGraw-Hill.

1959*b* The Practical Uses of Theory. *Social Research* 26:127–166.

1960 ASCH, SOLOMON E.; and NERLOVE, HARRIET The Development of Double Function Terms in Children: An Exploratory Study. Pages 47–60 in Seymour Wapner and Bernard Kaplan (editors), *Perspectives in Psychological Theory.* New York: International Universities Press.

1960 ASCH, SOLOMON E.; CERASO, JOHN; and HEIMER, WALTER Perceptual Conditions of Association. *Psychological Monographs* 74, no. 3:1–48.

1960 ASCH, SOLOMON, E.; HAY, JOHN; and DIAMOND, RHEA MENDOZA Perceptual Organization in Serial Rote-learning. *American Journal of Psychology* 73: 177–198.

1961 Issues in the Study of Social Influences on Judgment. Pages 143–158 in Irwin A. Berg and Bernard Bass (editors), *Conformity and Deviation*. New York: Harper.

1962 A Problem in the Theory of Associations. *Psychologische Beitrage* 6:533–563.

1962*a* ASCH, SOLOMON E.; and EBENHOLTZ, S. M. The Principle of Associative Symmetry. American Philosophical Society, *Proceedings* 106:135–163.

1962*b* ASCH, SOLOMON E.; and EBENHOLTZ, S. M. The Process of Free Recall: Evidence for Nonassociative Factors in Acquisition and Retention. *Journal of Psychology* 54:3–31.

.963 ASCH, SOLOMON E.; and LINDNER, M. Note on "Strength of Association." *Journal of Association* 55:199–209.

.964 The Process of Free Recall. Pages 79–88 in C. Scheerer (editor), *Cognition: Theory, Research, Promise*. New York: Harper.

968*a* The Doctrinal Tyranny of Associationism. Pages 214–228 in T. R. Dixon and D. L. Horton (editors), *Verbal Behavior and General Behavior Theory*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

968*b* Gestalt Theory. Volume 6, pages 158–175 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

968*c* Wolfgang Köhler: 1887–1967. *American Journal of Psychology* 81:110–119.

969 A Reformulation of the Problem of Associations. *American Psychologist* 24:92–102.

1970 Perceiving and Thinking. *Science* 169:361–362. → Review of Rudolph Arnheim, *Visual Thinking*.

1974 Preface. Pages vii–xiii in David Rapaport, *The History of the Concept of the Association of Ideas*. New York: International Universities Press.

BERKOWITZ, LEONARD; and WALSTER, ELAINE 1976 *Advances in Experimental Psychology*. Volume 9: Equity Theory: Toward a General Theory of Social Interaction. New York: Academic Press.

CRUTCHFIELD, RICHARD S. 1955 Conformity and Character. *American Psychologist* 10:191–198.

DEUTSCH, MORTON; and GERARD, HAROLD B. A Study of Normative and Informational Social Influence Upon Individual Judgment. *Journal of Abnormal and Social Psychology* 51:629–636.

HAYS, WILLIAM L. 1958 An Approach to the Study of Trait Implication and Trait Similarity. Pages 289–300 in Renato Tagiuri and Luigi Petrullo (editors), *Person Perception and Interpersonal Behavior*. Stanford Univ. Press.

KELLEY, HAROLD H. 1950 The Warm–Cold Variable in First Impressions of Persons. *Journal of Personality* 18:431–439.

KELLEY, HAROLD H. 1971 *Attribution in Social Interaction*. Morristown, N.J.: General Learning Press.

KELMAN, HERBERT C. 1958 Compliance, Identification, and Internalization: Three Processes of Opinion Change. *Journal of Conflict Resolution* 2: 51–60.

POSTMAN, LEO 1975 Verbal Learning and Memory. *Annual Review of Psychology* 26:291–336.

SHERIF, MUZAFER 1935 An Experimental Study of Stereotypes. *Journal of Abnormal and Social Psychology* 29:371–375.

TULVING, ENDEL; and MADIGAN, STEPHEN A. 1970 Memory and Verbal Learning. *Annual Review of Psychology* 21:437–484.

UNDERWOOD, BENTON S.; and SCHULTZ, RUDOLPH W. 1960 *Meaningfulness and Verbal Learning*. Chicago: Lippincott.

أولبورت- جوردون دبليو.

ALLPORT, Gordon W.

يُعرف جوردون أولبورت بوجه عام بأنه الرائد الرئيسى فى تطوير أحد فروع سيكولوچيا الشخصية الذى نشأ فى الولايات المتحدة عقب الحرب العالمية الأولى. وكان أخوه فلويد إتش. أولبورت Floyd H. Allport قد نودى به فى وقت سابق على أنه مؤسس علم النفس الاجتماعى الحديث بصفته تخصصًا علميًا متميزًا عن علم النفس الاجتماعى الذى كان يعتبر فرعًا من علم الاجتماع. وقد أصبح جوردون أولبورت شخصية بارزة فى علم النفس الاجتماعى، حيث كرّس له ما يقرب من نصف جهوده.

فبداية من عشرينيات القرن الماضى ظهرت دراسات الشخصية وعلم النفس الاجتماعى بصفتهما تخصصًا أكاديميًا عريضًا غير محدد المعالم تمامًا بدلاً من وجود مجالين منفصلين أحدهما عن الآخر. وحين أنشأت الرابطة السيكولوچية الأمريكية American Psychological Association(APA) أقسامًا متخصصة فيها؛ كان قسم الشخصية وعلم النفس الاجتماعى أكبر فروعها. وكان الأخوان أولبورت يشتركان فى كثير من الجوانب مع جوردون ميرفى Gordon Murphy وهو رائد آخر فى دراسات الشخصية وعلم النفس الاجتماعى فى بداية حياته المهنية، ومع أنه التحق لمدة عام واحد فقط بجامعة هارڤارد، حيث كان يدرس الأخوان، فإن الثلاثة كانوا من تلاميذ هوجو مونستربرج Hugo Münsterberg وهربرت إس. لانجفلد Herbert S. Langfeld وإدوين بى. هولت Edwin B. Holt كما تأثروا بشكل أو بآخر بآراء وليام ماكدوجال William McDougall وهو أول عالم نفس بعد ڤيلهلم ڤونت Wilhelm Wundt يكتب عملاً ضخمًا شاملاً عن علم النفس الاجتماعى. وقد عمل كل من هؤلاء العلماء فى أول الأمر - فى مجال الشخصية ثم أصبح أولبورت رئيسًا لجمعية الدراسات النفسية للمشكلات

الاجتماعية Society for the Psycho-logical Study of Social Issues . وقد حصل كل من الثلاثة على الميدالية الذهبية للمؤسسة السيكولوچية الأمريكية American Psychological Foundation التى تمنح سنويًا لأحد علماء النفس الأمريكيين اعترافًا بمكانته العلمية المتميزة .

كان جوردون أولبورت ناقدًا عنيفًا للنظرية الفرويدية وللسلوكية الراديكالية ولنظريات الشخصية التى ترتكز إلى حد كبير على الملاحظة الإكلينيكية للسلوك الشاذ أو غير السوى . ولكن فى عام ١٩٥١، حين طلب قسم علم النفس الإكلينيكى بالرابطة السيكولوچية الأمريكية من علماء النفس الإكلينيكيين الممارسين للمهنة تحديد العالم المتخصص فى نظرية الشخصية الذى أثر فيهم أكثر من غيره فى عملهم اليومى، جاء اسم جوردون أولبورت فى المرتبة الثانية مباشرة بعد سيجموند فرويد (Schafer, Berg & McCandless 1951).

وقد ولد جوردون دبليو. أولبورت لچون إدوارد أولبورت ونيللى وايز أولبورت فى مونتزوما بولاية إنديانا فى الحادى عشر من نوفمبر عام ١٨٩٧ ، وكان أبوه طبيبًا وأمه مدرسة، وقد وفرت الأم للعائلة بيئة دينية قوية مثلما فعلت جدته لوالدته، حيث كانت تقوم بالوعظ والإرشاد فى الكنيسة . وقد عانى جوردون وأخوه الأكبر فلويد فى بعض الأحيان من بعض الصراعات الداخلية؛ نتيجة لأعمال التبشير والتحولات الإحيائية والدينية ، ولكن حين بلغا سن الشباب أبديا اهتمامًا بدور الدين فى حياة الإنسان أكثر من غيرهما من علماء النفس . وبعد أن التحق جوردون بعدد من المدارس فى بعض المدن الصغيرة وتخرج فى المدرسة الثانوية فى كليڤلاند أوهايو التحق بجامعة هارڤارد عام ١٩١٥، حيث كان أخوه فلويد حصل منها على درجة البكالوريوس فى الربيع السابق (G. Allport 1967; F. Allport 1974).

وأول دروس فى علم النفس تلقاها جوردون أولبورت كانت محاضرات

مونتسبرج الذى كان قد أشرف على رسالة شقيقه للدكتوراه، كما قام لانجفلد بتدريبه فى علم النفس التجريبى، بينما تولى هولت تعريفه بنظرية المعرفة وتاريخ علم النفس، كذلك أثار چيمس فورد من قسم الأخلاق الاجتماعية اهتمامه بالخدمة الاجتماعية وهيأ له فرصة العمل، نصف الوقت مع الطلاب الأجانب وعهد إليه مهمة توفير السكن لعمال الصناعة والعمل كموظف تحت التمرين والإشراف على نادى الشباب ، ثم عمل بعدها لفترة قصيرة فى كتيبة تدريب طلبة الجيش، لكنه عاد إلى دراسته النظامية فى الوقت المناسب للتخرج فى جامعة هارڤارد عام ١٩١٩ .

وقد عاش أولبورت موزعًا طيلة الوقت بين حبه للتدريس واهتمامه بالخدمة الاجتماعية ، لذا عمل مدرسًا لمدة عام فى كلية روبرت باسطنبول، وفى طريق عودته إلى أمريكا عرّج لرؤية شقيقه الآخر فاييت Fayette فى ڤيينا، وهناك قام بزيارة لفرويد الذى فشل فى أن يجعله من أتباعه .

وفى سن الثانية والعشرين بدأ أولبورت عمله فى الدراسات العليا فى علم النفس بجامعة هارڤارد، وحصل على الدكتوراه بعد عامين عن رسالة كان يعتقد أنها " أول رسالة تناولت بشكل صريح موضوع الملامح الأساسية للشخصية"(Allport 1967)، وأثناء دراسته العليا قام بمساعدة شقيقه ثم عمل موجهًا للطلاب بجامعة هاڤارد، وعاون أخاه فى تحرير مجلة Journal of Abnormal Psychology، وجاء أول عمل نشره نتيجة لجهودهما المشتركة (Allport & Allport 1921)

ولقد ساعده حصوله على منحة شلدون Sheldon على السفر إلى ألمانيا وإنجلترا لمدة عامين درس خلالهما على أيدى علماء من أمثال: كارل ستمبف Carl Stumpf وماكس دوسوير Max Dossoir وماكس ڤرتايمر Max Wer-teimer وڤولفجانج كهلر Wolfgang Köhler وإدوارد شبرانجر Eduard Spranger وإيريش يانش Erich Jaensch وهاينز ڤرنر Heinz Werner

ووليـام سـتـرن William Ster، وبذلك أحاط بنظريات الشخصية والجشتالت التى ميزت كل أعماله التالية، وساعدته على إقامة علاقات شخصية شجعته بعد ذلك بسنوات على تبنى حركة دعوة علماء النفس الأوربيين الذين لم يعودوا قادرين على ممارسة عملهم تحت الحكم النازى للمجىء إلى الولايات المتحدة .

فى خـريف عـام ١٩٢٤، بدأ أولبورت التدريس فى جامعة هارڤارد ولكن ليس فى مجال علم النفس وإنما فى ميدان الأخلاق الاجتماعية، وقد وجد فى ذلك القسم كل العون من رئيسه ريتشارد سى. كابوت Richard C,Cabot الذى عهد إليه تدريس مقرر عن "الشخصية ومظاهرها السيكولوچية والاجتماعية"، وكان ذلك أول مرة يلقى فيها محاضرات فى ذلك المجال فى أى كلية فى أمريكا حسب مايذكر هو نفسه (Allport 1967). وكان كابوت يشغل فى الوقت ذاته منصب أستاذ أمراض القلب فى مدرسة الطب وأحد الرواد الأوائل فى مجال الخدمة الاجتماعية الطبية، وكـان تأثيره فى حياة أولبورت وممارسته المهنية لا يقل أهمية عن تأثير أى أستاذ من أساتذته الآخرين .

وبانتقال لانجفلد إلى العمل بجامعة برنستون وانتقال شقيقه فلويد إلى جامعة نورث كارولينا أحس بالعزلة والابتعاد عن علم النفس؛ ولكن أمكنه لحسن الحظ التغلب على ذلك الشعور حين تطوع للعمل مساعداً لإدوين چى. بورينج Edwin G. Boring خليفة لانجفلد ، ثم مساعدا بعد ذلك لماكدوجال فى مقرراتهما الدراسية التمهيدية .

وفى ربيع علم ١٩٢٨، تزوج أولبورت من أدا لفكين جولد Ada Lufkin Gould وكانت طالبة بالدراسات العليا بكلية رادكليف ثم أصبحت متخصصة فى علم النفس الإكلينيكى . وبعد عام من زواجه انتقل للتدريس بكلية دارتموث، حيث ألقى محاضرات فى الشخصية وعلم النفس الاجتماعى ووضع خطة كتابه عن الشخصية . وفى العام نفسه نشر بالتعاون مع شقيقه

كتابهما A-S Reaction Study, Trait of Ascendance - Submission . ولكن بعد ذلك الكتاب نادراً ماتعاون الشقيقان على الرغم من أنهما كثيراً ما كانا يتراسلان حول مشكلات المهنة .

فى ذلك العام أيضا انتقل ماكدوجال لجامعة ديوك Duke University ووجّه بورينج الدعوة إلى أولبورت للعودة إلى هارڤارد بصفته مدرساً لعلم النفس ولكن ذلك لم يتحقق إلا فى عام ١٩٣٠ ، وقد تبعه عدد من طلاب دارتموث لمواصلة دراساتهم العليا فى هارڤارد وكان من بينهم ليونارد دووب Leonard Doob وهادلى كانتريل Hadley Cantril اللذان تعاون معهما فى تأليف كتاب The Psychology of Radio (1935) وكذلك هنرى إس. أودبرت Henry S. Odbert الذى نشر معه قائمة تحتوى على أكثر من ثمانية عشر ألف مصطلح عن الشخصية وخصائصها السلوكية (١٩٣٦) . وفى أوائل الثلاثينيات قام ومعه فيليب إى . ڤرنون Philip E. Vernon بالتخطيط لكتاب A Study of Values (1931) وهو اختبار للشخصية ، كما قام بالإشراف على البحث الذى أدى إلى ظهور كتاب Studies in Expressive Movement (1933).

وقد انضم أولبورت فى عام ١٩٣٥، إلى كابوت وآخرين لإنشاء مؤسسة دراسة الشباب فى كيمبردج – سمرڤيل Cambridge-Somerville وتولى إدارتها إدوين باورز Edwin Powers وكابوت، وقامت المؤسسة بإجراء مقارنات بين ثلثمائة من الشباب الجانحين الخاضعين لأنواع مختلفة من العلاج لمدة تتراوح بين ثلاثة وسبعة أعوام وعدد مماثل من الجانحين الذين لايخضعون للعلاج، وذلك فى محاولة لمعرفة أنواع العلاج التى قد تكون أكثر فاعلية لمنع الجنوح ، ولكن مما يؤسف له أن المشروع توقف نظراً لنشوب الحرب العالمية الثانية قبل الوصول إلى أية نتائج حاسمة .

فى أواسط الثلاثينيات عقد أولبورت حلقات نقاش حول استخدام الوثائق الشخصية والأسلوب الذى ينبغى أن تُكتب به السير الذاتية ، وقد

اقـتـرح چون دولارد John Dollard أنه ينبـغى النظر لأى فـرد على أنه عـينة فى منظومة ثقـافيـة (١٩٣٥) ولكن أولبورت اعـتـرض علـى أسـاس أنه بالنسـبـة للأغراض السيكولوچية يجب اعتبار كل شـخص على أنه حـالة فـريدة وقـائمـة بذاتهـا (١٩٤٢)، وقد أثارت تلك الحلقة فى عـدد كـبـيـر من تـلامـيـذه الاهـتـمـام بدراسة السير الذاتية .

كذلك تأثر أولبورت بدراسة كان قد أجـراها فى أواخـر العـشـرينيات فلويد أولبـورت ودانيـيـل كـاتز Daniel Katz ومـارجريت چينيس Margaret Jenness وفيها طبقوا أول برنامج منهجى شامل للبـحث على المواقـف الاجـتـمـاعـيـة، وقـد أدى ذلك بأولبـورت إلى أن يعـتـبـر المواقف الاجتماعية مفهومًا أسـاسيًا فى نسـقـه النظرى . فـفـى فـصـل عن "الاتجـاهـات" ظهـر فى كـتـاب كـارل مـورشـيـسـون Karl Murchison بعنوان Handbook of Social Psychology (1935) عرّف "الاتجاه"بأنه "حالة ذهنية وعصبية من الاستعداد تنظمها التجربة وتمارس تأثيرًا توجيهيًا وديناميكيا على استـجابة الفـرد لكل الأمـور والأوضـاع التى ترتبط بهـا ". وفى تحليله لأصل "الاتجـاهـات" افـتـرض وجـود أربعـة ظروف لتكوين الاتجـاه هـى : (١) تزايد الخبرة من خـلال تكامل عدة استجابات من نفس النـوع و(٢) التفرد والتـفـاضل والانفـصـال عن أنمـاط الفـعل التى تزود الفـرد بالاسـتـعـداد المناسب لتـوجـيـه سلوكه التكيـفى و(٣) الخـبرة الدرامـيـة أو الصـدمـة و(٤) مـحـاكـاة الوالدين أو المدرسين أو الأصدقاء (Allport 1929).

وكان أولبورت يخطط لكتابه عن : الشخصية: تفسير سيكولوچى (١٩٣٧) منذ أيام الدراسات العليا، وقد ظهر فى العـام نفسـه مع كتـاب روس ستـانچر Ross Stanger عن : سيكولوچيا الشخصية وساعد وجود هذين العملين على إدخال مقررات الشخصية فى كل الكليات فى أمريكا، ويعرِّف أولبورت "الشـخـصـيـة" بأنهـا "التنظيم الديناميكى للأنسـاق السيكوفيزيقية داخل الفرد، التى تحدد توافقاته الفريدة مع البيئة المحيطة به " .

- ومع أنه كان على وعى كامل بالقوانين العامة المتعلقة بسلوك جميع الآدميات hominids فإنه كان يبحث عن المبادئ التى قد تساعد على فهم تفرد الأفراد (Allport 1968 ; Hall & Lindzy 1957)، وقد كتب يقول : " إن أى قانون عام قد يصلح لتبيين كيف يحدث التفرد " (Allport 1937,pp. 194, 558). وأحد أفضل الأمثلة لهذه القوانين ظهر فى معالجته لمشكلة الدوافع، فقد ذهب إلى أنه ابتداءً من الدوافع لدى الأطفال الصغار فإن أية نظرية عن الدوافع يجب أن تأخذ فى الاعتبار الاحتياجات البيولوچية والأنماط الفطرية فى السلوك (مثل الانعكاسات) ولكن لا توجد أية ميول سيكولوچية عند الأطفال تصلح لرصد السلوك لدى البالغين . "فعلم النفس الديناميكى الذى نفترضه هنا ينظر إلى دوافع الشخص البالغ على أنها متنوعة بغير نهاية، وعلى أنها أنساق معاصرة تجدد نفسها بنفسها وتنشأ من أنساق سابقة ولكنها مستقلة عنها "، وهذا هو مبدأه الأساسى فى الاستقلال الوظيفى للدوافع . والمثال الكلاسيكى هنا هو حالة البحّار الذى يكد ويكدح فى بداية حياته لتوفير أسباب العيش من مأكل ومشرب ومسكن حتى يصل به الأمر إلى عشق البحر، ولكنه حين ينخرط فى مرحلة تالية فى التجارة فى إحدى المدن الكبيرة لايفتأ أن يعود إلى شاطئ البحر طلبًا للراحة والترفيه . فالبواعث "البيولوچية " للطعام والسكن لم تعد دوافع أساسية . وفى مناقشته للدافعية يؤكد أولبورت على الأهداف والطموحات والمقاصد أكثر من افتراض بواعث فطرية وتعديلها من خلال التعلم والخبرة (Allport 1939 ,1961,1968b.).

فى كتابه الرئيسى الضخم (١٩٣٧) كان أولبورت يؤكد أن مفهومًا مثل مفهوم الذات أو الأنا يعتبر مفهومًا أساسيا بالنسبة لأى نظرية عن الشخصية . ولكنه بعد ذلك بعدة سنوات استخدم كلمة "ملائم " وسليم، وهو مصطلح كان قد اقترحه إمانويل سويدنبورج Emanuel Swedenborg قبل ذلك بمائتى عام، ولكن هذه الكلمة

تشير بالنسبة لأولبورت إلى"مظاهر الشخصية التي يبدو أنها تخص شخصاً معيناً بالذات وتسهم في تكوين فرديته ووحدته الداخلية". وتعتبر العمليات الحركية kinestic والعضوية organic والحسية sensory الملائمة مكونات أساسية في ذلك . وللتمييز بين السلوك والإدراك الملائم وغير الملائم ذهب أولبورت إلى أن ابتلاع الشخص لعابه أمر سليم ومناسب، بينما التخلص من ذلك اللعاب بقذفه في وعاء ثم ازدرائه بعد ذلك أمر غير سليم .

كان أولبورت يعتبر نفسه ناشطاً اجتماعيا، وقد دفعه ذلك إلى ارتكاب أعمال عرضته أحيانا للمتاعب . فأثناء فترة الكساد العظيم في الثلاثينيات حين تعرض عدد من أساتذة الجامعات للفصل، أعلن - على الرغم من أنه كان مرشحا لتولي وظيفة دائمة وثابتة - انتقاداته لدور رئيس الجامعة وبعض أساتذتها في اتخاذ قرار الفصل، وانضم إلى اتحاد المدرسين في أمريكا وعمل بهمة ونشاط لضم الكثيرين إلى عضويته .

وخلال الثمانية والأربعين عاماً التي عمل فيها هو وشقيقه في هيئة تحرير مجلة Journal of Abnormal and Social Psychology قامت المجلة بدور مهم في تطوير مجال الشخصية وعلم النفس الاجتماعي . وكان مورتون برنس Morton Prince قد أنشأ المجلة عام ١٩٠٦، ثم اتسع عنوانها لكي يشمل علم النفس الاجتماعي . وقد شغل فلويد أولبورت منصب مستشار التحرير في عام ١٩٢١، ثم عمل رئيس تحرير تنفيذيا في أوائل العشرينيات، وأثناء تولي جوردون أولبورت رئاسة التحرير في الفترة من ١٩٣٨ حتى ١٩٤٩ أصبحت هي الدورية العلمية الأولى في مجال الشخصية وعلم النفس الاجتماعي، ولكنها ظلت تفرد مساحة كبيرة لسيكولوجيا الشواذ أو غير الأسوياء . وخلال جانب كبير من السنوات السبع عشرة الأخيرة من حياته كان هو أكثر مستشاري المجلة نشاطاً؛ فكان يساعد تلميذه القديم إم. بروستر سميث M. Brewster Smith، وكذلك أرثر چينس ودانييل كاتز وهما

من تلاميذ فلويد أولبورت على أداء واجباتهم فى التحرير .

وفى عام ١٩٣٨، حين تولى چوردون أولبورت رئاسة قسم علم النفس اضطلع بعبء ثقيل من المسئوليات الإدارية والعمل الاجتماعى . فقد عمل رئيسًا للجنة الرابطة السيكولوچية الأمريكية التى تتولى شئون علماء النفس الأجانب الذين طردوا من وظائفهم، وكانت تلك اللجنة تساعد فى استقدام عدد كبير من علماء النفس الأوروبيين إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية، وكان من بينهم ويليام ستيرن وكورت ليفين وهاينز ڤرنر وإجون وإلسا برونسفيك Egon and Else Brunswik، كذلك كان شديد الاهتمام بأمور ومشكلات علماء النفس الأمريكيين الذين فصلوا من وظائفهم لمعارضتهم دخول أمريكا الحرب العالمية الثانية. وعندما تم فصل چورچ هارتمان الذى كان نائبًا لرئيس اتحاد مناهضى الحرب ثم رئيسا لحركة "السلام الآن" من كلية المعلمين بجامعة كولومبيا تولى أولبورت مهمة العمل على تعيينه مديراً للبحوث فى كيمبردچ – سمرڤيل لبحوث الشباب ومحاضراً زائراً بجامعة هارڤارد .

ومع قرب نهاية الحرب العالمية الثانية أصدر أولبورت مع جاردنر ميرفى وآخرين بيانًا حمل توقيع أكثر من ألفين من علماء النفس والعلوم الاجتماعية يقترحون فيه الخطوات التى يجب اتخاذها لتحقيق سلام عادل ودائم . وقد أخذت حكومة الحرب بعدد كبير من البنود التى تضمنها "بيان علماء النفس" بصفته سياسة رسمية مثل "ضرورة مشاركة الشعوب المحررة والمعادية فى تحديد مصيرها " (Allport 1945).

وقد رأس أولبورت رابطة علم النفس الأمريكية عام ١٩٣٨، كما كان عضواً فى لجنة الأنثروبولوچيا وعلم النفس فى المجلس القومى للبحث، وكذلك فى لجنة البحوث العاجلة فى علم النفس بالرابطة . وأثناء الحرب العالمية الثانية عقد هو وهنرى إيه . مرى Henry A. Murray حلقة نقاش حول

البحوث المعنوية، كما أشرف مع روبرت إتش. كناب Robert H. Knapp وليو بوستمان Leo Postman على "عيادة الشائعات" التى كانت ترعاها مجلة Boston Traveler، ولم تكن المحاولة مقصورة على دحض الشائعات الضارة، ولكن كانت تهدف أيضًا إلى تقليل مظاهر التحامل والعداء التى يمكن أن تعرقل المجهود الحربى وتلحق الأذى بالأفراد وبخاصة الذين ينتمون إلى الأقليات . وقد أشرف على إصدار نشرة عن أبجديات إلقاء المسئولية على الغير ABCs of Scapegoating (1944) لشرح بعض مظاهر التحامل المتمثلة فى محاولة تجنب تحمل المسئولية عن بعض الأخطاء الخاصة بإلقاء اللوم على الآخرين، كما هو الحال بوجه خاص بالنسبة لمعاداة السامية . وكان فلويد أولبورت الذى يدير عيادة الشائعات فى جامعة سيراكيوز يتساءل عن جدوى الفرض الخاص بالتهرب من المسئولية، ويستشهد بتجربة تلميذته نانسى مورس Nancy Morse التى أخفقت فى البرهنة على صحة ذلك الفرض (Morse & F. Allport 1952 ; F. Allport 1974).

فى كتاب سيكولوجيا الشائعة The Psychology of Rumor (1947) افترض أولبورت وبوستمان أن "حجم الإشاعات المتداولة يختلف تبعًا لأهمية الموضوع بالنسبة للأشخاص المعنيين ومدى غموض الدليل على موضوع الشائعة" . ولتبيين ماذا يمكن أن يحدث نتيجة الشائعة – على الرغم من عدم وجود موضوع للشائعة بالفعل – كانا يعكسان إحدى الصور على الشاشة ويطلبان إلى الشخص أن يصف تفاصيل تلك الصورة، بينما كان هناك شخص آخر يستمع إلى ذلك الوصف دون أن يرى الصورة ذاتها ثم يطلبان منه أن يكرر ما سمعه بأكبر قدر ممكن من التفصيل لشخص ثالث، وهكذا، حتى تصل المعلومات الشفوية إلى الشخص السادس أو السابع دون أن يرى أى منهم الصورة . وقد توصلا إلى بعض النتائج من حوالى ثلاثين تجربة مماثلة ظهر منها أن الشائعة تميل إلى أن (١) تصبح أقصر وأكثر دقة بحيث

يصبح من السهل استيعابها وروايتها للآخرين و(٢) تمثيلها مع الحالة الوجدانية للشخص المستمع و(٣) تمحيصها أو تعديل موضوعها .

كذلك انتبه أولبورت إلى أن التحامل كان عنصراً مهما فى كثير من الشائعات، وكان يتفق فى ذلك مع توماس أكويناس Thomas Aquinas فى أن طبيعة التحامل العامة هى "سوء الظن بالآخرين دون وجود مبرر كاف" . ولكنه لاحظ فى الوقت نفسه أن التحامل قد يكون فى صالح الشخص، ومع ذلك فإنه ينبغى التغاضى فى حالات نادرة . وربما كانت أهم نتيجة توصل إليها فى كثير من أعماله المنشورة حول الموضوع هى أن التحامل يميل إلى التراجع عندما يتقابل أعضاء الجماعات المختلفة على أساس التساوى فى المنزلة لتحقيق أهداف مشتركة. ومن بين الاستراتيجيات والوسائل التى لفت إليها الأنظار كطريقة للتقليل أو القضاء على التحامل كان دور اللعب والمشاركة الجماعية .

حين أدرك أولبورت فى مرحلة تالية أن مفاهيم وأساليب علم النفس وحدها محدودة وعاجزة عن أن توفر التنبؤ والفهم المناسبين عن التحامل؛ اقترح إمكان تصنيف "أسباب" التحامل إلى (١) تاريخية ؛ (٢) سوسيوثقافية ؛ (٣) أسباب تتعلق بالطباع والشخصية والنظرة إلى الأمور ؛ (٤) خصائص ضحايا التحامل أنفسهم (Allport 1950b, chapters 14,15 ; Evans 1970).

وأثناء فترة الحرب أقام أولبورت علاقات قوية مع علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية أدت إلى أن يترك أساتذة علم النفس الاجتماعى والإكلينيكى قسم علم النفس عام ١٩٤٦، لينضموا إلى علماء النفس والأنثروبولوچيا الثقافية فى قسم جديد للعلاقات الاجتماعية تحت رئاسة تالكوت پارسونز . وكان أولبورت رئيساً للجنة الدراسات العليا، فتولى هو وچورچ هومانز George Homans تدريس مقرر تمهيدى عن العلاقات الاجتماعية . وفى عام ١٩٦٦، بلغ أولبورت سن التقاعد الإجبارى، ولكن

تم تعيينه أول أستاذ كرسى ريتشارد كلارك كابوت للأخلاق الاجتماعية. وحين توفى تقاعد عن العمل عدد من أعضاء هيئة التدريس أو انتقلوا إلى جامعات أخرى . وعلى أية حال فإن "العلاقات الاجتماعية" توقفت عن أن تكون قسمًا مستقلاً قائمًا بذاته .

وكان أولبورت قد ذهب عام ١٩٥٦، إلى ديربان بجنوب أفريقيا لإلقاء محاضرة تذكارية تحت رعاية معهد جنوب أفريقيا للعلاقات السلالية لتكريم ألفرد هورنلىAlfred Hornlé الذى كان أستاذًا له فى جامعة هاڤارد . وفى جنوب أفريقيا قام هو وتوماس إف . بتيجرو Thomas F. Pettigrew بإجراء بعض التجارب التى يبدو أنها كانت تهدف إلى تبيين أن العوامل الاجتماعية لها دور مؤثر فى الإدراك حين يكون المثير غير واضح تمامًا . وباستخدام جهاز الشباك شبه المنحرف الدوار rotating trapezoidal window apparatus الذى يثير الوهم فى حضارتنا نحن بأن إطار النافذة يتأرجح إلى الأمام والخلف بدلاً من الدوران تبين أن أطفال الزولو الذين يعيشون فى أكواخ مستطيلة لها نوافذ مستطيلة أيضا يستجيبون بالطريقة نفسها التى يستجيب بها الأشخاص الأسيوياء فى الولايات المتحدة حين يتعرضون لذلك الجهاز، وذلك بعكس أطفال الزولو الذين يقطنون فى المناطق البعيدة ويعيشون فى مساكن مستديرة بغير نوافذ لا يمرون بذلك الوهم . وقد بينت بعض التجارب الأخرى الأكثر تعقيداً والتى أجريت على أشخاص من أعراق مختلفة وجود اختلافات طفيفة فى إدراك صور جوازات السفر المزدوجة لأشخاص مختلفين عرقيا حين عرضت عليهم لفترات قصيرة بواسطة جهاز التاخيتوسكوب . وقد ذكر أولبورت أن هذه التجارب أقنعته بأن "الشخص الذى لا يعرف سوى ثقافته وحدها لا يعرف فى الحقيقة تلك الثقافة" . Allport & Pettigrew 1957 (Allport, Pettigrew & Barnett 1958).

فى الوقت الذى توطدت فيه أقدام الأخوين فى المجال المهنى كانا قد أفلحا فى التغلب على شعورهما القديم بالنفور من الدين، وطفقا يؤكدان أن الدين أكثر أهمية فى حياة وحضارة البشر مما يعتقد الكثيرون من علماء النفس . ففى مقال ذائع بعنوان "The Religion of a Scientist" يذهب فلويد أولبورت - وهو لا أدرى المذهب - إلى عدم وجود تعارض بين العلم والدين وأن النزاع الحقيقى هو بين العلم واللاهوت . وعلى الرغم من أن جوردون أولبورت كان قلقًا دائما بشأن عدم اهتمام علماء النفس بالدين فإنه - هو نفسه - لم يكتب إلا قليلاً فى الموضوع وفى وقت متأخر حين كرس جانبًا كبيرًا من كتابه The Individual and his Religion (1950) لعرض دور الاتجاهات الدينية الذاتية فى بناء الشخصية ، وقد كتب فى المقدمة يقول : " إن أحد الأحكام التقويمية الأساسية تؤيد ما أذهب إليه وهى قيمة يجب على كل أنصار الديمقراطية التمسك بها، وهى حق كل شخص فى أن يصنع فلسفته الخاصة عن الحياة ،وأن يبحث عن وضعه الخاص فى الإبداع بكل ما يستطيع من قوة (pp. vii, viii). وفى كتابه Becoming (1955) شرع يدعو علماء النفس بل القراء أيضا إلى أن ينظروا إلى الدين فى إطار ما يحاول الفرد أن يفعله بدلاً من الرجوع إلى ماضى ذلك الفرد . "فالحقائق النهائية عن الدين غير معروفة ولكن عالم النفس الذى يضع العراقيل أمام فهم إمكانات البشر الدينية لا يستحق اعتبار كتاباته عنصرًا فى معرفة سيكولوجيا الإنسان (p.98)".

وحين أدرك علماء النفس أن دراسة السلوك الدينى أصبحت تخصصًا محترمًا بدا كما لو كانوا يتذكرون أن المؤسسين الرئيسيين للرابطة الأمريكية لعلم النفس - وهما ويليام چيمس وچى ستانلى هول G. Stanley Hall كانا شديدى الاهتمام بالدين . وقد كان أولبورت نفسه عضوًا نشيطًا فى تأسيس "الجمعية العلمية لدراسة الدين" وشاركه فى ذلك بعض علماء النفس والعلم الاجتماعى وأساتذة

الأديان، وبعد خمسة أعوام من وفاته أنشأت الرابطة شعبة لعلم النفس الهيوماني humanistic وأتبعته بعد سنوات قليلة بشعبة لعلماء النفس المهتمين بالأمور الدينية . وعلى أية حال فإنه كان يبدو في بعض الأحيان أن جولات أولبورت وغيره من العلماء في ميدان سيكولوچيا الدين يمكن أن تؤدى إلى هدم ما بنوه . فقد وجد أولبورت وكرامر Kramer (1946) على سبيل المثال أن المترددين على الكنيسة كانوا بوجه عام أشد تعصبًا ضد الأقليات العرقية من غير المترددين ومن الذين لا يعترفون بانتمائهم لأى مذهب دينى . كذلك تم تسجيل وجود عدد كبير من الارتباطات السلبية مع الأيديولوجيا الدينية أو مع بعض القيم الدينية المهمة أو مع الاتجاهات المذهبية (Dittes 1968). وكلما زادت البحوث في مجال سيكولوچيا الدين؛ زادت البلبلة والاضطراب . وقبل وفاته بوقت قصير اكتشف أن محكات التدين مثل الذهاب للكنيسة وتأثير القيم الدينية على دراسة القيم ، ليست مقاييس صحيحة بالنسبة لنوع التدين الذى كان يكتب عنه . وحين استخدم مقاييس التدين الذاتى -intrin sic (مدى مايقدمه من خدمات للدين) ومقاييس التدين الخارجى أو الظاهرى extrinsic (مدى استخدام الشخص السلوك الدينى لتحقيق احتياجاته وقيمه الأخرى) كانت نتائج البحوث أكثر صحة وملاءمة (Allport & Rose 1967 ; Kahoe 1964).

وقد اهتم أولبورت خلال معظم تاريخه المهنى بتدريس مقررات عليا في تاريخ ومناهج علم النفس الاجتماعى، وظهر جانب كبير من تلك الدروس في كتاب Handbook of Social Psychology الذى تولى تحريره تلميذه القديم وزميله بعد ذلك جاردنر ليندزى (Allport 1974a).

وعلى الرغم من إسهامه الوفير في النظرية السيكولوچية، فإنه لم يزعم أبدًا أنه صاحب أية مدرسة معينة أو أية نظرية محددة في علم النفس، بل إنه حتى فيما يتعلق ببحوث الشخصية كان يدعو إلى اتباع مدخل "انتقائى مفتوح"

لا يتحقق إلا بمراعاة أربعة محكات هي: (١) توفر مدخلات ومخرجات المادة والطاقة بشكل دائم و(٢) المحافظة على حالات الاستقرار والتوازن الذاتي -ho meotat[c و(٣) التنظيم الداخلي التقدمي طيلة الوقت إزاء ازدياد تعقد وتفاضل الأجزاء و(٤) التعامل الإبداعي الخلّاق مع البيئة (Allport 1960a) ونظراً لعدم استطاعته التوصل إلى نسق "بسيط ومسيطر يستطيع التعامل بطريقة ملائمة مع كل مجالات الشخصية ذهب إلى أن الانتقائية هي الوسيلة الوحيدة المقبولة لاحتواء كل المعرفة المتاحة عن الشخصية . (للإحاطة بكل الأفكار الشاملة عن نظرية أولبورت انظر Allport 1963b)

وقد توفي جوردون دبليو. أولبورت عام ١٩٦٧ . وبعد وفاته بإحدى عشرة سنة ظهركتاب Waiting for the Lord وبه مجموعة متميزة من ثلاثة عشر من "التأملات" التي كان قد ألقاها في كنيسة Appleton بساحة هارڤارد خلال تسعة وعشرين عاما ، وقد أشرف على تحريرها ونشرها بيتر بتروكي Peter Petrocci Allport (1978).

المؤلف : Arthur Jennesse
المترجم : أحمد أبوزيد
Works by Allport
Supplementary Bibliography

WORKS BY ALLPORT

1921 ALLPORT, FLOYD H.; and ALLPORT, GORDON W. Personality Traits: Their Classification and Measurement. *Journal of Abnormal Psychology* 16: 3–40.

(1928) 1939 ALLPORT, GORDON W.; and ALLPORT, FLOYD H. *A–S Reaction Study.* 2d ed., rev. Boston: Houghton Mifflin.

(1931) 1960 ALLPORT, GORDON W.; VERNON, PHILIP E.; and LINDZEY, GARDNER *A Study of Values.* 3d ed. Boston: Houghton Mifflin → Allport and Vernon were the authors of the 1931 edition.

1933 ALLPORT, GORDON W.; and VERNON, PHILIP E. *Studies in Expressive Movement.* New York: Macmillan.

1935 Attitudes. Pages 798–844 in Carl Murchison (editor), *Handbook of Social Psychology.* Worcester, Mass.: Clark Univ. Press.

(1935) 1971 ALLPORT, GORDON W.; and CANTRIL, HADLEY *The Psychology of Radio.* New York: Arno.

1936 ALLPORT, GORDON W.; and ODBERT, HENRY S. Trait-Names: A Psycholexical Study. *Psychological Monographs,* Vol. 47: Whole no. 211.

1937 *Personality: A Psychological Interpretation.* New York: Holt.

1942 *The Use of Personal Documents in Psychological Science.* Social Science Research Council Bulletin, No. 49. New York: The Council.

(1944) 1959 ALLPORT, GORDON W. (editor) *The ABC's of Scapegoating.* Rev. ed. New York: Anti-Defamation League.

1945 Human Nature and the Peace. *Psychological Bulletin* 42:376–378.

1947 ALLPORT, GORDON W.; and POSTMAN, LEO *The Psychology of Rumor.* New York: Holt.

1950*a* *The Individual and His Religion.* New York: Macmillan. → A paperback edition was published in 1971.

1950*b* Prejudice: A Problem in Psychological and Social Causation. *Journal of Social Issues* Supplement Series: Whole no. 4. → Lewin Memorial lecture.
(1954*a*) 1968 The Historical Background of Modern Social Psychology. Volume 1, pages 1–80 in Gardner Lindzey (editor), *Handbook of Social Psychology*. 2d ed. Cambridge, Mass.: Addison-Wesley.
1954*b* *The Nature of Prejudice*. Cambridge, Mass.: Addison-Wesley. → An abridged paperback edition was published in 1958 by Doubleday.
1955 *Becoming: Basic Considerations for a Psychology of Personality*. New Haven, Conn.: Yale Univ. Press.
1957 ALLPORT, GORDON W.; and PETTIGREW, THOMAS F. Cultural Influence in the Perception of Movement in the Trapezoidal Illusion Among Zulus. *Journal of Abnormal and Social Psychology* 55: 104–113.
1958 ALLPORT, GORDON W.; PETTIGREW, THOMAS F.; and BARNETT, ERIC O. Binocular Resolution and Perception of Race in South Africa. *British Journal of Psychology* 49:265–278.
1960*a* The Open System in Personality Theory. *Journal of Abnormal and Social Psychology* 61:301–310.
(1960*b*) 1964 *Personality and Social Encounter: Selected Essays*. Boston: Beacon. → Includes a bibliography of Allport's writings from 1921 to 1963.
1961 *Pattern and Growth in Personality*. New York: Holt.
1964 The Fruits of Eclecticism: Bitter or Sweet? Pages 27–44 in International Congress of Psychology, Seventeenth, *Proceedings*. Amsterdam: North-Holland.
1967 Autobiography. Volume 5, pages 3–25 in *A History of Psychology in Autobiography*. Edited by Edwin G. Boring and Gardner Lindzey. New York: Appleton.

1967 ALLPORT, GORDON W.; and ROSS, J. MICHAEL Personal Religious Orientation and Prejudice. *Journal of Personality and Social Psychology* 5: 432–443.

1968*a* *The Person in Psychology*. Boston: Beacon. → Extends Allport's bibliography to the time of his death.

1968*b* Personality: Contemporary Viewpoints. Volume 12, pages 1–5 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1978 *Waiting for the Lord: 33 Meditations on God and Man*. Edited by Peter A. Bertocci. New York and London: Macmillan. → Published posthumously.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

ALLPORT, FLOYD H. (1924) 1967 *Social Psychology*. New York: Johnson.

ALLPORT, FLOYD H. (1930) 1933 The Religion of a Scientist. Pages 443–468 in *Institutional Behavior: Essays Toward a Re-interpreting of Contemporary Social Organization*. Chapel Hill: Univ. of North Carolina Press. → Originally published in the February 1930 issue of *Harper's Magazine*.

ALLPORT, FLOYD H. 1974 Autobiography. Volume 6, pages 1–29 in *A History of Psychology in Autobiography*. Edited by Gardner Lindzey. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

DITTES, JAMES E. 1968 The Psychology of Religion. Volume 5, pages 602–659 in Gardner Lindzey and Elliot Aronson (editors), *Handbook of Social Psychology*. 2d ed. Cambridge, Mass.: Addison-Wesley. → This chapter did not appear in the first edition of the *Handbook*.

DOLLARD, JOHN (1935) 1971 *Criteria for the Life History, With Analyses of Six Notable Documents.* Freeport, N.Y.: Books for Libraries Press.

EVANS, RICHARD I. 1970 *Gordon Allport: The Man and His Ideas.* New York: Dutton.

HALL, CALVIN S.; and LINDZEY, GARDNER (1957) 1978 *Theories of Personality.* 3d ed. New York: Wiley.

KAHOE, RICHARD D. 1974 Personality and Achievement Correlates of Intrinsic and Extrinsic Religious Orientations. *Journal of Personality and Social Psychology* 29:812–818.

KATZ, DANIEL L.; and ALLPORT, FLOYD H. 1931 *Students' Attitudes: A Report of the Syracuse University Reaction Study.* Syracuse, N.Y.: Craftsman Press.

MORSE, NANCY C.; and ALLPORT, FLOYD H. 1952 The Causation of Anti-Semitism: An Investigation of Seven Hypotheses. *Journal of Psychology* 34: 197–233.

SCHAFER, ROY; BERG, IRWIN A.; and MCCANDLESS, BOYD R. 1951 *Report on Survey of Current Psychological Testing Practices.* Washington: American Psychological Association.

STAGNER, ROSS (1937) 1974 *Psychology of Personality.* 4th ed. New York: McGraw-Hill.

بياچيه- چان

PIAGET, Jean.

ولد چان بياچيه فى التاسع من أغسطس عام ١٨٩٦ فى نيو شاتل بسويسرا، حيث كان أبوه يقوم بتدريس أدب العصور الوسطى بجامعتها، ومع أنه حصل على الدكتوراه من تلك الجامعة فى البيولوچيا عام ١٩١٨، (وقد ظل مهتمًا بالبيولوچيا خلال كل أعماله التجريبية)، فإنه كان مهتمًا أيضا بالفلسفة وتاريخ العلم، كما شارك فى منتدى لعلم النفس التجريبى وإحدى مؤسسات علماء التحليل النفسى . وفى عام ١٩٢٥عمل مساعداً فى معهد ألفرد بينيه Alfred Binet فى باريس، حيث شارك فى توحيد اختبار الذكاء لدى الأطفال. وأثناء تحليله لإجابات الأطفال عن الأسئلة الكاشفة المستخدمة فى ذلك المشروع؛ تحقق من أن الاستخدام الأمثل للمقابلة مع الأطفال يمكن أن يصبح مفتاحًا لاكتشاف طريقة تفكير الطفل، وفى الوقت الذى كان المشرفون على تطبيق الاختبار وأساليب القياس يركزون على التوزيع الإحصائى للإجابات الصحيحة كان - هو- مبهوراً بطريقة التفكير الواضح والتفصيلى وراء إجابات الأطفال بصرف النظر عن صحة تلك الإجابات أو خطئها . وقد انتهى بياچيه من ذلك إلى أن الوصف الدقيق لخصائص تفكير الأطفال،·وكيف يتغير ذلك التفكير باستمرار من الطفولة إلى المراهقة يمكن أن يؤدى فى آخر الأمر إلى الإجابة عن التساؤلات الخاصة بتطور الذهن الذى أدى إلى تغيير الفكر الفلسفى خلال عدة قرون . وكان بياچيه قد قرر فى هذه الأثناء ما سيكون عمله طيلة حياته وأن عليه أن يعمل على تحويل الإبستمولوچيا من دراسة التفكير الفلسفى النظرى عن طبيعة المعرفة والحقيقة العلمية إلى بحث إمبيريقى يخضع للملاحظة المقننة والاطراد المنطقى السليم .

ولقد كان واضحًا بالنسبة إليه منذ البداية أن ذلك سيكون عملاً بينيًا تشترك فيه الفلسفة والبيولوچيا وتاريخ

العلم . فالفلسفة عنصر لاغناء عنه؛ لأنها تفرض الأسئلة القاطعة وتوفر معايير التحليل المنطقى ، بينما البيولوچيا التى تقف على الطرف الآخر المواجه للفلسفة تربط العمل الإبستمولوچى بسلوك الكائن الحى . كذلك فإن تاريخ العلم وعلاقته بالحس العام لهما صلة واضحة بذلك ، وإن كان من سوء الحظ أن الوثائق التاريخية كثيراً ما تكون غير متوفرة وبخاصة بالنسبة فترات التكوين التى شهدت اكتشاف الأفكار الجديدة وتطويرها. وقد ترتب على ذلك أن بياچيه اعتبر علم النفس دراسة لتطور التفكير لدى الطفل بوجه خاص، وعلى وجه التحديد الطريق المباشر أكثر من غيره لمقاربة المشكلة الإبستمولوجية مقاربة إمبيريقية ، وفى هذا المجال بالذات تتركز معظم بحوثه؛ لذا فليس من المستغرب أن يُعتبر بياچيه بوجه عام عالم نفس حتى وإن كان هو نفسه يفضل أن ينظر إلى نفسه على أنه الرائد لعلم إمبيريقى هو الإبستمولوچيا الوراثية genetic epistemology.

والعرض السريع للاتجاهات الإبستمولوچية السابقة يكشف عن موقع أعمال بياچيه من منظور تاريخى . وكان رينيه ديكارت قد أعدّ المشهد حين فصل بين المعرفة الحسية العادية والتفكير العقلانى، وبذلك أبعد الفكر عن قاعدته البيولوچية وأصبح أصله وقدرته على توليد الحقيقة الموضوعية عن العالم مشكلة حادة وشائكة . ولقد رد الفلاسفة ذوو الميول العقلانية من أمثال لايبنيتس Leibniz الخصائص الأساسية والعامة للتفكير المنطقى إلى طبيعة الذهن كما وهبها الله، وفسروا توافقه مع العالم الموضوعى بالتوافق السعيد مع العناية الإلهية. وقد عارض الفلاسفة الإمبيريقيون البريطانيون هذه الآراء على أنها مجرد تأملات نظرية خالية من أية وقائع عيانية، وافترضوا بدلاً من ذلك التجربة الحسية على أنها القاعدة الوحيدة للمعرفة الذهنية . وقد أبرز كانط المعضلة التى أثارتها هذه الإبستمولوچيات المتعارضة باكتشافه الشخص العارف epistemic subject وذهب إلى أن المعرفة العلمية ليست

شيئًا مطلقًا ولا شيئًا عيانيا ملموسًا وإنما هى علاقة بين شخص وموضوع ، وعلى ذلك يكون للمعرفة الموضوعية مكوّنان : مكوّن موضوعى أهمله العقلانيون rationalists، ومكوّن ذاتى أنكره الإمبيريقيون dempiricists. وقد أشار كانط إلى المكوّن الموضوعى على أنه بعدى posteriori وإلى المكوّن الذاتى على أنه قبلى priori وأن مصدرالمكوّن البعدى هو الخبرة التجريبية experi- ence التى توفر المضمون الخاص بالمعرفة ، بينما يتمثل المكوّن الذاتى فى المقولات المنطقية logical categories مثل المكان والعلّيّة وأنه هو الشرط القبلى ذهنيًا للمعرفة .

وقد اعتبرت الثورة الإبستمولوجية التى أثارها كانط هى ذروة البحث الفلسفى فى طبيعة الأمور، وذلك فى وقت كانت الفلسفة والعلم لايزالان غير متفاضلين إلى حد كبير. وقد أوضح بياچيه فى عام ١٩٦٥، أن جميع فلاسفة الماضى كانوا علماء لهم دراية بمهمة الكشف الإمبيريقى الدوب والملاحظة المقننة ، ولكن نتيجة لانفصال العلوم واحدًا بعد الآخر عن مصفوفتها الفلسفية أصبحت الفلسفة نفسها مجرد تخصص ضمن تخصصات أكاديمية عديدة، واعتبرالكثيرون أن الجسر الذى كان كانط قد شيّده لحل المعضلة الإبستمولوچية قد انهار. وعلى أية حال، فقد تبين أن الأمر جد خطير لأن الفلاسفة تحولوا إلى مشكلات أخرى وأعادوا إحياء الدعاوى المتطرفة السابقة للعقلانية والأمبيريقية ولكن بأسلوب آخر وبطريقة مخالفة . وكان بياچيه قد نشأ فى محيط فكرى يتميز بازدهار العلم وانتشاره وتقدمه بشكل غير معهود ، فقد كان داروين قد أسس نظريته عن الأصل التطورى للأنواع البيولوچية ، وكان هيجل وماركس قد أبرزا الأصل التاريخى لمجتمعات معينة، كما كان فرويد قد وصف الأصل الفردى للاضطرابات العقلية الشخصية . وقد نشأت مدرسة فلسفية تكاد تكون خاضعة تمامًا لنظرة خاصة عن العلم وأعلنت أن "الحقائق" الوضعية هى الموضوعات الشرعية الوحيدة الجديرة

بالمعرفة ، وسرعان ما أدرك مؤيدو هذا المدخل الوضعى وأنصاره أنه بالإضافة إلى "الوقائع" أو الحقائق فلابد من وجود لغة لتوضيح تلك الحقائق، بحيث يمكن توصيلها أوالتعامل معها . وفى منظور هذه الوضعية المنطقية وصورتها الأكثر حداثة عن الفلسفة التحليلية تعتبر المعرفة تمثيلاً داخليًا لواقع موضوعى ، كما أن التفكير المنطقى يمكن رده إلى كل الأغراض العامة التى تتوحد مع الاستخدام الصحيح للغة السائدة المقبولة (ومن أجل تحقيق ذلك التوحد) . وكرد فعل ضد هذا المدخل التجريبى فى الفلسفة، وكذلك ضد علم النفس الأكاديمى الذى كان قد تطور ونما داخل إطار وضعى محكم أكد الفلاسفة الحيويونvitalistic والفنومنولوجيون الجانب الذاتى للخبرة البشرية، وذهبوا إلى حد القول بأن المعرفة "الموضوعية" للعلم والمعرفة "الذاتية" للتجربة الإنسانية مختلفتان اختلافًا جذريًا لدرجة أنه قد يستحيل التوفيق بينهما .

وحين بدأ بياچيه بحوثه الخاصة أخذ فى الاعتبار كل هذه الاتجاهات الإبستمولوچية على الرغم من أن موقفه الخاص كان يتعارض معها جميعا . فعن طريق استخدام أسلوب المقابلة الإكلينيكية كأداة للتعمق فى أصل المقولات القبلية عند كانط عرّض بياچيه نظرية كانط عن التنظير الفلسفى للتحقق الإمبيريقى. وحين تساءل بياچيه عن كيف نحصل على المعرفة بدلا من أن يسأل عن طبيعة المعرفة، كان فى حقيقة الأمر قد حوّل التساؤل الفلسفى إلى فحص إمبيريقى ، وبذلك يكون قد تابع فقط فكرة بيكون Bacon عن أنه لكى نفهم شيئا ما؛ فلابد من معرفة طريقة تركيبه.

وفى عام ١٩٢١، عرض عالم النفس المشهور إدوار كلاباريد Edu-ard Claparéde - الذى كان قد قرأ أولى مقالات بياچيه فى علم النفس - وظيفة مدير بالدراسات فى معهد چان چاك روسو على بياچيه الذى شرع مباشرة فى ممارسة مهمته فى البحث

والتعليم والنشر، مما نتج عنه في آخر الأمر أكثر من ستين كتاباً وعدد كبير من تقارير البحوث والمقالات . وفي عام ١٩٢٥، أصبح بياچيه أستاذاً لعلم النس وعلم الاجتماع وفلسفة العلم في نيوشاتل ، وبعدها بأربع سنوات عاد إلى چنيف حيث عاش بقية حياته (*) . وبعد أن تولى تدريس تاريخ العلم في جامعة چنيف لعشر سنوات أنشأت تلك الجامعة كرسي علم النفس التجريبي لكي يشغله في الفترة من ١٩٤٠ حتى تقاعده عام ١٩٧١ . وقد ظل منذ عام ١٩٢١ حتى النهاية يمارس نشاطه البحثي في المعهد إلى أن أصبح مديراً له، وذلك بالإضافة إلى قيامه بالتدريس في جامعة لوزان (١٩٣٨ و١٩٥١) وفي السوربون (١٩٥٢ و ١٩٦٣) . وفي عام ١٩٥٦ أنشأ مركزاً للدراسات البينية لدراسة الإبستمولوچيا الوراثية في چنيف،وكان المركز يعقد ندوة سنوية ويصدر سلسلة من التقارير البحثية .

وبعد مجيء أطفاله الثلاثة بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٣١،اهتم بياچيه بدراسة السمات السلوكية للنمو الذهني في تصرفات الأطفال ثم التوسع في نظريته التركيبية constructive التي ظهرت في الفترة من ١٩٢٤ و ١٩٣٢، في كتبه الخمسة الأولى عن تفكير الطفل . وقد لاحظ أن بعض التصورات مثل فكرة الموضوع والمكان والزمان والعليّة لم تكن موجودة عند الولادة؛ لكنها تكونت تدريجياً خلال السنتين الأوليين من الحياة . وقد وصف في ثلاثة من كتبه التي ظهرت حول تلك الفترة ست مراحل فرعية للنمو تؤلف ما أطلق عليه فيما بعد اسم المرحلة الحسية الحركية ابتداءً من المرحلة الفرعية (١) التي تكاد تكون انعكاسية reflexive خالصة (أو مبرمجة غرزيا) حتى المرحلة الفرعية رقم ٦ التي تسبق مرحلة النشاط الفعّال أو الإجرائي . فالنشاط الانعكاسي ينتمي إلى منطق الفيزيولوچيا والجهاز العصبي ، والنشاط الحسي الحركي هو منطق العقل ، أما المنطق العادي للتفكير الانعكاسي لدى البالغين فهو منطق العمليات الإجرائية التي تمثل مراحل النمو الثلاث الأساسية . ومن

المهم أن نفهم وندرك الجوانب المشتركة بينها جميعا، وكيف يختلف بعضها عن بعض . فالحركة الحسية هي وسيلة/غاية للذكاء الذى يستفيد من التجربة السابقة، كما أنها تتولى تنسيق وربط الأفعال الخارجية من أجل الوصول إلى أهداف محددة ، وهذا يتعارض مع النشاط الانعكاسى الذى يكون مبرمجًا من قبل (بفعل التطور) نحو الهدف والفعل الخارجي، وكذلك مع النشاط الفعّال أو الإجرائى الذى يدور حول المفاهيم والتصورات والتمثيلات والفعل الذهنى (وليس الفعل الخارجي البحت) . وقد اكتشف بياچيه أن الجسر الذى أراد أن يقيمه بين البيولوچيا والمنطق (الإجراءات) موجود فى المنطق الحسى الحركي للفعل . فثمة منطق فى الفعل لأن كل فعل يتضمن تمثيلاً للحقائق الخارجية لما يسميه بياچيه بالخطط . وليس النمو سوى تركيب تدريجى لخطط ذلك التمثيل .

ولننظر الآن إلى مفهوم "الأشياء" أو الموضوعات objects. ولدينا على سبيل المثال الكتاب الذى تقرأه الآن . فهذا المفهوم لايشير إلى معرفتك بماهية الكتاب وإنما يقصد به بالأحرى الفكرة الأكثر بساطة عن أن الكتاب هو شيء يتعلق بالمعرفة وله وجود مستمر ومنفصل عن أفعالك الحسية الحركية الواقعة على الكتاب. ولقد بيّن بياچيه أن الأطفال الصغار لا يبحثون أبدًا عن الأشياء التى تختفى من أمامهم ، ولكن حين يبدأون فى مرحلة تالية بالبحث عنها فإنهم يبحثون أولاً فى المكان الذى كانوا قد سبق لهم أن وجدوا ذلك الشيء فيه حتى وإن كانوا يدركون أنه مخبوء فى مكان آخر . والظاهر أن الأشخاص والأشياء الموجودين فى الوسط المحيط بالأطفال لايؤلفون بالنسبة إليهم كيانات متمايزة، وإنما هم مجرد امتدادات لنشاطهم هم أنفسهم . ولا تبدأ عملية البحث المنظم عن الشيء المخبوء إلاّ قبيل انتهاء تلك المرحلة الحسية الحركية . وقد توصّل بياچيه من ذلك إلى أن الأطفال قد اكتسبوا فكرة استمرار الشيء المخبوء فى الوجود داخل إطار من مفاهيم

الزمان والعلية والمكان وإن كانت كلها محددة بفعل المعرفة الحسية الحركية .

و عند هذه النقطة تبدأ المعرفة الذهنية المرتبطة بالقدرة على تصور الأحداث غير الموجودة . وعن طريق الاستعانة بعدد متزايد من التلاميذ والمساعدين من أمثال باربل إنهلدر Barbel Inhelder أمكن لبياچيه أن يكرّس سلسلة كاملة من الأبحاث والمطبوعات التى بدأها حوالى عام ١٩٤٠ للوصف التفصيلى لتطور العديد من التصورات والمفاهيم العامة مثل العدد والكمية والزمان والحركة والسرعة والمكان والهندسة والصدفة والإجراءات التجريبية والطبقات والعلاقات وغيرها . بالإضافة إلى ذلك جمع بياچيه أبحاثه العديدة عن الإدراك فى كتاب واحد (عام ١٩٦١) وأتبعه بأعماله عن الصور الذهنية mental images مع إنهلدر Piaget & Inhelder 1966 b وعن الذاكرة (Piaget & Inhelder 1968). وفى هذه الأعمال بيّن بياچيه كيف أن فعل المعرفة عن الذكاء الحسي الحركى يتحول تدريجيًا إلى معرفة ذهنية (دون أن يفقد خاصيته كفعل) .

والمثال على ذلك هو أن الأطفال فى سن عامين يكون لديهم إطار واضح نسبيا عن المكان (كما يبدو من حركاتهم وإدراكاتهم)، ولكن الأمر يتطلب عشر سنوات تقريبًا لكى يتمكنوا من إعادة بناء ذلك الإطار على مستوى نظرى . ويشير بياچيه فى ذلك إلى أطر المعرفة الإدراكية الثابتة stable conceptual knowledge التى تتضمن نسقًا مطردًا ومستمرًا يستطيع الفرد أن يتحرك فيه ذهنيًا من أى نقطة لأخرى ثم يعود إدراجه لنقطة البداية . وفى عبارات سيكولوچية فإن التفكير القائم على عمليات إجرائية هو تفكير قابل للارتداد reversible وبالتالى يكون راسخًا وثابتًا stable. فحين نقوم مثلاً بتشكيل قطعة من الصلصال على شكل عمود رفيع؛ فإننا ندرك حدوث تغيرات معينة، لكننا نعرف فى الوقت ذاته أن كمية الصلصال ثابتة لم تتغير. وهذا

يمثل أشهر تجربة لبياچيه عن استمرار الكم . conservation of quantity وتتحقق أول مرحلة للعمليات من سن السابعة إلى العاشرة، وتعرف باسم العمليات أو الإجراءات العيانية أو الملموسة concrete operations لأنها تركز على أحداث واقعية أو متخيلة . أما المرحلة الأكثر اكتمالاً فهى العمليات والإجراءات الإصطلاحية for-mal التى يستطيع الفرد من خلالها أن يتعامل مع الحقيقة الواقعية المنطقية ذاتها (فى شكل قضايا) proposi-tions. وتعتبر الحقيقة الملموسة هى مجرد واحدة ضمن احتمالات وإمكانات نظرية عديدة . وعلى الرغم من أن العمليات والإجراءات هى تركيبات فردية؛ فإنها ليست متفردة individual-istic بل على العكس ، إذ إن المنطق بالنسبة إلى بياچيه يعبر عن كل ماهو مشترك بين عقول البشر، وهذا ما يجعل التعاون الحقيقى بين البالغين أمراً ميسوراً . وينبغى لنا أن نلاحظ أن المراحل التى يصفها بياچيه (الانعكاس وماقبل العمليات الحسية الحركية) تستخدم بالنسبة إلى تنسيق الأفعال والتصورات أكثر مما تستخدم للطفل، كما أن المفاهيم تتعلق بالمراحل وليس بالبشر . ففى الشخص تمتزج كل هذه المراحل كما أن الناس يتصرفون ويعملون على أعلى المستويات الممكنة حين تسمح أحوالهم الداخلية وظروفهم الخارجية بذلك .

فى الوقت الذى كانت تجرى فيه تلك البحوث السيكولوچية كان بياچيه يواصل اهتماماته الأكثر تخصصاً حول المشكلات الإبستمولوچية فى المنطق وتاريخ العلم والبيولوچيا . ففى كتابه عن البيولوچيا والمعرفة Biology and Knowledge (1967a) حاول التوفيق والربط بين صور المعرفة الدنيا والمعرفة العليا وبين العمليات التطورية والعمليات التنموية . ويعكس كتابه عن المنطق والمعرفة العلمية Logique et Connais-sance Scientifique (1976b) منظوره عن المشكلات الإبستمولوچية الكامنة وراء فروع التفكير العلمى المعاصر . ويضم الكتاب إسهامات ثمانية عشر متخصصاً فى تلك الفروع .

ويمكن القول إن كل أعمال بياجيه التالية كانت تدور حول مفهوم التوازن equilibiration الذى كان يشغل مكانًا مركزيًا فى تفكيره منذ بداية نشاطه العملى . وقد تطلب الأمر حوالى خمسين سنة قبل أن ينشر كتابًا (١٩٧٥) مرضيًا بعض الشىء فى هذا الموضوع؛ انتقد فيه قصور دراساته السابقة، وهو ما يدل على تفرده فى المثابرة العلمية وعلى الأهمية البالغة لذلك المفهوم . فمكانة التوازن بالنسبة إليه تشبه مكانة الجاذبية بالنسبة نيوتن . فثمة وجهة نظر تعتبر المعرفة "علاقة". فعلى المستوى البيولوچى تقوم هذه العلاقة بين الكائن العضوى والبيئة : وعلى المستوى الإنسانى تكون العلاقة بين الشخص والموضوع . ولكن هناك وجهة نظر أخرى تعتبر المعرفة وحدة كلية ذات بناء متماسك تترابط فيه كل مفردات تفكير الشخص مع نمط تفكيره الكلى الشامل . وكلتا النظرتين تعززهما بقوة ملاحظاته السيكولوجية العديدة عن تفكير الأطفال . ويظهر هذا المدخل (العلاقى) بوضوح فى مفهومى التمثيل assimilation والتوافق accommodation كوظيفتين متكاملتين فى كل أشكال المعرفة . فالتمثيل هو عملية استيعاب أبنية المعرفة للمعلومات، بينما التوافق هو تعديل وتكييف هذه المعلومات لأبنية المعرفة المعينة . ويظهر المدخل البنائى فى وصفه لمراحل التطور، ولكن كلتا النظرتين تتعرض للتشويه إذا أخفق الشخص فى إدراك أنه فى تحصيل المعرفة knowing تكون الأولوية للعلاقات، بينما يحتل طرفا العلاقة مرتبة ثانوية ومشتقة . وبعبارة أخرى فإنه بالنسبة إلى بياچيه لا تفترض نظرته ببساطة وجود تفاعل بين شخص وموضوع موجودين من قبل، وإنما هى نظرة أكثر رسوخًا وأصالة وتقرر أن مانسميه شخصًا وموضوعًا هما نتاج لعلاقات معينة ، وأنه إذا كان فى استطاعتنا أن نتكلم عن المعرفة (مثل حدث تاريخى أو برهان رياضى) كما لو كان لها وجود مجرد، فإن ذلك يكون وهمًا ناشئًا عن القدرة الذهنية على الفصل بين الشخص والموضوع . وفى

منظور بياچيه أن الحدث التاريخى أو البرهان الرياضى يوجد فقط بالنسبة إلى عقل الذى يستطيع أن ينتج ويفهم ذلك الحدث أو البرهان . وبالمثل فإن ذلك العقل يُعتبر نتاج وحصيلة سنوات نمو الفرد، -وفى الوقت ذاته- ملكًا مشاعًا بين البالغين الذين تم تطبيعهم بالنسبة إلى مجتمع تاريخى معين .

ولو تخيلنا الشخص والموضوع على أنهما الطرفان اللذان تربط بينهما المعرفة، فإن ذلك سوف يقتضى إقامة نوع من التوازن بينهما . وهذه عملية أصيلة وغريزية فى ذهن الشخص وهى التى تتولى التنسيق بين العلاقات وجعلها مفيدة فى بناء شخص عقلانى (نسبيًا) ومجتمع متناسق (نسبيًا) وعالم المعرفة . وباعتبار المعرفة عملية حية فإنها تكون عملية ديناميكية ومتمددة وليست استاتيكية (كما هو الحال فى التوازن الفيزيقى)، وتميل المعرفة بحكم وظيفتها الخاصة إلى بناء وتكوين منظورات متجددة دائماً ، وهذه الأبنية أو التكوينات الجديدة تنتج صراعات داخلية جديدة تؤدى بدورها إلى قيام أبنية وتكوينات أخرى جديدة، وبهذه الطريقة يتقدم النمو بعملية جدلية متصاعدة بين الشخص والموضوع وبين الملاحظة الإمبيريقية والبناء النظرى . وإقامة التوازن يبين أن الشروط الفسيولوچية (مثل النضوج matura-tion والوراثة) والخبرات البيئية (المجتمع) تسهم فى النمو حتى ولو لم تكن سببًا مباشرًا فيه. والواقع أن عملية التوازن تلغى الحاجة إلى افتراض أسباب أو علل خارجية للنمو الذهنى مثلما ألغت الجاذبية الحاجة إلى افتراض علة خارجية لحركة الكواكب planetary motion.

والواقع أن منظورات بياچيه لا تتلاءم بسهولة مع النماذج المثالية par-adigms المهيمنة على علم النفس الأكاديمى السائد الآن، مثل نموذج المؤثر- الاستجابة أو الضبط السلوكى ومعالجة المعلومات وقياس الفوارق الفردية والتعلم اللفظى والاجتماعى . ومع أن أفكار بياچيه كثيرًا مايتم الاستشهاد بها للتدليل فى بعض الأحيان على عدم اتساقها الظاهرى، وفى أحيان أخرى لتدعيم مداخل تنموية جديدة فإن محاولات دمج نماذجه

المثالية مع غيرها كثيراً ما تؤدى إلى البلبلة بدلاً من التوضيح . والانتقادات الأساسية التى توجه إلى بياچيه تدور حول عدم وجود قياسات دقيقة تدعم نظرياته وأن مفهوماته كثيراً ما تفتقر إلى الوضوح . ففيما يتعلق بالنقطة الأولى تجدر ملاحظة أن نتائج بياچيه كانت دائماً من أكثر الملاحظات عن السلوك البشرى تكراراً واستقراراً. وتوجد الآن بالفعل مئات من دراسات التكرار فى الأدبيات السيكولوچية . وعلاوة على ذلك، فإن المواءمة العملية لأفكاره تظهر بوضوح شديد فى المجال التطبيقى للتعليم ، ذلك أن منظوره الثورى عن المعرفة وتطورها يوفر أساساً قوياً لعدد كبير من المداخل والمقاربات الحديثة لتعليم الرياضيات والعلوم، ولبيئة عامة شاملة للصحة العقلية فى المدرسة ، وترجع معظم حالات سوء الفهم إلى التضارب والصدام بين النماذج العقلية المثالية ، ولهذا السبب وحده يلزم إبراز وتوكيد الاختلافات الجذرية بدلاً من المشابهات السطحية بين النماذج المثالية السائدة.

وقد يكون من المفيد أن نميز هنا بين خمسة اختلافات محددة هى : (١) *الذكاء Intelligence*: تقيس اختبارات الذكاء الاختلافات الفردية إزاء معيار معين وتحدد من الناحية النظرية إلى أى حد تسهم بعض الشروط المعينة مثل نوع البيئة فى تكوين الذكاء الخاضع للقياس لدى شخص معين . ويركز بياچيه فى أبحاثه على خصائص الذكاء العامة المشتركة بين جميع الناس ويصف التغيرات البنائية، كما تظهر فى مراحل النمو ويصف الوظائف المشتركة العامة فى كل هذه المراحل، كما يقرر أن عملية التوازن هى السبب الرئيسى للنمو الذهنى، بينما تعتبر الوراثة والبيئة مجرد ملابسات وليست عللاً أو أسباباً تفسر ذلك النمو . (٢) *النمو Develop-ment*: يرفض بياچيه الثنائية التقليدية للنمو إلى النضوج maturation من ناحية (الوراثة) وإلى التعلم (البيئة) من الناحية الأخرى ، ويفصل العمليات الفسيولوچية فى النضوج عن التعلم ، والاحتفاظ بالمعلومات عن النمو الداخلى . (٣) *الذاكرة Memory*: لا يعتبر بياچيه الذاكرة عملية منفصلة عن

الذهن intellect ولكنه يميز على الأقل بين ثلاثة أشكال من الذاكرة ارتكانًا على علاقتها بالذهن . الشكل الأول هو استقرار أو ثبات إطار الفهم (وهو فى الحقيقة ليس ذاكرة لأن ذلك هو ذكاؤنا المستقر) ، والثانى هو التعرّف recognition الحسى الحركى الذى يقتصر على الفعل الحاضر ، والثالث هو الاستدعاء الإجرائى operatory recall الذى هو إعادة بناء داخلى . (٤) _المعرفة Knowledge_: بالنسبة إلى بياچيه يعتبر الذهن والمعرفة الصادرة عنه أو المترتبة عليه أمرين ممتدين بامتداد الحياة الإنسانية . فكل سلوك يشارك فى المعرفة ، وليس هناك فصل جذرى بين الفعل والمعرفة أو بين الإدراك والفعل أو بين الشعور واللاشعور أو بين الأفعال الشخصية والاجتماعية . فثمة مكوّن معرفى فى كل هذه الأشكال من السلوك . (٥) _اللغة Language_: فى نظرية بياچيه يُعتبر الاتصال والتواصل الاجتماعى مسألة جوهرية فى توفير الملابسات البيئية للنمو . وعلاوة على ذلك فإن التفكير النظرى الجاد (بعكس التفكير غير الجاد أو السلبى) يأخذ بفضل فاعليته الذاتية طابع الحوار الداخلى . وهذه اللغة الداخلية أو الباطنية هى نتيجة للتغلب على اتجاه التمركز حول الذات . وتعتبر "اللغة" العقلية التى تتم بها هذه العملية لغة ثانوية، وقد تكون متناثرة أو جزئية أو خاصة وذاتية تمامًا . ومن هنا كانت لغة المجتمع تسهّل النمو فى حدود أدائها وظيفة التواصل . ومع ذلك فإنها فى حد ذاتها مجرد فرصة لتحصيل المعلومات وليست وسيلة لتعزيز الفهم البنائى . والواقع أنه حتى مرحلة النشاط المحسوس الملموس فإن أقصى معرفة لدى الأطفال تتجاوز ما يستطيعون التعبير عنه بالكلام . بل إن تفكير البالغين كثيرًا ما لا يتلاءم بدرجة كافية مع لغة المجتمع مما يستلزم اختراع لغة أخرى رسمية (كالجبر مثلاً) .

والنتيجة هى أن أعمال بياچيه تغطى فترة أطول من ستين عامًا ظهرت وسادت أثناءها -أو تدهورت وتوارت- اتجاهات فكرية عديدة فى العلوم البيولوچية والاجتماعية وفى الفلسفة . ونتيجة للخصائص الإبداعية

فى أعمال بياچيه التى لم تتقيد دائمًا بالخطوط الأكاديمية التقليدية أن استمرت بحوثه بشكل مطرد، كما تمددت عضويًا ولكن بعيدًا إلى حد ما عن غيرها من البحث الأكاديمى ، ولذا فإن الاستجابة لها والاعتراف بقيمتها العلمية كانت إلى حد كبير وظيفة لهذه الاتجاهات المتنوعة . ولكن بعد فترة من القبول الحماسى المبدئى تعرضت أفكاره للإهمال فى علم النفس الأمريكى إلى أن ظهر من جديد الاهتمام بمشكلة النمو فى أوائل الستينيات. ومع ذلك - وكما سبق أن ذكرنا - فإن النظر إلى بياچيه على أنه فى المحل الأول عالم نفس يعتبر سوء تقدير لأهم أعماله الأساسية التى تعتبر أكبر، وفى الوقت نفسه أقل من علم النفس لأنها تشتمل على مجالات أخرى تتعلق ببحوثه الخاصة مثل: الفلسفة والبيولوچيا وتاريخ الأفكار وعلم الاجتماع والتربية والطب النفسى .

وسواء أكان بياچيه راغبًا عن - أو عاجزًا عن- تأسيس مدرسة مثلما فعل فرويد وغيره من المجددين الذين نشروا أتباعهم خلال كل المشهد الأكاديمى، فإن الاختبار الأخير والنهائى على صدق وسلامة مدخله يصعب قياسه بمدى قبوله فى الأوساط الأكاديمية بصفته تخصصًا مستقلاً ومتميزًا. والذى يهم فى الأمر هو الانفتاح و المواءمة المستمرة لأفكاره إزاء الاتجاهات والمشكلات الأكثر تقدمًا فى تلك التخصصات والمجالات المتنوعة التى تؤلف بشكل دقيق فكرته الأصيلة عن الإبستمولوچيا الوراثية genetic العلمية البينية التى تنتمى إلى أكثر من تخصص واحد.

(*) توفى چان بياچيه فى السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٨٠ . (المترجم)

المؤلف : Hans Furth

المترجم : أحمد أبوزيد

WORKS BY JEAN PIAGET

WORKS BY PIAGET

(1923) 1967 *The Language and Thought of the Child.* 3d ed., rev. & enl. London: Routledge; New York: Humanities Press. → First published in French.

(1924) 1965 *Judgment and Reasoning in the Child.* London: Routledge. → First published in French. A paperback edition was published in 1976 by Littlefield.

(1926) 1960 *The Child's Conception of the World.* London: Routledge; New York: Humanities Press. → First published in French. A paperback edition was published in 1975 by Littlefield.

(1927) 1966 *The Child's Conception of Physical Causality.* New York: Humanities Press. → First published in French. A paperback edition was published in 1972 by Littlefield.

(1932) 1965 *The Moral Judgment of the Child.* New York: Free Press. → First published in French.

(1936) 1963 *The Origins of Intelligence in Children.* New York: Norton. → First published in French.

(1937) 1954 *The Construction of Reality in the Child.* New York: Basic Books. → First published in French. A paperback edition was published in 1975 by Ballentine.

(1941) 1964 *The Child's Conception of Number.* New York: Humanities Press. → First published in French.

(1946) 1962 *Play, Dreams and Imitation in Childhood.* New York: Norton. → First published as *La formation du symbole chez l'enfant.*

(1955) 1958 PIAGET, JEAN; and INHELDER, BÄRBEL *The Growth of Logical Thinking From Childhood to Adolescence: An Essay on the Construction of Formal Operational Structures*. New York: Basic Books. → First published in French.

(1959) 1969 INHELDER, BÄRBEL; and PIAGET, JEAN *The Early Growth of Logic in the Child: Classification and Seriation*. New York: Norton. → First published as *La genése des structures logiques élémentaire*.

(1961) 1969 *The Mechanism of Perception*. London: Routledge. → First published in French.

(1965) 1971 *Insights and Illusions of Philosophy*. New York: World Books. → First published in French.

(1966*a*) 1971 PIAGET, JEAN; and INHELDER, BÄRBEL *Mental Imagery in the Child: A Study of the Development of Imaginal Representation*. New York: Basic Books. → First published in French.

(1966*b*) 1969 PIAGET, JEAN; and INHELDER, BÄRBEL *The Psychology of the Child*. New York: Basic Books. → First published in French.

(1967*a*) 1971 *Biology and Knowledge: An Essay on the Relations Between Organic Regulations and Cognitive Processes*. Univ. of Chicago Press. → First published in French.

1967*b* *Logique et connaisance scientifique*. Encyclopédie de la Pléiade, Vol. 22. Paris: Gallimard. →

Volume published under the direction of Jean Piaget.
1968a Claparède, Édouard. Volume 2, pages 501–502 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.
1968b Developmental Psychology: II. A Theory of Development. Volume 4, pages 140–147 in *International Encyclopedia ofthe Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.
1968c (1970) *Structuralism.* New York: Basic Books. → First published in French.
(1968) 1973 PIAGET, JEAN; and INHELDER, BÄRBEL *Memory and Intelligence.* New York: Basic Books. → First published in French.
(1975) 1977 *The Development of Thought: Equilibration of Cognitive Structures.* New York: Viking. → First published in French.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

Cognitive Development and Epistemology. Edited by Theodore Mischel. 1971 New York: Academic Press.
EVANS, RICHARD I. 1973 *Jean Piaget: The Man and His Ideas.* New York: Dutton. → Includes an autobiography of Piaget and a list of his major published works.

Flavell, John H. 1963 *The Developmental Psychology of Jean Piaget.* Princeton, N.J.: Van Nostrand.

Furth, Hans 1969 *Piaget and Knowledge: Theoretical Foundations.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

Gardner, Howard 1973 *The Quest for Mind: Piaget, Lévi-Strauss, and the Structuralist Movement.* New York: Knopf.

Piaget and His School: A Reader in Developmental Psychology. Edited by Bärbel Inhelder et al. 1976 New York: Springer.

Rotman, Brian 1977 *Jean Piaget: Psychologist of the Real.* Ithaca, N.Y.: Cornell Univ. Press.

بيرت، سيرل

Burt, Cyril.

يعد سيرل بيرت (١٨٨٣-١٩٧١) واحداً من الرواد القادة في تطور علم النفس بوصفه دراسة علمية تطبيقية ، وعندما كان تلميذاً في المدرسة اتصل بالعلاّمة فرانسيس جولتون Galton Francis ، وتأثربه، ومن الممكن أن نعتبر بحوث سيرل بيرت في أساسها محاولة لتدعيم التقليد " الجولتوني" (نسبة إلى جولتون) في سيكولوجية الفرد ، ويركز هذا التقليد على أهمية الفروق الفردية في القدرات والشخصية وعلى دور الوراثة في تحديد هذه الفروق ، فضلاً عن الحاجة إلى تطوير المناهج الكمية حتى نتمكن من الدراسة العلمية للقدرات والشخصية، ومنذ نشر بيرت أول مقال له عن الذكاء في عام ١٩٠٩ ، حتى وفاته عام ١٩٧١؛ عمل بجد وإخلاص وبتوجه أحادي خلال الإطار " الجولتوني".

لقد قضى بيرت طفولته في لندن في ظروف متواضعة ، حيث كان والده يعمل ممارسًا طبيًا مكافحًا ، وبعد تسع سنوات من ولادة طفله (سيرل) ، غادر الدكتور بيرت العاصمة لندن ، وانتقل بعمله إلى منطقة ريفية قريبة من ستراتفورد- أفون حيث بدأت تتكون علاقاته بجولتون ، فقد كانت أسرة جولتون تقيم في قرية قريبة ، وأصبح الدكتور بيرت الأب طبيبًا لتلك الأسرة . وكان سيرل الصغير يصحب والده في جولاته أو زياراته الطبية في أثناء الإجازات المدرسية ، وبهذه الطريقة تقابل لأول مرة مع فرانسيس جولتون الشهير، وكان لهذا اللقاء تأثير دائم وحاسم في تطوره .

إلا أن دخول بيرت مجال علم النفس كان بطيئًا وشاقًا . ففي بداية القرن العشرين، كان من الصعب أن يحصل المرء على تعليم متميز أو أن يحقق حياة مهنية مميزة في بريطانيا العظمي . وحيث إن والد سيرل لم يكن أبدًا صاحب ثروة مالية ، فقد اعتمد

تعليم سيرل – بشكل كلي إلى حد بعيد– على جهوده الخاصة وعلى نجاحه في الحصول على المنح الدراسية ، فقد كان موهوبًا من الناحية الدراسية ومحبًا للاستطلاع في الجوانب العقلية ، كما كان مثابرًا لا يعرف الكلل، وسريعًا في فهم الأمور ، ومن ثم فقد شق طريقه – بادئ ذي بدء – إلى المدرسة العتيدة : "مدرسة مستشفى المسيح " في لندن ، ثم إلى جامعة أوكسفورد . وتركزت دراسته في المدرسة والجامعة – في المقام الأول– حول اللغات الكلاسيكية القديمة والأدب اليوناني والروماني ، وقد اكتسب معارفه الرياضية والعلمية معتمدًا في الأساس على جهوده الخاصة بعد أن ترك المدرسة ، ومع ذلك فقد كانت المناهج الدراسية الكلاسيكية في جامعة أوكسفورد شاملة، إذ تضمنت مقررات في الفلسفة القديمة ، والمنطق ، فضلاً عن علم النفس بوصفه دراسة إضافية اختيارية. ومن حسن الطالع بالنسبة إلى بيرت ، أن وليم مكدوجل McDougall. William كان قد تم تعيينه في التو ليتولى رئاسة قسم علم النفس في أوكسفورد، وأصبح بيرت أول طالب له. وكان مكدوجل بعد جولتون– هو المؤثر الأساسي الآخر الذي شكل تطور بيرت في دراسة علم النفس ، فقد دعمه مكدوجل في عزمه على اتخاذ علم النفس مهنة له، وقدم له أول فرصة للعمل . ففي عام ١٩٠٢ قررت الرابطة البريطانية لتقدم العلم – نتيجة لدعم جولتون أساسًا – أن تبدأ مسحًا أنثروبومتريًا لقياس أبعاد جسم الشعب البريطاني ، يشمل قياس كل من الخصائص الجسمية والنفسية . وفي عام ١٩٠٧ تكونت لجنة فرعية تحت رئاسة مكدوجل للتخطيط للجانب النفسي من هذا المسح ، وفي هذا المشروع ، اختار مكدوجل تلميذه بيرت للقيام بفحص الذكاء على ضوء تصور مفاده التحقق من بعض الأفكار عن وجود الذكاء العام وطبيعته التي أعلنها تشارلز سبيرمان C. E. Spearman قبل ذلك ببضع سنوات . وقام بيرت بتنفيذ الجانب العملي لهذه الدراسة في العامين ١٩٠٧/١٩٠٨ بعد تخرجه مباشرة ،

ونشر نتائجه في عام ١٩٠٩ ، وكان ذلك بمثابة وضع الأساس لكل البحوث التالية في حياته العلمية. وفي الوقت ذاته طور تعليمه في مجال علم النفس بقضاء صيف عام ١٩٠٨،في معمل "أوزفالد كوليه" Oswald Kulpe في جامعة "فورتزبورج" في ألمانيا. وحصل على أول وظيفة له، وهى محاضر في علم النفس بقسم علم وظائف الأعضاء (الفيزيولوجيا) الذى كان يترأسه "شيرنجتون" S. C. Sheringtonفي جامعة ليڤربول بإنجلترا. وقضى بيرت خمسة أعوام (١٩٠٨-١٩١٣) مع شيرنجتون ، وعلى الرغم من عدم حصوله على التدريب على إجراء البحوث الفيزيولوجية في حد ذاتها ، فقد تأثر كثيرًا - دون شك - بوجهة النظر العامة لشيرنجتون عن الوظيفة التكاملية للجهاز العصبي ، وعن العلاقات المتبادلة بين العقل والمخ.

وفي عام ١٩١٣، عاد بيرت إلى مكان مولده : لندن حيث عُين اختصاصيًا نفسيًا في مجلس ريف لندن ، وكان ذلك تعيينا جديدًا، والأول من نوعه في بريطانيا العظمى. وكانت مهمة بيرت معاونة لجنة مجلس التعليم- التي كانت مسئولة عن مدارس لندن- في مهمتين أساسيتين هما : تحديد التلاميذ الذين يتطلبون رعاية خاصة وقياس مختلف جوانبهم ، وهم التلاميذ الذين يعانون إما من التخلف العقلي وإما من سوء التوافق السلوكي، ومساعدة اللجنة في اختيار التلاميذ الموهوبين ليلتحقوا بالتعليم الثانوي، ممن كانوا لا يستطيعون عندئذ تحمل دفع نفقات هذه المرحلة ، حيث كان التنافس شديدًا على الالتحاق بالتعليم الثانوي . وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف ، أجرى بيرت مسحًا منظمًا لتوزيع القدرات التربوية لدى أطفال المدارس في لندن ، كما صمم وقنن مجموعة من الاختبارات العقلية والمدرسية التي ظلت تستخدم لأكثر من أربعين عامًا. وكان من بين اختباراته واحدة من النسخ البريطانية المبكرة لمقياس بينيه A. Binet للذكاء ، واختبار الاستدلال اللفظي ، الذي ترجع أهميته

إلى أنه أمد چان بياچيه Jean Piaget بتبنيه لبحوثه المبكرة عن تطور الذكاء، وبالإضافة إلى عمل بيرت في مجال القياس النفسي ، فإنه أنشأ في الواقع أول عيادة لتوجيه الطفل في بريطانيا العظمي ، وكونت المادة التي جمعها في هذا العمل العيادي (الإكلينيكي) محور بحثيه الكلاسيكيين ، وهما: الجانح الصغير The Young Delinquent (عام ١٩٢٥) ، والطفل المتأخر The Backward Child (عام ١٩٢٧).

وشغلت الواجبات الاعتيادية (الروتينية) لبيرت في مجلس ريف لندن جزءًا فقط من وقته ، وقضى بقية وقته بطرق عدة ، فقد انشغل في أثناء الحرب العالمية الأولى - لبعض الوقت - بالعمل الإحصائي في وزارة الحرب ، وبعد الحرب ساعد المعهد القومي لعلم النفس الصناعي الذى تأسس في عام ١٩٢١ في إنشاء خدمة التوجيه المهني ، وترأس مشروعًا بحثيًا عن التوجيه المهني . وفي عام ١٩٢٤ أصبح - لجزء من الوقت - أستاذاً لعلم النفس التربوي في كلية لندن لتدريب المعلمين ، وهي مؤسسة لتدريب المعلمين تابعة لجامعة لندن ، وبالإضافة إلى ذلك، شجعه مجلس ريف لندن على إجراء بحوثه الخاصة ، وفي هذا الصدد بدأ في جمع بيانات عن التوائم ، وهى المادة التي نشرت بعد عدة سنين، وأصبحت بؤرة كبيرة للجدل والخلاف.

وقد شغل بيرت وظيفة اختصاصي علم النفس في مجلس ريف لندن من عام ١٩١٣ إلى عام ١٩٣٢ ، وخلال هذه الفترة لم يكن يضطلع بواجباته الاعتيادية (الروتينية) فقط بمزيد من الطاقة والكفاءة ، ولكنه قام أيضًا - بمعاونة المدرسين ، والاختصاصيين الاجتماعيين ، ومساعدي الباحثين - بجمع قدر كبير من البيانات العيادية (الإكلينيكية) والخاصة بالقياس النفسي، وفي الحقيقة فقد جمع - في هذه الفترة - معظم البيانات التي استفاد منها في منشوراته التالية. وكانت البيانات التي جمعها ضخمة من الناحية الكمية، ولكن كثيرًا منها كان ينقصه- من الناحية الكيفية - الإتقان والدقة التي تتطلبها

مادة البحوث ، فقد جمعت غالبية هذه البيانات بشكل تصادفي وثانوي بالنسبة إلى واجباته العملية بوصفه عالم نفس تربويًا، وجمعت هذه المادة لأغراض متعددة ومختلفة ، كما جُمع كثيرٌ منها بوساطة مساعدين ينقصهم التدريب السيكولوجي المناسب . ونتيجة لذلك شعر " بيرت" بأنه مخول لتعديل درجات الاختبارات على ضوء دلائل أخرى من النوع الذاتي غالبا. فقد كانت لديه مهارة فائقة في التوصل إلى استنتاجات عن طريق الاستدلال الإحصائي من بيانات غير كاملة، ولكن يظل التساؤل: هل كانت المعالجة المتقنة التي يضيفها على البيانات فيما بعد تعد مسوغة في الحقيقة؟

وتسبب عمل بيرت في مجلس ريف لندن في شهرته لدى الجمهور بشكل سريع ، وتزايد الطلب على مشورته بشكل متزايد ، فقد طُلب لمعاونة هيئة التربية في وضع خططها لإعادة تنظيم نظام التعليم الإنجليزي؛ فأثر وجوده في هذه الهيئة تأثيرًا كبيرًا في تشكيل مشروع التعليم الانتقائي في المدارس الثانوية ، الذي أدرج في مرسوم التعليم في عام ١٩٤٤، كما كان مفيداً ومعينًا بدرجة كبيرة في تكوين مجلس توجيه الطفل في عام ١٩٢٦ ، حيث ترتب على ذلك تأسيس أول عيادات لتوجيه الطفل المجهزة بهيئة اختصاصيين كاملة في بريطانيا العظمى ، وكان ذلك بمساعدة الصندوق المالي الأمريكي للكومنولث.

وفي عام ١٩٣٢، انتهى ارتباط بيرت بمجلس ريف لندن نتيجة لتعيينه في كرسي علم النفس في كلية لندن الجامعية خلفًا لسبيرمان ، وقد مثل هذا التعيين ذروة الحياة المهنية لبيرت ، وفي الوقت نفسه نقطة تحول، حيث كانت جهوده حتى عام ١٩٣٢، موجهة – في المقام الأول – نحو المشكلات العملية . وبعد عام ١٩٣٢، تحول أساسًا إلى بحث المسائل النظرية والمنهجية ، وكان على رأسها التحليل العاملي Factor analysis، وبدأ أول اطلاع لبيرت على الطرق العاملية من خلال علاقاته بسبيرمان حينما كان في جامعة أوكسفورد ،

واستخدم بيرت التحليل العاملي على مستوى صغير في دراسته المبكرة عن الذكاء ، وبعد ذلك بسنوات قليلة أجرى دراسة عاملية للسمات الانفعالية ، وتعد هذه الدراسة إحدى المحاولات الأولى في التحليل الإحصائي للشخصية . وفي جامعة لندن طبق الطرق العاملية على تحليل القدرات التعليمية ، وطور طريقة للتحليل تعد إرهاصًا بالطريقة المركزية التي قدمها فيما بعد ثرستون L.L. Thur-stone، وعندما عين في كلية لندن الجامعية بدأ في التركيز على الدراسات العاملية ، واكتسب براعة فائقة وتمكنًا من الأسس الرياضية والمنهجية للتحليل العاملي ، وبدأت نتائجه تختلف عن نتائج سبيرمان ، ومع ذلك ظل يعترف على رؤوس الأشهاد بسبق سبيرمان"تفوقه في مجال التحليل العاملي. وقد قدم بيرت آراءه بوضوح في كتابه عوامل العقل The Factors of the Mind عام ١٩٤٠، وطور هذه الآراء منذ عام ١٩٤٧، فصاعدًا على صفحات المجلة البريطانية لعلم النفس الإحصائي The British Journal of Statistical Psy-chology، التي أسسها بالاشتراك مع جودفري طومسون Godfrey H. Thom-son، وكان رئيس تحريرها حتى عام ١٩٦٣ ، وفي هذه المجلة الإحصائية وفي غيرها من المصادر فصّل بيرت وأسهب في الحديث عن طرائقه العاملية ، ولخص نتائج بحوثه العاملية ، وقدم البراهين المؤيدة للمخطط الهرمي التدرجي للعوامل العامة ، والجمعية ، والنوعية في مجالي القدرات والشخصية ، وكان أكثر العوامل أهمية هو العامل الذي يقع على قمة هرم القدرات ، حيث سماه "بيرت" العامل العام " "g"، متابعًا " سبيرمان" في ذلك ، وحدده "بيرت" بأنه "القدرة المعرفية الفطرية العامة" ، واعتقد أن هذه القدرة العليا يمكن قياسها بدقة بواسطة اختبارات الذكاء ، ولكنه اهتم " اهتمامًا كبيرًا (في المراحل النهائية من بحوثه العاملية بعد وفاة سبيرمان عام ١٩٤٥) بخلعه واستبعاده من حيث هو مؤسس للتحليل العاملي ، مؤكدًا ادعاءاته الشخصية بأنه "هو السبّاق بوصفه أول

مستخدم للمنهج العاملي في علم النفس ، ولم يكن لهذه الادعاءات أساس من الصحة كلية ولكنها أدت به إلى تزييف السجل التاريخي بطريقة توحي بمسحة من الغرور والأنانية المرضية في شخصيته.

وتقاعد بيرت عن كرسي الأستاذية في كلية لندن الجامعية في سبتمبر عام ١٩٥٠ ، وعاش في هدوء في شقته القريبة من "بريمروز هيل Primrose Hill مدة ٢١ سنة المتبقية من حياته ، وظل مشغولاً جداً ؛ يكتب المقالات ، ويراجع الكتب والمخطوطات ويقومها ، ويرأس تحرير مجلته، وحتى عام ١٩٦٠ كان يلقي المحاضرات. وباستثناء الدراسة التجريبية لأسلوب الطباعة Typography (التي اعتمد فيها على عمل قام به قبل تقاعده) كانت معظم منشوراته خلال هذه الفترة ذات طبيعة نظرية ، ودارت هذه المنشورات حول الموضوعات الآتية : الشعور أو الوعي ، والقيم ، والبحث النفسي الخارق للطبيعة ، والتحليل العاملي ، مع التركيز على النظرية الوراثية متعددة العوامل. وبعد عام ١٩٤٠ لم يصدر عن "بيرت" أي عمل أساسي وشامل، وكانت المقالات التي تسيل من مداد قلمه دون توقف؛ تدور حول الآراء الأساسية التي تبناها فيما مضى ، سواء أكان ذلك إعادة بلورتها أم ردودا على المهاجمين لآرائه ، حيث تعرض للهجوم بشكل متزايد منذ الخمسينيات المبكرة من القرن الماضي فصاعداً. وبعد تقاعده لم يجر أية دراسة سواء أكان ذلك في المعمل أم في المجتمع، وأصبح - بشكل متزايد - شخصاً وحيداً ومعزولاً ، وعلى الرغم من اقتناعه بسلامة موقفه فقد شعر بأن تيار الآراء قد انقلب ضده.

وبدأت الأمور تسير في اتجاه سيئ في الحقيقة بالنسبة إلى "بيرت" منذ الأربعينيات المبكرة من القرن الماضي ، فعند نشوب الحرب أخليت أجزاء من كلية لندن الجامعية بما في ذلك قسم علم النفس ، ونقلت إلى " أبيرستويث" في ويلز ، وقضى "بيرت" خمسة أعوام (١٩٣٩-١٩٤٤) في هذه البقعة البعيدة

من ساحل ويلز ، معزولاً -بذلك- تماماً عن مركز الأحداث ، وقد أثرت فيه كثيراً فترة العزلة بطرق عدة ، فقد عجلت بانهيار زواج طائش كان قد عقده في عام ١٩٣٢، على طالبة تصغره بستة وعشرين عاماً ، وفي الوقت نفسه أدت هموم الحرب إلى تدهور صحته ، وعلى وجه الخصوص؛ تعرضت الكلية الجامعية لأضرار خطيرة ناجمة عن القنابل ، ودمرت أوراق كثيرة ومهمة من أوراق "بيرت" (مجموعته الخاصة برسوم الأطفال ، وتقارير عن الحالات ، وبيانات بعض البحوث). وفي عام ١٩٤١ ، وبعد أشهر قليلة من خسارته المدمرة ، أصيب بأول نوبة من مرض "مينيير" Ménière وهو اضطراب؛ تُعد الضغوط عاملاً مرسباً له كما رأى المختصون فيما بعد (Stephens, 1975). وأصبح معوقاً نتيجة لأعراض هذا المرض بقية حياته ، وعاني من نوبات شديدة مرة ثانية في عام ١٩٦٦ . وعلى الرغم من أنه حافظ على رباطة جأشة واتزانه الخارجي ، فقد أصبح أكثر حساسية للنقد ، متخذاً موقفاً دفاعياً. وعندما كان يقع تحت تأثير النوبة بوجه خاص؛ كان يكشف عن سمات اضطهادية Paranoid بسيطة ، مع الشك ، والمراوغة أو الخداع ، وتعظيم الذات ، وتشاجر مع كثير من طلبته القدامي وزملائه السابقين. وبعد تقاعده أمرته سلطات الكلية أن يبقى بعيداً عن القسم القديم الذي كان يعمل به، وذلك بعد محاولاته التدخل في سير عمل هذا القسم. وفي عام ١٩٦٣ ، وبعد محاولات طويلة ومريرة مع الجمعية البريطانية لعلم النفس ، حُرم من رئاسة تحرير المجلة الإحصائية التي ساعد في تأسيسها ، وقد فاقم هذا الرفض حالته النفسية . وخلف هذا المظهر الخارجي الهادئ نسبياً؛ كان "بيرت" يعاني من عدد كبير من الأعراض النفسية الجسيمة (السيكوسوماتية)، تلك الأعراض التي وصفها بالتفصيل في خطاباته إلى أخته ، وأصبحت ميوله الاضطهادية أكثر ظهوراً، وكان يتورط باستمرار في المجادلات العنيفة ، ويبادر بالهجوم على أولئك الذين يفندون آراءه ، وأصبح أكثر

التواء ومراوغة عندما كان يشن هجومًا مضادًا لمنتقديه. وعلى ذلك فإن الحكم على بعض بحوثه المتأخرة يجب أن يتم في ضوء هذه الخلفية .

توفى بيرت عن عمر يناهز ٨٨ سنة في العاشر من أكتوبر عام ١٩٧١، من جراء سرطان الكبد، وظل نشطًا حتى أسابيع قليلة قبل وفاته ، وعلى الرغم من أن قدرته على تركيز الانتباه قد بدأت في التناقص ، وكان معرضًا لاقتراف أخطاء نتيجة الإهمال أو عدم المبالاة ، فإن عقله ظل صافيًا وقويًا حتى النهاية. لقد كان شخصًا واسع المعرفة بشكل واضح، مع معرفة واسعة بكل من علم النفس وتاريخه ، والفلسفة ، واللاهوت ، والعلوم الطبيعية والبيولوجية ، والأدب ، والفنون ، واكتسب مهارة فنية كبيرة في علم الإحصاء والفروع المرتبطة به من الرياضيات. لقد كان قادرًا على تقديم آرائه والدفاع عنها ، مع إظهار رائع لثقافته وخبرته ، وبوصفه ناقدًا ومجادلاً كان مدمرًا. وعلى الرغم من عدم ثقة كثيرين به، فإنه قد نجح خلال حياته بأسرها في أن يحمي الحصن ضد مهاجميه، ولم تكن سمعته ومكانته المرموقة محل جدال بشكل صريح ، فقد ظل حتى وفاته بارزًا ومتفوقًا ، وظل شخصية عامة يعجب بها الجمهور الغفير ، وحصل على رتبة فارس في عام ١٩٤٦، نظرًا لخدماته للتعليم ، كما حصل على كثير من جوائز الشرف في كل من بريطانيا العظمى وخارجها أثناء الخمس والعشرين سنة الأخيرة من حياته.

وحدث سقوطه المفاجئ بعد وفاته بوقت قصير ، ففي مايو عام ١٩٧٢، قدم "ليون كامن" Leon J. Kamin من جامعة "برنستون" ورقة بحثية في واشنطن عن الوراثة والذكاء ، كشفت عن كثير من التضارب والتناقض في دراسات "بيرت" عن التوائم (Kamin, 1973, 1974) ، وكان " كامن" قد تحدث قبل ذلك بعام في حلقات دراسية متعددة عن الموضوع ذاته. ثم حدث بعد عام واحد أن قام "آرثر جنسن" Arthur R. Jensen (وهو أحد المعجبين المخلصين لبيرت) بفحص مفصل لمعاملات الارتباط بين الأقارب في

دراسة "بيرت" ، وكان مضطراً إلى الاعتراف بأنه على الرغم من براعته النظرية فإن هناك جوانب قصور خطيرة في نتائجه المنشورة (Jensen, 1974) ، وبعد ذلك بسنتين أكد المراسل الطبي للجريدة البريطانية : " صنداى تايمز" أن "بيرت" في الحقيقة " نشر بيانات زائفة ، واخترع حقائق حاسمة لتدعيم نظريته الجدالية من أن الذكاء موروث بدرجة كبيرة " (Gillie, 1976)؛ وسريعًا ما أصبح هذا الأمر قضية قانونية شهيرة ومركزًا للجدال والخلاف؛ فأيد أحد الأطراف تهمة الخدا ع والاحتيال ، وأكد أن ذلك يقوض - بشكل خطير- التوجه الوراثي بأسره ، بينما رأى آخرون أنه

قد يكون مهملاً ، ولكنه لم يكن بالتأكيد محتالاً أو مخادعًا ، وذهبوا إلى أن هذا التوجه الوراثي يرتكز على أية حال بشكل راسخ على مجموعة كبيرة أخرى من الدلائل.

وقد بدأت دراسات التوائم - التي تركز حولها الخلاف -على أيدى"بيرت" مباشرة بعد حصوله على وظيفة اختصاصي علم النفس في "مجلس ريف لندن" ، وكان مهتمًا - بوجه خاص - بجمع بيانات عن التوائم الصنوية Mono-zygotic twins الذين تربوا منفصلين بعضهم عن بعض ، حيث إن مثل هذه التوائم تمدنا بدليل على درجة كبيرة من الأهمية لتقدير تأثير المكون الوراثي في الذكاء. وقد أعلن "بيرت" في مقالين (Burt, 1955, Burt & Howard, 1956) أنه وجد ٢١ زوجا من التوائم الصنوية التي ربيت منفصلة ، وزاد عدد هذه التوائم إلى ٥٣ زوجا في مقال تال (Burt, 1966) ، وأخضع "بيرت" هذه البيانات - مع غيرها من معاملات الارتباط بين مستويات أخرى من القرابة - إلى تحليل إحصائي دقيق ، مستخدمًا طرائق علم الوراثة الكمي التي طورها أصلا " فيشر" R.A. Fisher، واستنتج أن العوامل الوراثية تسهم - في مجال الذكاء - بقرابة ٨٠٪ من التباين ، بالمقارنة إلى ٢٠٪ فقط بالنسبة إلى التأثيرات البيئية .

وقام " كامن " بتحليل دقيق لأرقام "بيرت" ، وكشف في هذه الأرقام كثيرًا من أنواع الشذوذ الغريبة ، وعلى سبيل المثال فإن معامل ارتباط اختبار الذكاء الجمعي وقدره ٧٧١, ٠ للتوائم الصنوية التي ربيت منفصلة متطابق بالنسبة لعينتي التوائم الأصغر عددا (٢١ توءمًا) والأكبر عددًا (٥٣ توءمًا) ، وهذا مثال واحد فقط لكثير من معاملات الارتباط المتطابقة تمامًا على الرغم من تغير أحجام العينات. وخلص " كامن" إلى أن غياب وصف الإجراءات في تقارير "بيرت" ، وعدم الاتساق الحسابي ، والتعبيرات التبادلية المتناقضة ، مع عدم اتساق بعض نتائجه ؛ تؤدي كلها إلى وصف عمله بأنه عديم القيمة من الناحية العلمية. وتبعا لـ "جنسن" (Jensen, 1974) من ناحية أخرى ، فإن "بيرت" – ببساطة – كان مهملاً في عدم إيراد نتائج دراساته بشكل كامل ودقيق ، ولكن استنتاجاته لا تزال صادقة ، وحتى بعد توجيه الاتهام بالخداع ، فإن "جنسن" (Jensen, 1978) رأى أن غرابة معاملات الارتباط بين الأقارب في دراسات "بيرت" ترجع غالبًا إلى الإهمال وليس إلى الخداع.

وكشف فحص لمذكرات " بيرت" ومراسلاته في أرشيف جامعة " ليفربول" – بشكل حاسم – أن من الصعب الدفاع عن تفسير جنسن ، فلم يجمع "بيرت" أية بيانات عن التوائم بين عامي ١٩٥٥ ، و١٩٦٦ ، ولم يكن على اتصال شخصي أو عن طريق المراسلة مع المساعدتين : "الآنسة هوارد ، والآنسة كونواي" اللتين يفترض أنهما كانتا تساعداه خلال هذه السنين ، ولم يكن قادرًا على جمع أية بيانات بنفسه نتيجة لصممه وسقمه، كما لم تكن هناك أبحاث جارية. ومثل هذه البيانات التي حصل عليها "بيرت" كانت قد جمعت قبل عام ١٩٥٠ ، وقد فقد معظم استمارات الاختبارات الأصلية في أثناء الحرب ، واعتمد تقرير عام ١٩٥٥ على نتائج وردت ملخصة في مفكرات أو دفاتر الملحوظات ، بالإضافة إلى حالات قليلة درست بعد الحرب ، واعتمد تقرير عام ١٩٦٦، على بيانات أعيد تكوينها من

بقايا متناثرة ، ومن المحتمل أن يكون قد أضيف إليها بيانات من الذاكرة وأعمال التخمين .إن الأرقام الواردة في بحث عام ١٩٦٦- من وجهة النظر العلمية - ما هي إلا تلفيق ، حيث لم يكن "بيرت" يملك البيانات الخام. ومن غير المؤكد في الحقيقة أنه قام بجمع عدد كبير من التوائم الصنوية المزدوجة التي تربت منفصلة (وهو ٥٣ توءمًا) ، ولم يستجب "بيرت" إلا عام ١٩٦٩، لطلبات عدة فوضع جدولاً لدرجات نسب الذكاء وتقديرات الطبقة الاجتماعية لهذه التوائم الصنوية المزدوجة (٥٣) التي تربت منفصلة ، وتشير مفكرته إلى أنه قضى أسبوعًا كاملاً في تلفيق أو اختراع هذه الأرقام ، ولم يكن قادرًا مطلقًا على تقديم أرقام خاصة بالمجموعة الأكبر عددًا من التوائم الصنوية التي تربت معا ، والتوائم غير الصنوية Dizygotic، والإخوة العاديين ، وأجاب السائلون عن هذه الأرقام بزعمه الزائف بأن البيانات قد حفظت في الكلية الجامعية ، وأنه لا يستطيع فورًا أن يزود السائلين بها.

ويجب أن تشخص دوافع "بيرت" لهذا الخداع في ارتباطه بالضغوط التي كان يتعرض لها في هذا الوقت ، وكان عمله في أثناء فترة تقاعده من النوع الدفاعي بالدرجة الأولى ، مخصصًا لتدعيم وجهة نظر " جولتون" ضد الهجمات المتصاعدة لأصحاب التوجه البيئي وغيرهم ، وقد حدثت هذه الهجمات في موجتين أساسيتين في الأعوام ١٩٥٣ حتى ١٩٥٦ ، ومرة ثانية في عام ١٩٦٣ حتى ١٩٦٥، وكان المقالان الأساسيان عن التوائم اللذان كتبهما في عامي ١٩٥٥ ، و١٩٦٦ على التوالي هما ردوده على هذا الهجوم ، وقد كتبهما في عجلة ، وفي ظل حالة غضب ، مع تصميم على أن ينتصر على خصومه بوسائل عادلة أو فاسدة ، وهناك نقص مرضى اضطهادي Paranoid في شخصيته قاده إلى اتخاذ هذه الحيل أو الذرائع.

وهذه الفضائح التي نشرت بعد وفاته - على الرغم من أنها لا تقوض في الحقيقة وجهة النظر الوراثية بأسرها -

فإنها تدمر تمامًا المصداقية العلمية لـ "بيرت" شخصيًا، ولم يكن "بيرت" في أعماقه عالمًا على الإطلاق، بل كان رجلاً قديرًا وطموحًا، أخذ بعين الاعتبار- منذ وقت مبكر- التقليد "الجولتوني" بوصفه حقيقة لا ريب فيها، واعتبر نفسه وريثًا لا ينازع لـ "جولتون". وكان "بيرت" واسع المعرفة حقًا، ومجدًا، ومنجزًا، كما كان - بالنسبة إلى من يقومون بزيارته - ودودًا وكريمًا، وقد أجرى في سنواته المبكرة حتى الأربعينيات من القرن الماضي، بحوثًا رائدة في مجال علم النفس التطبيقي، ولكنه لم يكن يتقبل النقد أو الهجوم، ولم يكن يتحمل المعارضة، وقد اختار - كملاذ أخير - أن يخادع ويغش بدلاً من أن يرى انتصار خصومه.

المؤلف: L. S. Hearnshaw

المترجم: أحمد عبد الخالق

Works By Cyril Burt

1917 *The Distribution and Relations of Educational Abilities*. London: King.
(1921) 1962 *Mental and Scholastic Tests*. 4th ed. London: Staples.
(1925) 1944 *The Young Delinquent*. 4th ed., rev. Univ. of London Press.
(1935) 1955 *The Subnormal Mind*. Oxford Univ. Press.
(1937) 1961 *The Backward Child*. 5th ed. Univ. of London Press.
1940 *The Factors of the Mind: An Introduction to Factor-analysis in Psychology*. Univ. of London Press.
1952 Autobiography. Volume 4, pages 53–73 in *A History of Psychology in Autobiography*. Edited by Edwin G. Boring et al. Worcester, Mass.: Clark Univ. Press.
1955 The Evidence for the Concept of Intelligence. *British Journal of Educational Psychology* 25:158–177.
1956 BURT, CYRIL; and HOWARD, MARGARET The Multifactorial Theory of Inheritance and Its Application to Intelligence. *British Journal of Statistical Psychology* 9:95–131.
1966 The Genetic Determination of Differences in Intelligence: A Study of Monozygotic Twins Reared Together and Apart. *British Journal of Psychology* 57:137–153.
1975 *The Gifted Child*. London: Hodder & Stoughton.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BANKS, CHARLOTTE; and BROADHURST, P. L. (editors) 1965 *Stephanos: Studies in Psychology Presented to Cyril Burt.* Univ. of London Press. → Includes an almost complete bibliography of Burt's writings up to 1965.

GILLIE, OLIVER 1976 Pioneer of IQ Faked His Research Findings. *The Sunday Times* (London) Oct. 24, p. 1, col. 2ff.

HEARNSHAW, L. S. 1979 *Cyril Burt: Psychologist.* London: Hodder & Stoughton.

JENSEN, ARTHUR R. 1974 Kinship Correlations Reported by Sir Cyril Burt. *Behavior Genetics* 4:1–28.

JENSEN, ARTHUR R. 1978 Burt in Perspective. *American Psychologist* 33:499–503.

KAMIN, LEON J. 1973 Heredity, Intelligence, Politics and Psychology. Unpublished manuscript. → Address to the Eastern Psychological Association in May 1973, in Washington.

KAMIN, LEON J. 1974 *The Science and Politics of I.Q.* Potomac, Md.: Erlbaum.

STEPHENS, S. D. J. 1975 Personality Tests in Ménière's Disorder. *Journal of Laryngology and Otology* 89:479–490.

WADE, NICHOLAS 1978 IQ and Heredity: Suspicion of Fraud Beclouds Classic Experiment. *Science* 194:916–919.

جالوب، چورج

GALLUP, George .

الرجل الذى توحد اسمه – إلى حد بعيد – ببحوث الرأى العام، وصف ذات مرة حياته بأنها سلسلة من المصادفات السعيدة ، كان جورج هوراس جالوب George Horace Gallup دائمًا يعتبر نفسه برجماتيا وتقنيا technician مفضلاً ذلك عن كونه عالمًا أو منظرًا . لقد أنشأ مهنته عن طريق طرح أسئلة مثل هذه : ما البيانات المطلوبة لحل المشكلة ؟ كيف يمكن للمرء أن يحصل على هذه البيانات على أفضل وجه ؟ لقد جاء استطلاع جالوب للرأى The Gallup Poll من خلال تزاوج اهتمامه – طوال حياته – بالسياسية والديمقراطية مع خبرته العملية فى الصحافة والتسويق .

ولد جالوب فى عام ١٩٠١، فى المدينة الصغيرة جيفرسون Jefferson بأيوا Iowa، والتحق بالمدرسة الثانوية المحلية وبجامعة أيوا ، حيث واصل اهتماماته بعلم النفس وبالصحافة. وقد أدُخل إلى عالم المسوح كطالب عندما استخدم ليستبر to interview قراء إحدى صحف سانت لويس . وكان المعتاد فى ذلك الوقت أن يسأل المسح : "هل تقرأ المقالات الافتتاحية ؟ ... الأخبار الدولية ؟ ... الإعلانات المبوبة ؟

بالنسبة إلى جالوب بدا هذا التكنيك وسيلة خاطئة لقياس القارئية reader-ship. وبتفكيره مليا فى الموضوع ، قرر أنه سيكون من الأفضل قياس القارئية الحقيقية بأن يعرض على القارئ جريدة الأمس ، وأن يفحص معه عمودًا بعمود . وكطالب للدراسات العليا أقنع جريدة Des Moines Regis-ter & Tribune برعاية مثل هذا المسح ، وقد استفاد من هذا المسح فى رسالته للدكتوراه ، وكانت نتائجه مختلفة بشكل قاطع عن تلك التى تم الحصول عليها بالطريقة السابقة . فعلى سبيل المثال ، كانت المقالات الافتتاحية ذات قارئية منخفضة ، فى حين أن الأعمدة الخاصة

بالنصيحة الموجهة لمن يعانون من الحب وبالوفيات ذات قارئية مرتفعة بشكل مثير للدهشة . وقد تم تبنى منهج جالوب لقياس قارئية الصحف والمجلات بشكل واسع ، وظل مستخدمًا لأكثر من خمسين سنة تالية .

ولقد أمضى جالوب - بعد حصوله على الدكتوراه من أيوا عام ١٩٢٨ - سنتين فى كلية جامعة دراك Drake University، وسنة فى كلية الصحافة بجامعة نورثوسترن Northwestern University school of Journalism، و استمر خلال هذه السنوات فى تجاربه لقياس جماهير المتلقين audiences للجريدة والمجلة والراديو عن طريق المسوح بالعينة Sample surveys، وقد أكسبه عمله اهتمام وكالات الإعلان القومية . وفى عام ١٩٣٢، أمكن إقناعه بترك مهنته الأكاديمية والذهاب إلى نيويورك كمدير للبحث والتسويق ليانج وروبيكام Young & Rubicam.

وقد أثير اهتمامه بالسياسة نتيجة لزواجه . فقد حث الانتخاب المحدود narrow election لحماته - كمسئولة عن الشئون الخارجية Secretary of state فى أيوا - على التفكير فى تطبيق أساليبه الخاصة بالمسح على السياسة . وعلى الرغم من أن الكثير من الصحف كانت تُجرى فى ذلك الوقت استطلاعات للرأى محلية للتنبؤ بنتيجة الانتخاب "Straw Polls"، فإن التنبؤ الوحيد للانتخابات القومية الذى كان مقبولاً بصفة عامة كان هو التنبؤ الخاص بمجلة The Literary Digest. فقد أفلحت هذه المجلة فى تنبؤاتها بنجاح كل الفائزين فى الانتخابات الرئاسية منذ عام ١٩١٦ حتى عام ١٩٣٢، عن طريق إرسال أعداد ضخمة من بطاقات الاقتراع بالبريد لملايين من المشتركين فى التليفونات ، وملاك السيارات فى جميع أرجاء الدولة .

******

لقد كان جالوب واعيًا تمامًا بالتحيز المحتمل الذى قد ينتج عن العينة الضخمة نسبيًا، المأخوذة من قوائم التليفون والسيارات فى الثلاثينيات ، ومن معدلات الاستجابة

الفـارقـة بين الفـئـات المتنوعـة من المستجيبين التى ستتلقاها الدايجست the Digest. كـان مـقـتنعـًا بأنه يمكن التـوصل إلى نتـائج دقـيـقـة عن طريق الاختيار المنتظم لعينات أصغر كثيراً ، والتوسع فى الأسئلة الموجهة من خلال استـبـيـان questionnaire أطول . وقـد وجـد دعـمًـا فى ذلك الوقت من وكـالة صـحفية تنشر المقالات فى عدة صـحف newspaper syndicate، حـيث وافـقت على اخـتـبـار أفكاره هذه فى انتخـابات الكونجرس لعام ١٩٣٤ . وقد تم اختيار مناطق لقياس الرأى barometer areas بناءً على سجـلات التصـويت السـابق ، وأرسل بالبـريد اسـتـبـيـانات لعـينة حـصـصـيـة quota sample من الأسـر المعيـشـيـة ، أضـيـف إليـهـا اخـتـبـارات شـخـصـيـة personal interviews، حـيث تكون مـعـدلات الاسـتـجـابة من جـانب جماعات دخـل معينـة منخفـضـة بشكل غـير مـتناسـب مع حـجـمـهـا . كـانت التجربة ناجـحـة ، وبنـاء عـلى عقـد يتم بمقـتـضـاه تزويد الوكـالة الصـحـفـيـة بعمـود أسبوعى ، أنشـأ جالوب المعهد الأمـريكى للرأى العـام American Insti-tute of public opinion الذى ظهـرت أول إصداراته فى ٢٠ أكتوبر ١٩٣٥ .

وعلى الرغم من أن باحثين آخرين فى مجال التسويق بدأوا أيضا – تقريبا فى الوقت ذاته – فى إجـراء مـسـوح سياسية ، فإن عرض جالوب المنتظم فى الصـحف فى أرجاء الدولة جعل اسمه معـروفًا أكـثـر . عندمـا جـاء تصـويت نوفمبـر واتضـح أن جالوب تنبـأ تنبـؤات سليمـة بالفوز السـاحق لروزفلت Roos-velt، فى حين أن الدايـجست كانت قد تنبأت بانتصـار لاندون Landon، عُززت المناهـج الجـديدة للمـسح بالعـيـنة ، وأصبح المعـهد الأمريكى للرأى العام – الذى يشـار إليـه الآن على نحـو متـزايد باسـتطلاع جـالوب للرأى- Gallup Poll معهدًا قوميًا .

وفى عـام ١٩٣٩، أرسل جـالوب زميـلاً له هو هارى هـ . فـيلد Harry H. Field إلى أوروبا لإنشاء معـهدين للرأى العـام فى بريطانيـا العظمى وفـرنسـا . على الرغم من أن الحرب العالمية الثانية أعاقـتهمـا ، فإنهمـا استأنفا عملهما بعد الحـرب واسـتـمـرا فى الازدهـار . وفى

سنوات ما بعد الحرب تمت إقامة معاهد مماثلة في دول أخرى ، وأصبحت منظمة جالوب Gallup organization متسعة عالميًا من حيث المدى . وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، جلبت سمعة جالوب له العديد من العقود لإجراء مسوح بحثية للتسويق وللمتلقين .

لقد أدت الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٤٨ ، التى تنبأ فيها جالوب خطأ - مثله فى ذلك مثل استطلاعات الرأى الكبرى - بفوز توماس إي. ديوى Thomas E. Dewey إلى تراجع حاد لقصة النجاح . دعم جالوب بإخلاص مصداقية مناهجه ، وبدأ يبحث بطريقة منتظمة عما أدى إلى الخطأ ، وسريعًا ما اتضحت الأسباب الرئيسية : أولا نتج عن طريق اختيار العينة الحصصية تحيز طفيف للجمهوريين . ثم إن توقف عملية استطلاع الرأى فى وقت مبكر لم يسمح بإدراك تحول الدقيقة الأخيرة نحو ترومان . تنبأت استطلاعات الرأى بثقة بالغة بنتيجة اتضح فيما بعد أنها بعيدة عن أن تكون مؤكدة . وبالاستفادة من هذه الدروس فى أعماله التالية ؛ حسّن جالوب ونقح إجراءاته ، وأصبح خطأ انتخاب ١٩٤٨ - بعيدًا عن أن يكون منذرًا بنهاية استطلاعات الرأى - مجرد حدث عرضى فى تقدمها المستمر .

كان جالوب داعيًا قويًا لمناهجه ولرؤاه لأهميتها . فهو يرى استطلاعات الرأى نبضًا الديمقراطية "The Pulse of Democracy (العنوان الذى وضعه لكتاب ١٩٤٠) ، ومصدرًا للتنوير الذى يقدم بديلا لصخب جماعات الضغط المتنافسة التى تدّعى تمثيل الرأى العام . على الرغم من أن جالوب تقبل دوره كمتكهن بنتيجة الانتخاب election prognosticator كفرصة ليبرهن على ثبات reliability أساليبه المنهجية techniques، فإنه كان يشعر بأن القيمة الحقيقية لاستطلاعات الرأى تكمن فى قدرتها على أن تقدم وسيلة لنقل التعبير الشعبى : وسائل لقياس وإعلان رضاءات الجمهور ، واهتماماته ، ومخاوفه ، ومعرفته ، ومعتقداته ، ومطالبه ، ونواياه . وكان من بين أول من أدركوا قيمة تكرار توجيه السؤال نفسه على مدى زمنى للحصول على معلومات عن الاتجاهات فى الآراء . فعلى سبيل المثال ، الآراء عن "المشكلة

الكبرى التى تواجه الدولة" ، والموافقة على الأداء الرئاسى كانت تُرصد بشكل منتظم منذ عام ١٩٤٠ ، أو قبل ذلك ، وتقدم مصدراً غنيا للبيانات التاريخية .

كان كل من الرجل واستطلاع الرأى موضوعًا للنقد منذ عام ١٩٣٥ . فهؤلاء الذين يعارضون رأى الغالبية كما يكشف عنه جالوب ، أسرعوا بالهجوم على صياغة أسئلته وعلى جوانب أخرى لمنهجيته، البعض اتهمه بالتحيز الجمهورى أو الديمقراطى المستتر . واتهم النقد الأكاديمى مدخله للبحث الاجتماعى بأنه مبسط ، وأن استطلاعه للرأى هو مجرد عمل صحفى . وجادل آخرون فى أن الرأى العام ليس أكثر (أو أقل) من مجموع الاستجابات الفردية إزاء سؤال، إلا أن تكرار اشتعال أوجه الهجوم تلاشى على مر السنوات ، حيث استمر جالوب بإصرار فى القيام تماماً بإنجاز ما بدأ عمله .

كان النمو الهائل للمسوح بالعينة منذ عام ١٩٣٥، سيحدث بالطبع بدون جالوب، فقد كان الباحثون فى مجال التسويق والعلماء السلوكيون وآخرون غيرهم يعملون فى الوقت نفسه على الارتقاء بأساليب المعاينة والاستبيان ، وكانت الحاجة الملحة لجمع بيانات بشكل اقتصادى وسريع فى مجتمع يتسع بسرعة ستحقق النتيجة ذاتها. ولكن نظراً لكون جالوب أول وأكثر متحدث بارع عن الرأى العام ، ونظراً لكون استطلاع جالوب للرأى Gallup Poll أول مسح مستمر ، والأكثر انتشاراً على المدى الواسع ، فإن جالوب أصبح متوحداً مع صناعة استطلاعات الرأى ، وأصبحت الصناعة متوحدة به ، وقد قام بلعب هذا الدور باقتدار، وبشرف.

المؤلف : PAUL B. SHEATSLEY

المترجم : ناهد صالح

WORKS BY GEORGE GALLUP

WORKS BY GALLUP

(1940) 1968 GALLUP, GEORGE; and RAE, SAUL T
Pulse of Democracy. New York: Greenwood.

1972*a* *The Gallup Poll: Public Opinion 1935–19*
3 vols. New York: Random House.

(1972*b*) 1976 *The Sophisticated Poll Watcher's Guide*. Rev. ed. Princeton, N.J.: Princeton Opinion Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BOGART, LEO 1972 *Silent Politics: Polls and the Awareness of Public Opinion*. New York: Wiley–Interscience.

OPPENHEIM, ABRAHAM N. 1966 *Questionnaire Design and Attitude Measurement*. New York: Basic Books.

WHEELER, MICHAEL 1976 *Lies, Damn Lies, and Statistics: The Manipulation of Public Opinion in America*. New York: Liveright.

جيلفورد . چيه . بى .

Guilford, J.P.

ولد جوى بول جيلفورد Joy Paul Guilford فى ٧ مارس عام ١٨٩٧ ، فى مزرعة ببراسكا . وبعد أن قام بالتدريس فى المدارس العامة ، وقضى فترة قصيرة فى الجيش الأمريكى خلال الحرب العالمية الأولى ، استكمل تعليمه فحصل على البكالوريوس عام ١٩٢٢ ، ثم الماجستير عام ١٩٢٤، من جامعة نبراسكا . وبحلول عام ١٩٢٧، حصل على درجة الدكتوراه فى علم النفس ، بإشراف إدوارد تتشنر Edward B. Titchener وكيرت كوفكا Kurt Koffka، وقد قام بالتدريس لفترة قصيرة فى جامعتى الينوى وكانساس ، وذلك قبل أن يعود إلى الجامعة التى تخرج فيها وهى جامعة نبراسكا، حيث تولى رئاسة قسم علم النفس حتى عام ١٩٤٠، حين انتقل إلى جامعة كاليفورنيا ، التى ظل بها طوال الوقت فيما عدا الفترة التى خدم فيها فى القوات الجوية للجيش الأمريكى خلال الحرب العالمية الثانية ، إلى أن تقاعد رسميًا فى عام ١٩٦٩ .

وقد كرس جيلفورد حياته لكى يجعل من علم النفس علمًا كميًا منطقيًا، ولم تقتصر إسهاماته العديدة المتنوعة على مجالات علم النفس التجريبى والقياس النفسى والأساليب والمناهج الإحصائية وقياس القدرات البشرية وتقييم الشخصية فقط ، فقد كتب مجلدين كلاسيكيين أساسيين هما: الأساليب السيكومترية Psychometric Methods (1936)، والإحصاءات الجوهرية فى علم النفس وعلم التربية Fundamental Statistics in Psychology and Education (Guilford & Fruchter, 1942)، كما أثر فى أجيال عديدة من الطلبة الدارسين .

وفى بداية تاريخه المهنى كان اهتمام جيلفورد البحثى منصبًا على علم النفس التجريبى وعلم النفس الجسمى ، وقد توّج نشر كتاب الأساليب السيكومترية تلك الفترة ، حيث أعاد مراجعة ماسبق التحقق منه .

وقام جيلفورد بإجراء دراسات تجريبية على تذبذب وتقلب الانتباه ، فعمل في مجالات الاستجابة البصرية الضعيفة وحركة العين والظواهر الحركية الواضحة ، مشيراً إلى تطبيقات ما وصل إليه من نتائج على النظريات السائدة وقتئذ . وقد أجرى تجارب أخرى خلال هذه الفترة تتعلق بالإدراك البصري ، ووقت رد الفعل ، والتفضيلات بين الألوان ، وتعبيرات الوجه ، والذاكرة ، وعلم الجمال التجريبي .

وفي عام ١٩٤٠ ، بدأ اهتمامه في العمل يتحول تدريجيًا نحو موضوعات أخرى مثل قياس سمات الشخصية والقدرات العقلية ، والاختبارات العقلية ، والإحصاء ، والتحليل العاملي . وقد تنامى لديه هذا الاتجاه ، وربما كان إقدامه على ذلك – ولو جزئيًا – نتيجة تكليفه خلال الحرب العالمية الثانية بإدارة وحدة أبحاث نفسية للقوات الجوية للجيش الأمريكي بقصد تطوير اختبارات جمعية للقدرات تستخدم لتصنيف المنضمين الجدد للجيش (١٩٤٧) . وخلال هذا التطور التاريخي للبرامج البحثية للاختبارات استطاع جيلفورد ـ ربما للمرة الأولى – أن يضع اختباراً عمليًا على نطاق واسع ، هو أفضل ما أمكن التوصل إليه حتى الآن في الأساليب الفنية في القياس السيكومتري وفي النظريات وفي الخطوات الإجرائية.

وقد قام أيضا بتطوير خطوات إجرائية وأساليب إحصائية ومناهج بحثية مبتكرة ، فبيّن –على سبيل المثال – أنه حتى بعد تحديد المقياس أو المحك الضروري اللازم لنجاح وإتمام عمل محدد ، فإنه يمكن استخدام التحليل العاملي لتحديد مكونات هذا المقياس ، كما أنه يمكن عندئذ تطوير بطاريات الاختبار بحيث تعكس تركيب العامل في المقياس موضع الاعتبار . وهذه الخطوات والإجراءات البحثية تُحسن فعليا من فرص التوصل إلى أفضل مقاييس الاختبار للتنبؤ بالدرجة التي أمكن للفرد عندها معرفة أي محك معين .

وبعد الحرب ، واصل جليفورد عمله في مجال اختبارات القدرات

والتحليل العاملى . وقد نشر معمل علم النفس بجامعة جنوب كاليفورنيا العديد من هذه الدراسات (Guilford et al ,. 1960)، كما تم تدعيمها جزئيًا من خلال سلسلة من التعاقدات مع مكتب بحوث البحرية The Office of Naval Research. وقد أمدت هذه الدراسات علماء النفس بكثير من المعلومات والمعارف عن القدرات البشرية فى مجالات الإدراك المكانى ، والمبررات ، والتقييم ، والتخطيط ، وحل المشكلات ، والإبداع . وقد كان مدخل جيلفورد لدراسة القدرات البشرية ، مثله فى ذلك مثل ثيرستون L.L Thurstone، متناقضًا تمامًا مع مدخل الفريد بينيه Alfred Binet وسبيرمان C.E Spearman ولويس تيرمان Lewis M. Terman وديفيد وكسلر David Wechsler وريموند كاتل Reymond B. Cattell. وقد أكد كاتل على أهمية الذكاء العام باعتباره المفهوم السائد فى قياس القدرات البشرية . وعلى الرغم من أن هؤلاء أقروا إلى حد ما بوجود حاجة لتقسيم الذكاء إلى الأجزاء المكونة له ، وذلك مثل الذكاء اللفظى فى مقابل العددى ، والعام فى مقابل المحدد ، فإنه لا توجد سوى درجات قليلة فقط هى التى تعد مهمة وضرورية لوصف الحالة العقلية للفرد .

وعلى الرغم من إدراك إمكانية تواجد العامل العام فى الذكاء ، فإن جيلفورد كان يفضل أن يقسم الذكاء إلى مكونات أدق وأن يقيس المتغيرات التى لا تشملها الاختبارات الخاصة بقياس معدل الذكاء . وقد أكد على أن الوصف الصحيح لقدرة الذكاء البشرى يتطلب قياس أكثر من مائة متغير . ولكى يوفر إطارًا نظريًّا للنتائج التى توصل إليها؛ قام جيلفورد بتشييد بنائه الشهير لنموذج الذكاء (١٩٥٩) الذى أتاح للقدرات البشرية شيئًا مناظرًا لما يتيحه الجدول الدورى للعناصر الكيميائية التى يرتبها ترتيبًا تصاعديًا . فأى عامل معين يحتل خلية داخل صندوق يمثل تصنيفًا ثلاثى الأبعاد للعوامل، بحيث يتعامل أى عامل مع نموذج معين من المواد التى يطلق عليها اسم "المحتويات" : وهى بصرية ،

وسمعية ، ورمزية ، ودلالية وسلوكية ، وهذه كلها تتعامل مع نموذج معين من العمليات : تقييم ، ومنتج متقارب ، ومنتج متشعب ، وذاكرة ، ومعرفة ، كما تتضمن نموذجًا معينًا من الإنتاج : وحدات، وطبقات وعلاقات ، ونظم ، وتحويلات ، وتطبيقات ، وهذا الصندوق يسمح بتواجد ١٥٠ عاملاً . وقد بذل جيلفورد جهدًا كبيرًا منذ منتصف الخمسينيات لتطوير المقاييس التى يمكن أن تحدد العوامل وثيقة الصلة، والتى يجب أن تتواجد فى النموذج، ولكن هذا لم يتحدد إلى الآن من خلال بحوث ودراسات إمبيريقية . وقد تم تلخيص آراء ووجهات نظر جيلفورد فى القدرات والذكاء، وكذلك تلخيص أعمال رفاقه فى هذا المجال فى عدة مؤلفات هى طبيعة الذكاء الإنسانى The Nature of Human Intelligence (1967b) وتحليل الذكاء The Analysis of Intelligence (Guilford & Hoepfner, (1971) و ما وراء معدل الذكاء Way beyond the I.Q. (1977). وفى السبعينيات حول جيلفورد اهتمامه إلى استخدام هيكل أو بناء نموذج الذكاء لتطوير وجهة نظر إجرائية - معرفية لفهم ظواهر عديدة ومهمة فى علم النفس المعرفى وبيّن العلاقة بين العديد من وجهات النظر التقليدية فى علم النفس وبين النسق التنظيرى لديه (١٩٧٤) .

وعلى الرغم من أن جيلفورد بذل مجهودًا أقل فى دراسة الجوانب الأخرى غير المتعلقة بالذكاء فى الشخصية الإنسانية مقارنة بما بذله فى دراسة القدرات ، فإن عمله فى مجال الذكاء والشخصية بدأ مبكرًا فى أوائل الثلاثينيات، وقد أثبت فى البداية أن المفهوم الشائع عن الانبساط - الانطواء ، يمكن تقسيمه إلى عدة عوامل مميزة ومستقلة إلى حد ما فى مكوناتها.

وقد أعقب هذا العمل إجراء تطوير بحثى واختبار أدى إلى ظهور كتاب : مسح المزاج لجيلفورد وزيمرمان Guilford-Zimmerman Temperament Survey (Guilford & Zimmerman 1949) وتصنيف الشخصية التى بنى عليها. وتم استخدام خطوات إجراء التحليل

العاملى مرة أخرى؛ لتطوير هذه الاختبارات وكذلك فى مجال القدرات البشرية . وقد ترجم عمله فى الشخصية ، وكذلك عمل الباحثين الآخرين فى هذا المجال ، فى كتابه الشخصية Personality (1959) وكان تصنيف جيلفورد للعامل المتعدد للشخصية يتناقض بشدة مع العوامل الستة عشر التى استخدمها كاتل فى التصنيف Cattel (1950) كما يتعارض مع هانز إيزنك Hans J. Eysenck فى تحديده عاملى الشخصية الانبساط - الانطواء ، والعصاب (١٩٥٣) . وتعزى الفروق بين هذه التصنيفات المتنافسة إلى اختلاف فلسفات التحليل العاملى فى البحوث وتطوير الاختبارات . فقد استخرج إيزنك عوامل قليلة من تحليله ، بينما استخرج جيلفورد وكاتل العديد من العوامل ، فقد اعتمد كاتل على الدوران غير المحدد حول المركز فى الانحراف البسيط للشكل البنائى ، بينما كان يميل جيلفورد إلى الأبنية المتعامدة ، وكان يستخدم بناءً بسيطًا كنموذج موجه ويفعل ذلك فقط عندما كان لا يتعارض مع المعلومات الأخرى التى لديه حول متغيرات الاختبار . وكان اختبار الوقت وحده هو الذى يحدد التنميط الذى سوف يثبت أنه الأكثر فائدة من هذه التنمطيات المتنافسة.

وخلال تاريخه المهنى الطويل ألّف جيلفورد أكثر من ثلثمائة كتاب ودراسة ومقال فى موضوعات علمية متنوعة سواء فى مجالات علم النفس أوميادين العلم الأخرى المرتبطة به . وعلى الرغم من أنه كان لا يميل أبدًا للبحث عن تقدير لذاته ، فإنه كان هناك دائمًا تقدير لإسهاماته المتميزة تمثلت فى تكريمه مرات ومرات . إذ كان يعتبر عميد مجتمع القياس السيكولوجى ، وتولى رئاسة الرابطة النفسية للوسط الغربى Mid-western Psychological Association، والرابطة النفسية للغرب West-ern Psychological Association، وجمعية الملونين بكاليفورنيا Cali-fornia Color Society، والرابطة الأمريكية لعلم النفس American

Psychological Association. وكـــــان واحـداً بين قلة من علمـاء النفـس تـم انتـخـابهـــم فـى الأكـاديمية الوطنيــة للعلـوم National Academy of Sciences، كما كان أول رئيـس للجمعيـة الدوليـة للتعليـم الذكـى International Society for Intelligence Education .

المؤلف : ANDREW L. COMREY

المترجمة : سلوى العامرى

(*) توفى جيلفورد بمدينة لوس أنجلوس فى السادس والعشرين من نوفمبر عام ١٩٨٧، وهو فى التسعين من العمر . (المراجع)

WORKS BY GUILFORD'

(1936) 1954 *Psychometric Methods.* 2d ed. New York: McGraw-Hill.

(1942) 1978 GUILFORD, J. P.; and FRUCHTER, BENJAMIN *Fundamental Statistics in Psychology and Education.* 6th ed. New York: McGraw-Hill. → Guilford was the sole author of the first edition.

1947 GUILFORD, J. P. (editor) *Printed Classification Tests.* Army Air Forces Aviation Psychology Research Program Reports, No. 5. Washington: Government Printing Office.

(1949) 1955 GUILFORD, J. P.; and ZIMMERMAN, WAYNE S. *The Guilford–Zimmerman Temperament Survey: Manual of Instructions and Interpretations.* Beverly Hills, Calif.: Sheridan.

1959 *Personality.* New York: McGraw-Hill.

1960 GUILFORD, J. P., et al. *An Investigation of Symbolic Factors of Cognition and Convergent Production.* Los Angeles: University of Southern California, Reports from the Psychological Laboratory, No. 23.

1967*a* Autobiography. Volume 5, pages 167–191 in *A History of Psychology in Autobiography.* Edited by Edwin G. Boring and Gardner Lindzey. New York: Appleton.

1967*b* *The Nature of Human Intelligence.* New York: McGraw-Hill.

1971 GUILFORD, J. P.; and HOEPFNER, RALPH. *The Analysis of Intelligence.* New York: McGraw-Hill.

1974 A Psychology with Act, Content, and Form. *Journal of General Psychology* 90:87–100.

1977 *Way Beyond the I.Q.* Buffalo: Creative Education Foundation.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

CATTELL, RAYMOND B. 1950 The Main Personality Factors in Questionnaire, Self-estimate Material. *Journal of Social Psychology* 31:3–38.

EYSENCK, HANS J. (1953) 1970 *The Structure of Human Personality*. 3d ed. London: Methuen.

MICHAEL, WILLIAM B.; COMREY, ANDREW L.; and FRUCHTER, BENJAMIN 1963 J. P. Guilford: Psychologist and Teacher. *Psychological Bulletin* 60:1–34. → A bibliography of Guilford's writings is on pages 27–34.

دولارد ، چون

Dollard, John

ساعد تدريب چون دولارد فى مجالات علم الاجتماع ، والانثربولوچيا ، والتحليل النفسى ، والنظرية السلوكية على تمكينه من تحقيق التكامل بين مبادئ التحليل النفسى والتعلم ، والمفاهيم المرتبطة بالمجتمع وثقافته . فقد كان الاهتمام غير العادى بشأن كلية المعرفة Wholeness of Knowl-edge يدعوه للسخرية من "فروع العلم ologies" التى تصف الإنسان من أكثر من منظور ومن جوانب مختلفة: متعددة وجزنية ، بحيث تفرز لنا إنسانًا "اجتماعيا" أو "اقتصاديا"، بينما يرى دولارد أنه لايوجد سوى (إنسان) واحد فقط؛ لذا يجب أن يكون هناك علم واحد يتعامل معه كوحدة كليّة تشمل الجسد والثقافة . ومن هنا كان دولارد يعتبر رائدًا فى تكامل وتداخل العلوم السلوكية .

وقد ولد چون دولارد فى ويسكونسن عام ١٩٠٠ ، وكان الابن الأكبر بين سبعة أبناء لچيمس وإيلين برادى دولارد James E. & Ellen Brady Dollard وهما من الجيل الثالث من أصل أيرلندى ، وبعد تخرجه فى جامعة ويسكونسن عام ١٩٢٢ ، أصبح دولارد مختصًا بتدبير التمويل للاتحاد التذكارى لويسكنسن . وقد أتاح له ذلك العمل أن يكون على صلة مع ماكس ماسون Max Mason الذى أصبح القدوة والنموذج بالنسبة إليه .

حينما عين ماسون رئيسًا لجامعة شيكاغو انضم دولارد لفريق العاملين معه كمساعد ، وكانت جامعة شيكاغو مكانًا مبهرًا ، وقد استمتع دولارد بالإحساس بكونه أصبح فى طليعة التغيير الفكرى ، وقد تولى ماسون تقديمه لوليام فيلدنج أوجبرن William Fielding Ogburn الذى أتاح له فرصته الأولى فى التدريب العلمى ، كما كان المشرف المسئول على رسالته العلمية فى علم الاجتماع، وكان موضوع الرسالة هو "شكل ووظائف الأسرة الأمريكية القديمة The Form and Functions of the Early American Family " (1931) .

وقد درس دولارد فى جامعتى ويسكونسن وشيكاغو الرياضيات التى ساعدته فى تعلم الإحصاء وفى استخدام المناهج التجريبية .وبعد حصوله على درجة الدكتوراه من جامعة شيكاغو؛ حصل على منحة من مجلس بحوث العلوم الاجتماعية لدراسة التحليل النفسى فى ألمانيا ؛ وقام بتحليل هانز زاكس . Hans Sachs، وهو إحدى "الحلقات السبع" فى دائرة فرويد .

عندما عاد دولارد من برلين ، استدعاه صديقه إدوارد سابير Edward Sapir إلى جامعة ييل للمساعدة فى إدارة السمنار الدولى لمدة عام ، وكان موضوعه "تأثير الثقافة على الشخصية" . وبعد انتهاء السمنار عينه مارك ماى Mark A. May مديرًا لمعهد العلاقات الإنسانية فى ييل ، وكان هذا المعهد مؤسسة للتعليم والبحوث فى نفس الوقت ، وكان ذلك ملائمًا تمامًا لشخص مثل دولارد يتوفر لديه مثل هذا التدريب العريض الشامل ، ولكن كان عليه أن يدفع ثمن عبور حدود النظم التقليدية فأصبح عضوًا من الخارج فى قسمين آخرين ، قبل أن يُقبل فى آخر الأمر عضوًا دائمًا فى قسم علم النفس .

وفى المعهد أصبح لدى دولارد علاقات محفزة للعمل مع المحلل النفسى إيرل تسين Earl F. Zinn ومع علماء الاجتماع من أمثال: چورج ميردوك George P. Murdock، وألن جريج Allen Gregg اللذين كانا يعملان فى مؤسسة روكفلر . كما التقى عالم النفس الشاب نيل ميللر Neal E. Miller الذى درس التحليل النفسى . وقد تولى ميللر تعليمه نظرية تدعيم التعلم reinforcement learning theory، المبنية على تركيب كلارك هل Clark L. Hull لأفكار كل من إدوارد ثورندايك Edward L. Thorndike، وايڤان باڤلوڤ Evan P. Pavlov، وبالجمع بين البحث والنظرية مع الملاحظة فى العلوم الاجتماعية؛ طور دولارد وميللر نظرية الشروط والمبادئ التى تحدث فى عملية التعلم لدى الأشخاص وفقًا لمبادئ حيوية نفسية تحت شروط ينظمها

المجتمع . ولا تقيم هذه النظرية أهمية كافية للنظم والمراكز التى عن طريقها تتكون العادات لدى الناس وتتغير وفقًا للظروف الاجتماعية .

وقد كان كتاب دولارد الأول: معايير لتاريخ الحياة Criteria for the life History (1935)، دعوة للوحدة فى مجال تاريخ الحياة . وكان الهدف هو إظهار كيف يتحول الأساس البيولوجى للفرد بكل ما فيه من دوافع وإمكانيات داخلية إلى كائن ثقافى واجتماعى . ويحتوى الكتاب سبعة معايير لتاريخ الحياة الفعال ، كما يُقيّم عدداً من الوثائق والأدلة وفقًا لهذه المعايير . ولكن لم تتوفر فى تلك الوثائق والأدلة أى من تلك المعايير السبعة؛ لأنها تجاهلت إما العوامل البيولوجية وإما العوامل الثقافية ، وقد وصفت مارجريت ميد Margaret Mead هذا الكتاب بأنه "علامة على الطريق فى دراسة الشخصية والثقافة"(Mead 1936).

ومن بين كل كتب دولارد كان كتابه: "الطائفة والطبقة فى مدينة بالجنوب Caste and Class in Southern Town (1937) الأكثر انتشاراً وقراءة ، وقد تضمن هذا الكتاب دراسة استغرقت ستة شهور عن النظام الطبقى القائم على التمييز بسبب اللون مما كان يحول دون حصول الأطفال المولودين من التزاوج بين البيض والسود على الشرعية كما يحصر السود فى طبقة اقتصادية واجتماعية دنيا . وفى بحثه عن "مدينة جنوبية Southerntown "، أشار دولارد إلى التعصب والكراهية على مدى الخطوط التى تفصل بين الطبقات ، وهو أمر بدا واضحًا لدى البيض، كامنًا لدى السود . وقد خلص إلى أن النظام قد صمم من أجل مصلحة السكان البيض ، وعلى ذلك فإنه يسبغ مكانة معينة ، وأيضًا مكاسب اجتماعية واقتصادية لطبقة البيض ، وعندما نشر هذا الكتاب للمرة الأولى أثار عداءً ملحوظًا بين العديد من السكان البيض بمن فيهم المثقفون ، وفى وقت ما تم حظره فى جورجيا وجنوب أفريقيا . وترجع التغيرات فى المكانة الاجتماعية والقانونية للسود - ولو جزئيا - إلى التأثيرات طويلة المدى

للأفكار ووجهات النظر المبكرة التى أبرزتها تلك الدراسة الجريئة الرائدة .

ويدور الكتاب الثانى لدولارد وهو كتاب (Children of Bondage 1940) حول مشكلة العلاقات الإثنية ، وقد ألف هذا الكتاب بالمشاركة مع عالمة الأنثربولوجيا أليسون ديفيز Allison Davis، ويحلل هذا الكتاب تاريخ الحياة لسبعة من الشباب السود فى نيو أورليانز New Orleans وناتشيز Natchez فى محاولة لإظهار وتأكيد المتغيرات النفسية والاجتماعية فى حياة الأطفال السود . وعلى الرغم من أن المؤلفين اكتشفا وجود خطوط داخلية للطبقة واللون داخل طائفة السود caste، فإنه كان يبدو أن كل نماذج متغيرات الشخصية كانت موجبة ولكن لم يكن هناك ما يدل على وجود اختلافات جينية بين مختلف الطوائف . وقد أتاح البحث الذى قام عليه هذا الكتاب الفرصة لدولارد لاستخدام تحليل الطبقة الاجتماعية وقد قام بتطويره لويد وورنر W. Lloyd Warner.

وخلال حقبة الثلاثينيات بدأ دولارد ورفاقه فى معهد العلاقات الإنسانية فى إجراء بحث بتخصصات مختلفة عن مشكلات الإحباط والعدوان (Dollard et al. 1939)، وقد صاغ دولارد الفرض الخاص بأن "الاستجابة العادية للإحباط لدى الفرد تتخذ شكل العدوان ضد موضوع الإحباط" (١٩٣٧. p. 267). وقد شجع المعهد إجراء أعمال أخرى حول هذا الموضوع لأنه ساعد على تفسير الكثير من الملاحظات النفسية والاجتماعية والثقافية .

وقد كان اهتمام دولارد الخاص منصبًا على نظرية التعلم والتحليل . وقد أكد هو وميللر أهمية المبادئ والشروط الاجتماعية للتعلم لدى الناس ، كما اختبرا أسلوب النظام الذى يتم فى نطاقه تعلم الثقافة الإنسانية، وذلك فى أكثر من خمسة آلاف ثقافة مختلفة معروفة (Miller & Dollard 1941). وفهم السلوك الإنسانى يستلزم معرفة مبادئ التعلم (وما يتضمنه ذلك من طبيعة واحتياجات الكائن الحى) وأيضا ظروف الثقافة والمجتمع ، وهذه الرؤية تعد نقطة انطلاق نحو علم اجتماعى

موحد . وقد دعم ميللر ودولارد نظريتهما بتجارب أجريت على الأطفال والحيوانات ، كما ناقشا اقتصار التقليد والمحاكاة economy of imitation كأسلوب لمواجهة "الاستجابة الصحيحة " right response وذلك في محاولة مبكرة . وقد شجع هذا العمل الآخرين على دراسة التعلم الاجتماعي ودراسة بعض جوانب التقليد وذلك مثل أهمية المكانة بالنسبة إلى النموذج الأساسي.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية استكمل دولارد مشروعًا كان قد بدأه مع ميللر لإعداد كتاب عن الخوف أثناء المعركة . وقد قام دولارد بإجراء بحث طبق فيه استبيانًا لدراسة كتيبة إبراهام لنكولن Abraham Lin-coln Brigade في الحرب الأهلية الإسبانية؛ وذلك لجمع معلومات قد تكون لها فائدة في تدريب المجندين في الحرب العالمية الثانية . وكانت النقطة البارزة في الكتاب (١٩٤٣) ، هي أن كل الأفراد كانوا يشعرون بالخوف، وأن الاختلافات السلوكية نتجت عن نجاح بعض الأساليب في تعلم طريقة التعامل مع الخوف والتغلب عليه.

وقد اعتبر دولارد أن أفضل كتبه هو كتاب: الشخصية والعلاج النفسي Personality & Psychotherapy (Dollard & Miller 1950) ولمحاولة الكتاب تركيب المعلومات المتعلقة بمبادئ التعلم المشتقة من التجارب المعملية مع المعلومات الخاصة بالشروط الاجتماعية للتعلم المشتقة من الدراسات في مجال الثقافة ، واستخدام هذه المعرفة في تفسير التاريخ – الطبيعي للملاحظات حول السلوك البشري في العلاج النفسي، كذلك يحلل الكتاب الأساليب التي يمكن من خلالها تعلم الجوانب المختلفة للمصاب ، وأنه يمكن للكبت أن يتدخل في التدليل والتفكير ، وأن في استطاعة العلاج النفسي أن يعلّم المريض كيف يميز بين المخاطر الحقيقية والتخيلية ، وأن يستعيد استخدام العمليات العقلية العليا ، ويعرف مزيداً من السلوك الاجتماعي التكيفي . وعن طريق التدليل باستخدام تفاصيل ملموسة على أن العلاج النفسي هو عملية تعلم اجتماعي وإعادة تعلم انفعالي؛ أسهم هذا الكتاب في

إرســــاء أســــاس علمى لمشــــاركـة السـيكولوجـيين فى العـلاج النفـسى . وعلـى الرغـم مـن أنـه لـم يـؤسس أى مدرسة للعلاج النفسى فإنه أثر بقوة فى أجيال عديدة من المعالجين النفسيين .

وفى كـتـاب الدوافع البـشـرية Scoring Human motives (Dollard & Auld 1959) حـاول المؤلفـان بناء نظام لتـصـحـيح وتكويد مـحـتـوى مـقـابلات العلاج النفسى، عن طريق تحديد درجة لكل جملة تبنى على رموز لمكونات حديث المريض وتعليـقـات المعـالج فى نسخ للمـقـابلات المسـجلة . وكـان يتم تقديرالانفعالات مثل: القلق والعدوان والمقـاومـة لدى المريض وتفسـيـرات المعالج النفسى لها، بينما يتم تصنيف الأحـداث الشـعورية واللاشـعورية مع تسجيل درجات الثبات ، وكان دولارد يعتقد بقوة فى أن نموذجًا مثل هذه الدراسة ، هو الأسلوب الوحـيـد لوضع المقـابلات العلاجية المسجلة داخل نطاق العلم .

وفى الفـتـرة من عـام ١٩٦٠ حـتى تقاعده فى عام ١٩٦٩ ، خاض دولارد هو ومساعدته فى البحـوث أليس وايت Alice M. White معركة طويلة وشرسة مع مشكلة تكويد مـضـمـون العـلاج النفـسى ، وقـد اختبرا الثبات والصدق فى نظام التكويد لديهما ونشرا مجموعة من الأوراق ترتبط بقياس مضمون العلاج النفسى .

وخلال تاريخه المهنى ، استطاعت بحـوث دولارد أن تسـاهم بإبداع فى التكامل بين أربعـة مـجـالات علمـيـة مستقلة . الآن مشروعًا علميا جديدًا وجريئًا ، فإن هذا يعد مقياسًا لمدى تأثيره طويل المدى فى مـجـال العلوم السلوكية.

(*) توفى چون دولارد عام ١٩٨٠ عن عمر يناهز واحدا وثمانين عامًا. (المراجع)

المؤلف : Neal E. Miller

المترجمة: سلوى العامرى

WORKS BY DOLLARD

WORKS BY DOLLARD

1931 The Form and Functions of the Early American Family. PH.D. dissertation, Univ. of Chicago.

(1935) 1971 *Criteria for the Life History, With Analyses of Six Notable Documents.* Freeport, N.Y.: Books for Libraries Press.

(1937) 1957 *Caste and Class in a Southern Town.* 3d ed. Garden City, N.Y.: Doubleday.

1939 DOLLARD, JOHN; DOOB, LEONARD W.; MILLER, NEAL E.; MOWRER, O. HOBART; and SEARS, ROBERT R. *Frustration and Aggression.* New Haven: Yale Univ. Press.

1940 DAVIS, ALLISON; and DOLLARD, JOHN *Children of Bondage: The Personality Development of Negro Youth in the Urban South.* Washington: American Council on Education. → Prepared for the American Youth Commission.

1941 MILLER, NEAL E.; and DOLLARD, JOHN *Social Learning and Imitation.* New Haven: Yale Univ. Press. → A paperback edition was published in 1964.

1942 *Victory Over Fear.* New York: Reynal and Hitchcock.

(1943) 1976 *Fear in Battle.* New York: AMS Press.

1950 DOLLARD, JOHN; and MILLER, NEAL E. *Personality and Psychotherapy: An Analysis in Terms of Learning, Thinking, and Culture.* New York: McGraw-Hill. → A paperback edition was published in 1965.

1953 DOLLARD, JOHN; AULD, FRANK, JR.; and WHITE, ALICE M. *Steps in Psychotherapy: Study of a Case of Sex–Fear Conflict.* New York: Macmillan.

1959 DOLLARD, JOHN; and AULD, FRANK, JR. *Scoring Human Motives: A Manual.* New Haven: Yale Univ. Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

MEAD, MARGARET 1936 Review of *Criteria for the Life History. The Nation* 142, May 6:590 only.

رايت . سيوال

Wright, Sewall

ولد سيوال رايت فى الحادى والعشرين من ديسمبر عام ١٩٨٩ . كان رجلاً ذا قوة جسمانية وعقلية غير عادية ، وقد ألف أكثر من مائتى مادة علمية ، واستكمل عمله الأكبر ، التطور والتركيب الوراثى للسكان Evolution and the Genetics of Populations (1968- 1978) فى عام ١٩٧٨ ، وكان وقتئذ فى الثامنة والثمانين من العمر. وكانت إسهاماته الكبرى فى مجالات علم الوراثة genetics والتطور evolution والإحصاء الإحيائى biometry، وكان هناك اتفاق عام بشأنه بصفته أحد أبرز علماء الوراثة فى عصره . ومنذ وقت مبكر ، أى فى عام ١٩٢٠، كان قد ابتكر الأسلوب الإحصائى "تحليل المسار analysis Path" الذى أصبح من الأساليب المنهجية المقننة فى التربية الكمية للحيوان والنبات . وقد طبق هذا المنهج أيضًا على التحليل الاقتصادى لأسعار الذرة وبعض أنواع الماشية ، ولكن كل ذلك تم تجاهله تماما من جانب علماء الاجتماع حتى فترة الستينيات . عندما أصبح التحليل السببى أكثر أهمية فى الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم السياسة وعلم النفس . وقد صارت أساليب رايت المنهجية أكثر شيوعًا بعد مضى نصف قرن على ابتكارها .

وكان والده فيليب جرين رايت Philip Green Wright قد قام لعدة سنوات بالتدريس فى جامعة صغيرة، وهى كلية لومبارد Lombard College فى جالسبرج Galesburg بولاية أوهايو . وعلى الرغم من أنه كان رجل اقتصاد من خلال التدريب ، فإنه كان يقوم بتدريس كل شىء ابتداءً من الحساب والرياضيات ونهاية بالرياضة البدنية . وبعد ذلك، وفى عام ١٩٨٢، كتب كتابًا عن التعريفة على الزيوت النباتية والحيوانية The Tariff on Animal and Vegetable oils الذى أسهم فيه سيوال

بكتـابة الملحق . وبكونه طفـلاً أظهـر سيوال رايت نضجًا مبكرًا فى العمليات الحسابية، فكان يعرف كيف يستخرج الجـذر المكعب قـبل أن يلتـحق بالسنة الدراسـيـة الأولى . وكـان لديه أخـوان مـوهوبان همـا: كـويـنسي Quincy الذى صار طالبًا مميزًا فـى القانون الدولى ، وتيـودور Theodore الذى أصـبح فـيمـا بعد مسئولاً عن إدارة الطيران المدنى . وكان الإخـوة الثـلاثة يقـومـون بطبـاعـة كـتـابات أبيـهم فى المنزل، وذلك ضـمن أشـياء أخـرى كان من بينهـا أول كتاب عن الشـعـر أعده كـارل سـاندبرج Carl Sandburg، وذلك قـــبل أن يصـــبح شاعـرًا مشهـورًا بفترة طويلة .

كـان مبـعث اهتمـام سيـوال رايت وشـغـفـه بعـالمة الـوراثة ڤيلهـمـيـنـا كى Wilhelmina Key التى كانت تُدرس علم الأحياء فى كلية لومبـارد ، ثم أصـبحت فيما بعد من النشطاء فى حركة تحسين النسل . وبعـد التـخـرج فى لومـبـارد وقضاء سنة فى جامـعة إلينوى ، أصبح طالبًا فى الدراسـات العليا فـى جامـعة هـارڤارد ومـسـاعـدًا لـوليـام كـاسل William E. Castle الذى كـان منشـغـلاً فى بحث مـبكر عن جـينات الفـئـران . وفى عـام ١٩١٥ حـصـل على درجـة الدكـتوراه فى العلوم بناءً على دراسـته المكثفة عن وراثة اللون الذى يغطى جلد الخنازير الغينية guinea pigs.

وفى الفـتـرة من عـام ١٩١٥ حـتى عـام ١٩٢٥ ، كـان رايت من كـبـار الخبراء الزراعيين فى المجال الحيوانى فى وزارة الزراعـة الأمـريكيـة Department of Agriculture U.S بـواشنطن . وفى هذا المنصب كان مشـروعه الأكبر مُنصـبًا على توضـيح للأدوار والفـروق بين كل من الاسـتـيـلاد الداخلى للحيوانات inbreeding والتهجين cross-breeding لتحسين السلالات الحيوانية . وقد استـمـر فى إجراء تجـربة مكثـفة ، كـانت قـد بدأت بالفـعل ، وتضـم ثلاثًا وعـشـرين سـلالة من الخنازير الغـينيـة، وفى كل منهـا كـان يتم التزاوج بين أخ وأخت . وكـان التـدهـور فى الحـالة الصحية والقوة والخصوبة، هى الفروق

الكبيرة بين مختلف السلالات التى يتم استيلادها داخليًا ، والتشابه بين السلالات والاستعادة السريعة للقوة من التزاوج الخارجى بين السلالات ؛ كانت كلها أمورًا تم تفسيرها كميا بالتفصيل، حيث أمكن استنتاج تبعاتها من قانون الوراثة عند مندل Mendel .

وقد توصل فى هذه الدراسات إلى أساليب للتحليل الإحصائى البيولوچى الذى أصبح له الآن إجراءات مقننة فى تربية الحيوانات تتطلب قياس التوالد الداخلى inbreeding والعلاقة فى الأنساب المعقدة . وقد أصبح مُعامِل التوالد لديه Coefficient of inbreeding يُستخدم الآن على مستوى العالم ، كما أنه جزء مقنن فى المواد الدراسية الأولية فى الوراثة .

وقد استخدم رايت ذلك فى تحليل تاريخ البقر قصير القرنين short horn، وهى السلالة التى يمكن الرجوع لسجلاتها، والتى تمثل التأسيس لهذا الاستيلاد breed. وقد لاحظ أن التحسن الجوهرى فى السلالات لا يظهر فقط من خلال اختيار القطيع وإنما يمكن أيضا من خلال إحداث تغيير عشوائى قد يؤدى أحيانًا إلى ظهور قطعان مميزة ، ويمكن استيراد الثيران bulls منها لتحسين سلالات قطعان أخرى. وبينما كان لايزال يعمل فى الإدارة الزراعية ، بدأ فى تطبيق ملاحظاته على مشكلة أكثر عمومية تتعلق بالتطور من خلال الارتقاء الطبيعى .

فى عام ١٩٢٥، انتقل رايت إلى بيئة أكثر أكاديمية وهى جامعة شيكاغو ، وقد ظل هناك حتى عام ١٩٥٥ ، انتقل بعدها إلى جامعة وسكونسن ، وقد أصبح أستاذًا فخريًا فى وسكونسن منذ عام ١٩٦٠ . وعلى الرغم من أنه استكمل بحثه عن فسيولوچيا تطور چينات الخنازير عندما كان فى شيكاغو ، فإن عمله الذى عُرف به أكثر واكتسب به شهرة عريضة هو نظريته فى الارتقاء . ولعل العلم الذى أصبح يطلق عليه الآن اسم "الخصائص الوراثية للسكان " قد أسسه ثلاثة من

العلماء هم: أر . إيه. فيشر R. A. Fisher وچيه. بى. إس.. هالدين J. B. S. Haldane وسيوال رايت . والنظرية هى استنتاجية بالأساس ، وتبدأ من قواعد مندل عن الوراثة ، وقد أجرى الثلاثة معا تمارين بكثير من التفصيل حول تبعات اختيار أنواع كثيرة من نظم التزاوج ومعدل التحول وتأثير المتغيرات العشوائية على تكرار تغير الچين . وقد تعاون الثلاثة فى هذه البحوث باعتبارها العملية الأولية فى التطور .

وكان إسهام رايت المنفرد فى التطور من خلال الانتخاب الطبيعى natural selection هو نظريته فى "التوازن المتبدل " shifting balance التى توصل إليها من دراساته فى تحسن السلالات الحيوانية، ومن ملاحظته أن كل چين موجود فى الخنازير الغينية يؤثر فى خصائص عديدة ، وأن الچينات تتفاعل بطرق غالبا ما تكون غير متوقعة . وكان ينظر إلى التطور على أنه انتقال من تركيبة متناسقة لتواتر الچين إلى تركيبة أخرى أكثر تناسقًا وقدرة على التكيف مع البيئة . ولكن الصعوبة تكمن فى أنه غالبًا ما يكون من المستحيل الانتقال من تركيبة چين متفوق لآخر دون المرور خلال تركيبات أو تكوينات سيئة. وعبور هذا الوضع السيئ الذى يفصل بين تركيبتين متميزتين - وهو مايعبر عنه رايت بالانتقال بين قمتين مرتفعتين peaks عبرأحد الوديان - valley يتطلب إجراء بعض العمليات غيرالانتخاب الطبيعى الحتمى وحده . وقد تصور رايت أن هذا يحدث ، ولو جزئيًا على الأقل ، لتأثير العوامل العشوائية . فإذا حدث مثلاً أن سكان مجتمع محلى ، سلالة من الماشية فى هذه الحالة ، استطاعوا تطوير تركيبة من الچينات المتفوقة ، فسوف يكون نمو هؤلاء "السكان المحليين "عندئذ أسرع ، كما يمكنهم إرسال "مهاجرين "؛ مما يساعد بالتالى على تغيير النوع كله . وبهذه الطريقة يكون الجمع بين اندفاع تواتر الچين العشوائى فى السكان المحليين والاختيار من بين هؤلاء السكان

المحليين ، والهجرة من أفضل الفئات التي تكيفت؛ ويمكن للتطور أن ينتقل من تركيبة من الچينات المتجانسة إلى تركيبة أخرى . فمن رأى رايت أن تردد ذبذبات الچين العشوائي المحلي يعد جزءًا من الإبداع التطوري أكثر من كونه عاملاً مناوئًا للعملية ، وأنه يمكن لهذه العملية أن تتم بسهولة إذا كان للسكان بناء جغرافي ، أو إذا كانت أطراف التزاوج تنتمي - لسبب من الأسباب - لمناطق متجاورة محددة . وقد أدت هذه النظرة إلى مزيد من البحث في البناء السكاني كعامل في التطور .

ولم تقابل نظرية رايت بتقبل كامل ، فقد عارضها فيشر Fisher على وجه الخصوص، لأنه كان يعتقد أنه ليس من السهل المحتمل أن تحتل أى فئة من السكان قمة الأصلح fitness peak بحيث يصعب تحسينها عن طريق تزويدها بأى عدد من الچينات أو التغيرات البيئية . وكان يعتقد أن الانتخاب الطبيعي يعمل بكفاءة أكبر في المجال السكاني غير المنظم أو المتكامل، والذى يمكن أن نختبر فيه - بكفاءة إحصائية في أكبر عدد ممكن من التجمعات - العوامل التي ذكرها مندل. ولكن مسألة أي بناء سكاني يكون أقدر على تحقيق التقدم التطوري لم تحسم بعد. إلا أنه مع منتصف السبعينيات كانت البيانات قد بدأت في الظهور؛ مشيرة إلى أن هذه الأنواع ، وبصفة خاصة الثدييات ، التي كان التطور فيها أسرع ، بما مايدل بشكل قاطع على وجود قدر من التمايز أو التفاضل differentiaion العشوائي كما تنبأت بذلك نظرية رايت .

وعلى غير عادة معظم البيولوچيين ، كان لدى رايت اهتمام عميق بالفلسفة . وكانت فلسفته عن الكائن الحي مستمدة إلى حد ما من فلسفة لايبنتز Leibnitz التي تؤكد أنه لا يوجد "نشوء emer-gence" غامض أو خفي لخواص جديدة معقدة ، وأن مثل هذه الخواص- كالشعور - يجب أن تكون كامنة بالضرورة في أبسط وأكثر الجسيمات دقة .

وكما ذكرنا من قبل، كان إسهام رايت الأساسى فى العلوم الاجتماعية هو منهج تحليل المسار الذى أُستُخدِمَ فى بحوث الوراثة منذ العشرينيات ولكنه لم يستخدم فى العلوم الاجتماعية إلا بعـــد ذلك بوقت طويل. والعلمـــاء المسئولون - أساسا - عن شيوع هذا الأسلوب حاليا هم: هوبرت إم. بلالوك Hubert M. Blalok، وأوتـيـس ددلـى دانكان Otis Dudley Duncan، وأرثر جولدبرجر Arthur Goldberger.

وكان الأسلوب التقليدى لتحليل البيانات ، والذى كان عرضة لعدم اليقين وأخطاء القياس ، هو التحليل الارتدادى regression analysis الذى يؤدى إلى التوصل إلى معادلات تعطى أفضل تنبؤ بقيم المتغيرات التابعة من قياس المتغيرات المستقلة . أما تحليل المسار فهو يختلف عن ذلك فى أن الهدف منه ليس التنبؤ فى حد ذاته ، ولكنه بالأحرى محاولة تقدير التأثير النسبى لمختلف مسارات السببية . والفرق بينه وبين التحليل العاملى الذى يستخدم عمليات حسابية مماثلة هو أنه يفترض أن عوامل السببية وتسلسل مراحلها فى التأثير تكون معروفة . ولعل من أبسط؛ ولكن من أكثر الجوانب فـــائدة هو أسلوب رايت فى الرسم البيانى لتسلسل السببية حتى أن مسارات الأسباب المباشرة يشار إليها بأسهم موجهة مباشرة ، بينما يعبر عن الارتباطات بين الأسباب السابقة التى لم تحلل بأسهم لها رأسان . ويرتبط بكل خطوة فى الأسباب معامل المسار path coefficient الذى يعـد جـزئيـا مـعـامـلاً للارتداد تم تقنينه من خلال قياسه فى وحدات لقاعدة الانحراف ، وهذا هو التكميم الذى يتم تقديره من البيانات . ومع مثل هذا التقنين توجد قواعد بسيطة يمكن بواسطتها أن يقوم أى شخص بكتابة المعادلات الملائمة مباشرة من الرسم البيانى للمسار . وعندئذ تعبر معاملات المسار عن التأثير النسبى للمسار المتقاطع . وإذا مادعت الحاجة؛ فإن معادلات الارتداد الجزئية المقننة يمكن تحويلها إلى مـعـامـلات ارتداد عادية جزئية يمكن قياسها فى وحدات ملموسة .

ومن بين أحد تطبيقات رايت للتحليل المسارى: محاولته لقياس الأهمية النسبية للوراثة والبيئة فى تحديد درجات معدل الذكاء (IQ). وقد نُشرت هذه الدراسة الرائدة عام ١٩٣١، وقد استخدم فيها بعض المقارنات التى أجرتها باربرا بيركز Barbra Burks بين الأطفال الذين تولى تربيتهم آباؤهم الفعليون، والأطفال الذين تولى تربيتهم آخرون كبدائل لآبائهم. وقد خَلُص رايت إلى أن الوراثة تلعب الدور الأكبر، ولكنه حرص أيضا على الإشارة إلى عدم التأكد سواء من المقاييس أو من الفروض اللازمة لذلك.

وعندما ازداد اهتمام علوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع والنفس بنماذج السببية، ازدادت أهمية تحليل المسار عن ذى قبل. وفى الصياغة الأصلية لرايت لا يوجد تمييز بين البارميتر السكانى، وتقديرات العينة، كما أنه لا يوجد أى أسلوب منتظم يمكن استخدامه إذا كان عدد المعادلات يزيد على عدد تقدير البارميترات (أى عندما يكون النظام محدداً بشكل مبالغ فيه). ولكن مع الأساليب الإحصائية الحديثة، أصبح فى الإمكان التغلب على هذه الصعوبات، كما أن أجهزة الكومبيوتر فائقة السرعة قد أتاحت إمكانية حل عدد كبير من المعادلات المجمعة فى نماذج معقدة فى نفس الوقت. ولهذا كله كانت الورقة التى أعدها رايت عام ١٩٢٥، عن ارتباطات الذرة والماشية على درجة عالية جدا من عمق التحليل وسابقة لعصرها بعدة عقود (*).

(*) مع أن الموسوعة تدرج اسم سيوال رايت ضمن علماء النفس؛ فالواضح أنه متخصص أساسا فى علوم الوراثة وإن كانت بعض المراجع تشير إليه على أنه أحد علماء النفس التطوريين. وقد توفى سيوال رايت فى الثالث من مارس عام ١٩٨٨ فى سن الثامنة والتسعين. (المراجع)

المؤلف : James F. Crow

المترجم : سلوى العامرى

WORKS BY WRIGHT

1914 Duplicate Genes. *American Naturalist* 48:638–639.

1920 The Relative Importance of Heredity and Environment in Determining the Piebald Pattern of Guinea-pigs. National Academy of Sciences, *Proceedings* 6:320–332.

1921*a* Correlation and Causation. *Journal of Agricultural Research* 20:557–585.

1921*b* Systems of Mating, I–V. *Genetics* 6:111–178.

1922 Coefficients of Inbreeding and Relationship. *American Naturalist* 56:330–338.

1925 Corn and Hog Correlations. U.S. Department of Agriculture, *Bulletin* 1300:1–60.

1931*a* Evolution in Mendelian Populations. *Genetics* 16:97–159.

1931*b* Statistical Methods in Biology. *Journal of the American Statistical Association* 26 (Supplement): 155–163.

1934 The Method of Path Coefficients. *Annals of Mathematical Statistics* 5:161–215 .

1935 The Analysis of Variance and the Correlations Between Relatives With Respect to Deviations From an Optimum. *Journal of Genetics* 30:243–256.

1943 Isolation by Distance. *Genetics* 28:114–138.

1945 The Differential Equation of the Distribution of Gene Frequencies. National Academy of Sciences, *Proceedings* 31:382–389.

1953*a* Gene and Organism. *American Naturalist* 87:5–18.

(1953*b*) 1974 The Interpretation of Multivariate Systems. Pages 11–33 in Oscar Kempthorne et al. (editors), *Statistics and Mathematics in Biology*. New York: Hafner.
1956 Modes of Selection. *American Naturalist* 90:5–24.
1960 Path Coefficients and Path Regressions: Alternative or Complementary Concepts? *Biometrics* 16:189–202.
1961 The Treatment of Reciprocal Interaction, With or Without Lag, in Path Analysis. *Biometrics* 16:423–445.
1964 Biology and the Philosophy of Science. *Monist* 48:265–290.
1967 Surfaces of Selective Value. National Academy of Sciences, *Proceedings* 58:165–172.
1968–1978 *Evolution and the Genetics of Populations*. 4 vols. Univ. of Chicago Press. → Volume 1: *Biometric Foundations*, 1968. Volume 2: *The Theory of Gene Frequencies*, 1969. Volume 3: *Experimental Results and Evolutionary Deductions*, 1977. Volume 4: *Variability Within and Among Natural Populations*, 1978.

Blalock, Hubert M. (editor) 1971 *Causal Models in the Social Sciences*. Chicago: Aldine-Atherton.

Duncan, Otis Dudley 1975 *Introduction to Structural Equation Models*. New York: Academic Press.

Goldberger, Arthur S. 1972 Structural Equation Methods in the Social Sciences. *Econometrica* 40:979–1001.

Li, Ching-chün 1975 *Path Analysis—A Primer*. Pacific Grove, Calif.: Boxwood.

Wright, P. G. 1928 *The Tariff on Animal and Vegetable Oils*. New York: Macmillan.

روبر . إلمو

ROPER , Elmo

سجلت الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٣٦، أول استخدام على المستوى القومى لأساليب المعاينة الحديثة فى عملية استطلاع الرأى السابقة على الانتخابات pre - election polling. فبدلاً من الاعتماد على وزن الأعداد الكبيرة لتوفير الدقة ، حيث كان الأسلوب الذى استخدمته استطلاعات الرأى الهشة straw polls، مثل استطلاع رأى الليترارى دايجست Literary Digest Poll الذى كان له مكانته ، وكان يجرى حتى ذلك الحين ، أقام إلمو روبر ، وچورچ جالوب ، George Gallup، وأرشيبالد كروسلى Archibald Crossley، استطلاعاتهم للرأى على عينات صغيرة نسبيًا أُختيرت بطريقة تؤدى إلى تمثيل جميع قطاعات الناخبين . وقد تنبأ الثلاثة بالفوز الساحق لفرانكلين د. روزفلت Franklin D. Roosevelt على ألفريد لاندون Alfred Landon (كان تنبؤ روبر فى حدود نقطة مئوية واحدة من التصويت الفعلى) ، فى حين تنبأت الليترارى دايچست بفوز لاندون بفارق ١٩ نقطة مئوية ؛ وقد كان ذلك البرهان على دقة العينات الممثلة الصغيرة بداية الازدهار الحالى لصناعة عملية استطلاعات الرأى السياسية ، التى أصبحت جزءاً مكملاً للأسلوب "الإدارى" المميز للحملات السياسية فى السبعينيات، ولم يكن فى حياة روبر ما يبشر بقدرته على التفوق فى عملية الاستطلاعات الخاصة بالانتخابات وبالرأى العام . فقد كان بائعًا للمجوهرات عرف طريقه إلى مجال بحوث التسويق ولكن لم تكن له خلفية خاصة فى بحوث الرأى العام .

وقد ولد إلمو روبر فى عام ١٩٠٠ فى هيبرون Hebron بنبراسكا Nebraska، ودرس فى جامعة مينيسوتا Minnesota، وفى جامعة إدنبره Edinburgh ولكنه لم يحصل على درجته العلمية . وبعد أن ترك إدنبره فتح متجراً للمجوهرات فى

كرستون Creston بأيوا Iowa، حيث اكتشف أنه يمكنه أن يزيد من المبيعات عن طريق التحدث مع الزبائن لتحديد تفضيلاتهم الخاصة بالتصميمات . وفى بداية عام ١٩٢٩، أغلق متجره وذهب للعمل كبائع متجول فى البداية فى شركة توماس كلوك Thomas Clock Company، وبعدها فى شركة نيوهاڤن كلوك كمبانى New Haven Clock Company، ثم فى شركة تروب مانيوفاكشرينج Traub Manufacturing Company، وبتقدمه فى إدارة المبيعات طبق روبر خبرته السابقة فى الحديث مع زبائن التجزئة للتنبؤ بالمبيعات فى البحث عن ردود أفعال زبائن التجزئة إزاء مختلف خطوط الإنتاج محل الدراسة . وقد اكتشف أن هذه الطريقة أدت إلى تنبؤات للمبيعات أكثر دقة بكثير عما أدت إليه أحكام زملائه المبنية على الخبرة. وفى عام ١٩٣٣، كان فى نيويورك، حيث سرعان ما كوّن فريقًا مع بول شرينجتون Paul Cherrington من مدرسة هارڤارد للأعمال Harvard Business School، وريتشاردسون وود Richardson Wood كاتب الإعلانات فى شركة چيه . وولتر طومسون J. Walter Thompson Campany لتأسيس شركة للاستشارات الخاصة بالسوق ، (ترك طومسون الشركة فى عام ١٩٣٦ ، وتركها شرينجتون فى عام ١٩٣٨ ، وفى عام ١٩٥٢، أصبح كارول كروسياس Carol Crusius، وبيرنز Burns ابن إلمو روبير شريكين فى الشركة ، وتقاعد إلمو روبر من الشركة فى عام ١٩٦٧ ، قبل أربع سنوات من وفاته فى ٣٠ أبريل عام ١٩٧١).

كانت المسئولية الأولى لروبر تجاه الشركة الجديدة هى إجراء دراسات للسوق يطبق فيها الأساليب التى كان قد استخدمها فى تنمية تكهناته بالمبيعات الخاصة بالمجوهرات ، وقد أصبحت هذه الأساليب علامة مميزة لمدخله فى كل من بحوث التسويق والرأى العام - بمعنى إجراء الاستبارات بالاعتماد على عدد محدود مدرب على مستوى رفيع لإجرائها ،

وكان غالبيتهم يعملون لديه فقط ، ويقتصر عملهم بداية على السبر الكيفى نسبياً للاتجاهات، بينما كان روبر يقوم بكل العمل الميدانى بنفسه ، ولكن سرعان ما اضطر إزاء عبء العمل الثقيل إلى استئجار مجموعة صغيرة من المساعدين لتكمل استقصاءاته الميدانية . ولكى يتأكد من أن مجموعة المساعدين ستغطى جميع النقاط التى يود أن يغطيها ، أعد لهم قوائم بالأسئلة التى يجب توجيهها، كما اعتمد على بيانات التعداد التى فحصها بدقة فى وضع أدلة استرشادية تحدد اختيار الأفراد الذين سيستبرهم الباحثون الميدانيون . وقد انبثق من هذه العملية منهج المسح الذى يستخدم استبيانات ذات أسئلة محددة تطبق على عينات حصصية Quota Samples.

وقد أدى به الجمع بين المنفعة التجارية والاهتمام بالسياسة على مدى طويل ، إلى تأسيس استطلاع فورشن للرأى العام Fortune Poll وإلى الإسهام الناجح فى عملية استطلاعات الرأى التى تسبق الانتخابات . وفى عام ١٩٣٥ شارك هنرى لوس Henry Luce فى شركة روبر لإجراء أول مسح فى سلسلة مسوح الرأى العام التى أصبحت ملمحًا دائمًا فى مجلة فورشن Fortune Magazine حتى سبتمبر ١٩٥٠ . وباقتراب انتخابات عام ١٩٣٦ ، شعر روبر بأن هذه المسوح تتيح له فرصة رائعة للبرهنة على دقة الأساليب التى كان يستخدمها فى دراساته الخاصة بالسوق .

كان الأسلوب الخاص الذى استخدمه روبر فى استطلاعات الرأى عام ١٩٣٦، والذى استمر فى استخدامه فى سنوات الانتخاب التالية ، هو مقياس الاتجاه اللفظى ذى الأربع نقاط four- point verbal atti- tude scale والذى كان يفضله عن سؤال التفضيل preference question المباشر . وكان استخدام روبر للمقاييس اللفظية للاتجاهات يتعارض مع أسلوب جالوب المميز الذى يعتمد على الأسئلة ثنائية الإجابة dichoto-

mous questions المصممة لقياس الطريقة التى ينقسم بها الرأى العام أثناء الانتخاب أو إزاء إحدى القضايا. وكان يعتقد أنه فى ظل المناخ السياسى المتوتر فى عام ١٩٣٦، فإن كثيرًا من مؤيدى روزفلت من الطبقة العاملة سيمتنعون عن الاعتراف بتفضيلهم إعطاء أصواتهم له فى الواقع ، وقد أدى الأسلوب الذى اتبعه روبر إلى انخفاض نسبة الأصوات غير المحددة ، ربما لأن كثيرين رغبوا فى أن يدرجوا روزفلت على المقياس أمام التأييد المعتدل ، على الرغم من أنهم كانوا مترددين فى الإعلان بأنهم سوف يصوّتون لصالحه.

كان استخدام روبر لأساليب المعاينة الحصصية أمرًا شائعًا فى الثلاثينيات والأربعينيات، ولكنه كان هدفًا للنقد العنيف من باحثين مثل رينسيس ليكرت Rensis Likert، الذين مهدوا الطريق لاستخدام عينات المساحة الاحتمالية فى المسوح الخاصة بالجماعات البشرية .

وأيًا مايكون فإن مردود هذه الانتقادات كان ضئيلاً مادامت استطلاعات الرأى التى قامت على العينات الحصصية جاءت بنتائج كانت بمثابة تقديرات قريبة جدًا من السلوك الفعلى للتصويت . وفى عام ١٩٤٠ ، اختلف استطلاع الرأى النهائى السابق على الانتخاب الذى أجراه روبر عن النتيجة الفعلية بخمسة من عشرة فى المئة ، وفى عام ١٩٤٤، باثنين من عشرة فى المئة . وفى سبتمبر عام ١٩٤٨، أعلن روبر أنه فى ضوء التقدم الكبير الذى أحرزه آنذاك توماس إى . ديوى Thomas E. Dewey على هارى إس . ترومان Harry S. Truman فإنه من العبث إجراء استطلاع آخر للرأى لتفضيل الناخبين . وقد بنى روبر قراره على خبرته بانتخابات ١٩٣٦ ، و١٩٤٠ ، و١٩٤٤ ، التى بينت أن غالبية المصوتين قد قرروا فى وقت مبكر من الحملة الانتخابية ما إذا كانوا سيصوتون لروزفلت أو لخصمه الجمهورى . (فى أكتوبر قرر أيضا جالوب وكروسلى عدم إجراء مسح أخير) . ومع ذلك ، فقد بينت تحليلات

ما بعد الانتخابات أن نجاح ترومان جاء نتيجة تغيير الكثيرين من المصوتين آراءهم ، أو أنهم اتخذوا قرارهم فى وقت متأخر ، حيث إن ترومان لم يكن حتى الأسبوع الأخير من الحملة الانتخابية قد أحرز التفوق .

أثارت حقيقة أن جميع استطلاعات الرأى السابقة على الانتخاب المهم قد تنبأت بفوز ديوى عاصفة من النقد العام ، ووضعت مهنة المسح كلها موضع تساؤل . وقد كوّن مجلس بحوث العلوم الاجتماعية Social Science Research Council لجنة خاصة لفحص استطلاعات الرأى ومناهجها . وقد تعاون روبر ، ومعه فى ذلك جالوب وكروسلى ، تعاونًا كاملاً فى هذا الفحص . وقد أصبح القائمون باستطلاعات الرأى أنفسهم مهتمين جدًا بطرق قياس اتجاهات الدقيقة الأخيرة ، وذلك بتحديد المصوتين المحتملين ، وتوزيع المصوتين الذين لم يقرروا لمن سيعطون صوتهم ، بينما ركز أغلب النقد الذى جاء من خارجهم- مثل ليكرت - على استخدام أساليب المعاينة الحصصية . تضمنت النتائج الباقية لخبرة عام ١٩٤٨، القبول النهائى لتفوق المعاينة الاحتمالية على المعاينة الحصصية ، وإن كانت هناك تعديلات متنوعة للمعاينة الاحتمالية المعدلة modified probability استمر استخدامها من البعض عمومًا ، فقد أدت خبرة عام ١٩٤٨، إلى تقدير أكثر رصانة للمخاطر المنهجية لعملية استطلاع الرأى حول الانتخابات - خصوصًا الحاجة إلى قياس التغيرات فى تفضيلات المصوت خلال مسار الحملة الانتخابية ، بدلاً من معالجة نتائج استطلاع الرأى باعتبارها تنبؤات .

دور روبر في بحوث الرأي العام :

من المحتمل أن يكون روبر أحدث تأثيرًا كبيرًا من خلال شبكته الخاصة بالعلاقات الشخصية على الميدان النامى لبحوث الرأى العام . ويتضح هذا من قائمة الأشخاص الذين عملوا معه أو لحسابه طوال سنوات ، والتى

تتضمن: ريموند فرانزن Raymond Franzen، وسولومون دوتكا Solo-mon Dutka، ولويس هاريس Louis Harris، وجون كرافت John Kraft، وألفريد بوليتز Alfred Politz، وأوليفر كييل Oliver Quayle، وروبرت برات Robert Pratt، وروبرت بيتى Robert Petty، وجوليان ل. وودورد Julian L. Woodward، وإلمو ويلسون Elmo Wilson . وقد كتب روبير القليل للعالم الأكاديمى ، إذ كان يفضل بالأحرى أن يوجه كتاباته لقادة الرأى والمشاريع القومية وللجمهور العام فى منشورات مثل: مجلة فورشن Fortune، وجريدة نيويورك هيرالد تريبيون New York Herald Tribune، وساترداى رفيو أف ليتريتشر Saturday Review of Lit-erature . وعلى الرغم من أن علاقته الرسمية بالأكاديميين كانت فى حدود فترة قصيرة فى الأربعينيات عندما عمل أستاذاً مساعداً يلقى محاضرات غير منتظمة فى كلية كولومبيا للدراسات العليا للصحافة Colombia Graduate School of Journalism، فإنه كان يحافظ دائمًا على الروابط الشخصية الحميمة مع العالم الأكاديمى ، وكان ذلك أوضح ما يكون مع بول ف. لازارسفلد Paul F . Lazarsfeld الذى عمل مستشاراً لروبر فى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات . وكان لهذه الاتصالات مردود مزدوج إذ أتاحت له ، من ناحية ، قناة يمكن عن طريقها متابعة التطورات النظرية بشكل منتظم ، بينما أمكن من الناحية الأخرى إثراء العالم الأكاديمى عن طريق إتاحة الفرصة له للوصول إلى بيانات روبر . وكان تأسيسه لمركز بحوث روبر Roper Research Center بكلية وليامز Williams College، وهو أرشيف للبيانات أتاح بيانات البحوث التجارية للتحليل الثانوى ، إضافة كبرى للبحث الأكاديمى .

خلال السنوات السابقة للحرب العالمية الثانية ، وخلال الحرب نفسها ، قام صانعو السياسات بأول استخدام فعال لاستطلاعات الرأى العام .

والمثال المبكر على ذلك هو قرار روزفلت بيع المدمرات لبريطانيا العظمى من أجل حملتها ضد قوارب الطوربيد الألمانية . ففى ظل الصراع الحاد بين المؤيدين للتدخل والانعزاليين ، كان هناك شك لا يستهان به بالنسبة إلى قبول الكونجرس لهذه الصفقة . وأجريت استطلاعات للرأى العام من جانب روبر وجالوب ، وبناءً على هذه الاستطلاعات قرر روزفلت أنه كان من الآمن سياسيًا إتمام البيع .

كذلك تميزت السنوات الأولى للحرب بارتباطات روبر بالمستويات السياسية العليا فى هيئات حكومية مثل مكتب إدارة الإنتاج Office of Production Management، ومكتب الوقائع والأرقام Office of Facts and Figures كما عمل مديرًا مساعدًا لمكتب منسق المعلومات Office of Coordinator of Information، ثم مساعد مدير لمكتب الخدمات الاستراتيجية، وكان المسئول عن مشروع "دولار – فى – العام dollar-a-year" لمكتب استعلامات الحرب Office of War Information، كما كان فعالاً فى إعداد عمليات المسح الخاص بهذا المشروع . كانت إحدى صلاته المهمة خلال تلك الفترة هى صلته بهنرى فورد الثانى Henry Ford II، الذى عمل معه لفترة وجيزة مستشارًا بدون أجر . ولما كان روبر متحمسًا للدولية internationalist فقد التحق بعد الحرب بالاتحاد الأطلنطى Atlantic Union، وشن حملة قوية لصالح قرار مجلس الشيوخ الذى يقضى بإرسال جماعة عمل لمؤتمر منظمة معاهدة شمال الأطلنطى فى عام ١٩٥١ .

كان روبر فى جميع ارتباطاته بمن هم فى مراكز صنع القرار يعمل على استخدام البحث المسحى من أجل الوصول إلى حلول لمشكلات السياسة العامة وسياسة الأعمال . فارتباطه مثلاً مع فورد أدى إلى عضويته فى الصندوق الخاص بمجلس إدارة الحزب الجمهورى ، حيث كان فاعلاً فى الحصول على تمويل للدراسة الضخمة التى أجراها

صاموبل إيه . ستوفر Samuel A. Stouffer عن عصر مكارثى McCarthy والتى ظهرت بعنوان، الشيوعية ، الخضوع ، والحريات المدنية Communism, Conformity, and Civil Liberties (1955)، وبالمثل ، أدى اهتمامه بمشكلات السكان إلى تعزيزه الإيجابى للبحث المسحى فى هذا المجال .

وربما كانت شخصية روبر هى المصدر الأساسى لتأثيره، فتمسكه بالمبادئ أقنع الآخرين بأمانته سواء اتفقوا معه أم لم يتفقوا . كان رجل مبيعات ذا تأثير فى استخدام طريقة الإقناع الهادئ للبيع، كما كان ودودًا واجتماعيًا ، وكان بإمكانه أن يكون ناقدًا عنيفًا للذين يشعر بأنهم خرقوا بطريقة ما المعايير المهنية للأداء والأخلاقيات - فى التسويق وأيضا فى بحوث الرأى العام . وقد ورطه هذا الاهتمام فى خلافات مريرة ، أدت أحيانا إلى تمزق الروابط القائمة على المحبة ، بل حتى القائمة على تحقيق الربح . فحين كان مديرًا للصندوق الخاص بالحزب الجمهورى صوّت روبر مع الأعضاء الآخرين بالمجلس على الاحتفاظ بروبرت م . هتشنز Robert M. Hutchins كرئيس للصندوق ، فى معارضة صريحة لهنرى فورد الثانى . وقد أدت هذه الخطوة إلى قطع علاقته الشخصية مع فورد وخسارته نهائيا لما كان يعتبر علاقة عمل رابحة بين مؤسسة روبر للبحث وشركة فورد موتورز . مثال آخر كان نقده لدور لويس هاريس Louis Harris فى الانتخابات الرئاسية الأولية لعام ١٩٦٠ ، والذى تصاعد فى تبادل حاد بينهما فى المؤتمر السنوى عام ١٩٦٠، للرابطة الأمريكية لبحوث الرأى العام (AAPOR). وفى المجال التجارى ، قدم روبر نقدًا مثيرًا لما شعر بأنه إفراط فى البحوث المحركة للدوافع motivation research، وكان ذلك الموقف فى هذه المرة فى المؤتمر السنوى عام ١٩٥٦، للرابطة الأمريكية لبحوث الرأى العام .

و لم يكن روبر يعتقد أن دور الباحث هو دور الملاحظ والمحلل غير المندمج uninvolved. فكان يشعر بأن دوره كباحث سيتحقق بفاعلية أكثر إذا كان مشاركًا فى عملية صنع السياسة نفسها . ولا ينم هذا الموقف عن الرغبة فى جعل النتائج متحيزة أو فى التأثير عليها ، ولكنه نشأ بالأحرى عن شعوره بأن الاستخدام الفعّال للبحث يتوقف على اندماج الباحث فى عملية صنع السياسة . فكان يختار من الناس هؤلاء المحيطين والمهتمين بالقضايا المهمة التى تواجه المجتمع وشئون الأعمال . وكان يأخذ الناس بجدية ، ويشعر بمسئولية عن حل مشكلات العملاء ليس عن طريق إجراء بحوث "مثيرة للاهتمام" ولكن بتزويدهم بإجابات وتفسيرات صريحة .

ولما لم يكن هو نفسه متخصصًا فى مناهج البحث أو التنظير كان شديد الشغف للحصول على توجيهات المتخصصين ذوى المستوى الرفيع . والأمر الأكثر أهمية أنه كان رجل مبيعات ذا تأثير فعال إلى درجة كبيرة بالنسبة لاستخدام البحث المسحى فى وضع السياسات على أعلى مستويات السياسة .

(*) توفى إلمو روبر فى الثلاثين من إبريل عام ١٩٧١ . (المراجع)

المؤلف : IRVING CRESPI

المترجمة : ناهد صالح

WORKS BY ROPER

WORKS BY ROPER

1936 Forecasting Election Returns. *Review of Reviews* 94, Oct.: 58–59.

1937*a* Neutral Opinion on the Court Proposal. *Public Opinion Quarterly* 1, no. 3: 17–20.

1937*b* Supreme Court Opinion. *Literary Digest* 124, July 31: 23–24.

1940*a* Wording Questions for the Polls. *Public Opinion Quarterly* 4: 129–130.

1940*b* Classifying Respondents by Economic Status. *Public Opinion Quarterly* 4: 270–272.

1941 Checks to Improve Polling Accuracy. *Public Opinion Quarterly* 5: 87–90.

1942*a* So the Blind Shall Not Lead. *Fortune* 25, Feb.: 102 only.

1942*b* What Americans Believe. *Rotarian* 60: 10ff.

1943 So the Willing Shall Not Want. *Survey Graphic* 32: 169–170, 233.

1944*a* Polls and the Election. *New Republic* 111: 662–663.

1944*b* What American Labor Wants. *American Mercury* 58: 180–184.

1944 ROPER, ELMO; and DAVENPORT, WALTER Can the GOP Win? *Collier's* 114, July 1: 20, 68.

1945 Tenth Anniversary of Fortune Survey of Public Opinion. *Fortune* 32, July: 263 only.

1946 New York Elects O'Dwyer. *Public Opinion Quarterly* 10: 53–56.

1947 Survey Pitfalls. *Fortune* 35, April: 6, 12, 16, 25.

1949 Only Hope for the G.O.P. *Nation* 168: 297–299.

1951 ROPER, ELMO; and WOODWARD, JULIAN L. The

Effective Public for Plant–Community Public Relations Effort. *Public Opinion Quarterly* 15:624–634.
1953 American Attitudes on World Organization. *Public Opinion Quarterly* 17:405–442.
1957 The Client Over the Years. *Public Opinion Quarterly* 21:28–32.
1959 Lightly Travelled Road to Wisdom. *NEA Journal* 48, April:9 only.
1965*a* College Ambitions and Parental Planning. *Public Opinion Quarterly* 25:159–166.
1965*b* The Politics of Three Decades. *Public Opinion Quarterly* 29:368–376.

رين . جى . بى

RHINE, G. P

ولد چوزيف بانكس رين Joseph Banks Rhine فى عام ١٨٩٥ ، ويرجع إليه الفضل فى تعديل وتحويل البحوث النفسية إلى بحوث حديثة تبحث فى التخاطر بصفته فرعًا من فروع ما وراء علم النفس (الپاراسيكولوچى) وجعل الإدراك الحسى المرهف extra sensory perception (ESP) مصطلحًا مألوفًا . وقد امتدت فترة عمله إلى أكثر من خمسين عامًا قضاها فى الكتابة والإدارة مستهدفًا تأسيس الپاراسيكولوچى علمًا تجريبيًا .

وقد تزامنت أعمال رين مع أعمال زوجته لويزا وعززتها . وقد حصل الاثنان على الدكتوراه من جامعة شيكاغو وكان – هو- يعمل بتدريس فسيولوجيا النبات قبل أن يحصل على تلك الشهادة عام ١٩٢٥، فاستمر فى تدريسها، ولكن تفكيره تحول نحو قضايا أوسع وأشمل عن طبيعة الحياة ، خصوصًا فيما يتعلق بتساؤلات تدور حول النشاط العقلى وما إذا كان العقل يتحمل الموت . وقد تولد الأمل لديه حول إمكانية وجود بحث علمى قادر على حل هذه التساؤلات من تراث الثورة الداروينية . وقد تطلبت الإجابة عن هذه التساؤلات التحول من البيولوچيا إلى علم النفس . وعلى الرغم من مثالية رين وزوجته واستعدادهما للتضحية بالأمان من أجل العمل فى مجال يعتبرانه على جانب كبير من الأهمية؛ فإنهما طلبا المشورة والرأى من ثلاثة من ذوى الخبرة والمشتغلين بالبحث السيكولوچى ، وكان أحدهم هو چوزيف چاسترو Joseph Jastrow الناقد اللاذع للأبحاث النفسية، والاثنان الآخران هما چاردنر ميرفى Gardner Murphy ووليام ماكدوجال William McDougall.

وكان فى رأى ماكدوجال القول الفصل فى تحديد المستقبل العلمى لرين وزوجته على الرغم من أنه أبدى إليهما النصح أثناء مقابلة سريعة؛ لأنه

كان يستعد للقيام بأجازة علمية لمدة عام متخليا عن رئاسة قسم علم النفس بجامعة هارڤارد . وفى عام ١٩٢٦، تولى رين تدريس علم النفس والفلسفة فى جامعة هارڤارد وعمل مع والتر فرانكلين فرنس Walter Franklin Prince الباحث الرئيس السابق فى الجمعية الأمريكية للبحوث النفسية American Society for Psychical Research، و بدأ عمله كمساعد للكشف عن خداع الوسطاء . وفى عام ١٩٢٧، وافق ماكدوجال الذى رأس فيما بعد قسم علم النفس فى جامعة ديوك على قبول رين فى القسم كخريج شرفى . وفى عام ١٩٢٨، عمل رين مدرسًا لعلم النفس والفلسفة بجامعة ديوك وتركزت أعماله فى مجال ماوراء علم النفس (الباراسيكولوجى) وتخلى عن التزاماته الرسمية فى الفلسفة بعد سنوات قليلة، ثم تنازل عن منصب الأستاذية فى علم النفس عام ١٩٤٠، وتفرغ تماما لإدارة معمل الباراسيكولوچى . وفى عام ١٩٦٥، تقاعد كأستاذ فخرى وأحال وظائف المعمل إلى "مؤسسة البحث العلمى عن طبيعة الإنسان Foundation for Research on the Nature of Man" التى كانت قد تأسست عام ١٩٣٧ ، وكانت مجلة الباراسيكولوجى Journal of Parapsychology أهم إصداراتها برئاسة تحرير ماكدوجال ورين .

كان أول إسهام رئيسى لرين هو تقنين منهج تجريبى لبحث "التخاطر" telepathy إذ كانت هناك شواهد وحكايات عن التخاطر تبدو مقنعة ولكنها ضعيفة منهجيًا، بينما الحالات الموثقة بشكل جيد جاءت عن طريق الصدفة البحتة . وقد طالب رين بتحديد أساس موضوعى لتقديرالملابسات كما يحدث فى التجارب السابقة، حيث يقوم الشخص بالتخمين فى لعبة (الورق) أو الألوان . ولكن الوسائل والأساليب السابقة واجهت صعوبتين ؛ إحداهما، هى أن الشخص كان يفقد حماسه حين تطول الفترة على تحقيق الكسب كما هو الشأن مع فرصة ٥٢:١ بالنسبة إلى الورق ، بينما

بالنسبة إلى فترة الانتظار القصيرة كان الشخص يفقد حماسه لكثرة التخمينات المطلوبة للتقدير . وكان رين يرى أن فرصة ١:٥ هى تقدير مناسب . أما الصعوبة الثانية، فهى أن تفضيلات الأشخاص لأهداف أو نتائج محددة قد يفسد تخميناتهم . وقد طوّر رين الأهداف التى كانت تحدد أقل درجة من التحيز فى الاستجابات . وعن طريق تعديل اقتراح قدّمه زميله كارل زينر Karl Zener وضع ما يعرف باسم أوراق لعب الإدراك الحسى المرهفESP التى تستخدم الدائرة والمربع والنجمة والصليب والأمواج .

وتبدأ العملية المبدئية ب(تفنيط) مجموعة ورق اللعب التى تحتوى على ٢٥رمزاً من تلك الرموز والنظر إلى الرمز الأول ثم مطالبة الشخص بتخمين نوعه ، ويستمر فى تلك اللعبة التى لاتخلو من التحدى، وقد حصل كثير من الأشخاص على معدلات عالية جداً من خلال آلاف من التخمينات ولكن حدث أيضا انخفاض واضح مع الشعور بالملل وانخفاض الحافز لتعود النتيجة للارتفاع من جديد حين يتجدد التحدى . ولم يلبث أن أدخل رين وتلاميذه تنويعات جديدة من أجل إحكام الضوابط، وأيضا دراسة حدود فرص النجاح . ولكنهم لم يتوصلوا إلى وجود حدود معينة حينئذ أو بعد ذلك ، إذ ظلت المعدلات عالية حتى حين كان الشخص على بعد مائتين وخمسين ميلاً بل فى الحالات التى لم ينظر فيها أحد إلى الورق. ولكن هذه النتيجة الأخيرة لاتدخل فى باب التخاطر (التلباثى) وإنما تعتبر استشفافاً clairvoyance للرموز المخبأة، وأدركوا أن مثل هذه الرؤية يمكن أن تكون تفسيراً لبيانات التخاطر الظاهرة . وقد صاغ رين مصطلح ESP وأطلقه على النتائج التى توصل إليها، واعتبره علامة مميزة ولكن بغير معنى واضح أو محدد.

وقد وقع رين فى مأزق الجدل والمعارضة من الآخرين بعد نشره مباشرة لكتابه الأول عن Extra- sensory Perception الذى صدر عام ١٩٣٤، وكانت البداية فى عام ١٩٣٨، عند

مناقشة ذلك الكتاب فى اجتماع الجمعية الأمريكية السيكولوجية حين تركز الجدل حول احتمال وجود أخطاء منهجية . وقد تقبّل رين تلك الملاحظات على أنها انتقادات بناءة فغيّر أساليبه للحد من العيوب ، ثم قام بعد ذلك ببعض المحاولات غير المنتظمة التى اعتمد فيها على عدد من النقاط المحددة والأهداف المختارة بدقة وأجرى البحوث بقوة فى معمله الخاص، بحيث توقفت الانتقادات التى تصدر عن فهم صحيح ، ولكن ذلك رفض البعض النتائج الجديدة واستمروا فى شن الهجوم عليه. وذهبوا إلى أن البيانات التى تتعارض مع النظريات التقليدية المقبولة بيانات خاطئة بالضرورة وأن التحليلات الإحصائية غير مجدية وأن تكرار التجربة لا يكفى ، وحتى بعد تكرار التجربة بشكل ملموس ويثير الإعجاب؛ فإنهم تجاهلوا دقة تلك البحوث المعملية وشوهوا النتائج على زعم اللجوء إلى الخديعة من جانب المتطوعين الهواة .

ولكن كان هناك آخرون تقبلوا بترحاب التقارير الفنية الدقيقة وكتاباته العديدة المقنعة ، وكذلك المحاضرات المتكررة ومراعاته للشروط الضابطة وتوخى الحرص عند تفسير النتائج الأولية . وقد ترتب على ظهور نفس النتائج باستمرار إقبال عدد كبير من شباب الدارسين على العمل معه كما بدأت بعض المختبرات والمعامل الأخرى تقوم بذات العمل .

وفى عام ١٩٤٣، اقترح رين وزوجته منهجًا ثانيًا جديدًا عبارة عن طريقة موضوعية للتعرف على الحركة النفسية (Psychokenesis) PK أى تأثير النشاط العقلى على العمليات الجسمية . وهذه الطريقة التى تم تعديلها بعد ذلك كانت تقوم على طرح مكعبات لعبة النرد بطريقة آلية، بينما يتطلع الشخص إلى الحصول على وجه معين بالذات من المكعب أملا فى الحصول على وجه معين من أوجه المكعب مع تكرار العملية. وقد أوضحت النتائج نجاحًا فاق كل توقعات الصدفة ،

كما كشفت عن وجود نمط داخلي قوى. فقد تجمعت نقاط النجاح مع بداية كل مواجهة ، ثم تضاءلت بعد ذلك بشدة . وهذا الانحدار فى المعدلات نتيجة لتكرار العملية من ناحية والارتفاع الملحوظ مع التجديد من ناحية أخرى يماثلان الانحدارات المتكررة التى لوحظت فى اختبارات ESP وفى غيرها من الأعمال التقليدية المألوفة . وقد أدى ذلك إلى تدعيم فكرة أن PK تعبر عن النشاط العقلى(*).

وثمة بحث آخر تم إجراؤه فى معامل ديوك Duke لدراسة الاستشراف precognition (ازدياد الفرص أمام التأثيرات إذا تم الاختبار عشوائيًا فى المستقبل) ، وكانت النتائج عالية للغاية كما حدث فى دراسة الاستشفاف clair-voyance، كذلك حاولت تجارب أخرى دراسة التخاطر الخالص، فقام أحد الدارسين بترجمة الأرقام digits العشوائية ترجمة ذهنية إلى رموز ال Esp ، حيث تم اختيارها بشكل تعسفى ولكنه لم يسجل تلك الرموز كتابة أو كلامًا على الإطلاق . وعلى الرغم من أن المبحوثين تمكنوا من تخمين تلك الرموز فإن رين اعتبر تلك الطريقة غير مرضية لأنها لم تراع استبعاد الاستشفاف والعمليات الذهنية لدى الباحث .

ولقد حدث تحول تدريجي فى البحوث التى أجريت فى معامل رينو وغيرها من المعامل حول إبراز تأثيرات تزايد الفرص وفحص الظروف التى تساعد على النجاح ، وأمكن تحديد عدة ظروف مثل: الاتجاه نحو العمل والمزاج وتفضيل الأهداف وتعاطى المخدرات وما إلى ذلك ولكن بوجه أخص علاقة الباحث بالمبحوث فى التجربة، وهى تعتبر فى معظم الأحيان متغيراً وسيطًا . وقد دعمت التجارب المتكررة التى أجريت بتكنيكات مختلفة النتائج السابقة وبدأت تعمل على نشر المعلومات الخاصة بها .

وأهم ما توصل إليه رين وزوجته من نتائج (1977a, 1977b) تتلخص فى اعتبار ESP و PK قدرات عقلية تختلف اختلافًا واضحًا عن كل العمليات النفسية المعروفة؛ لأنها لاتتأثر بالعرض

الفيزيقى ولا بالمسافة المكانية ولا بالزمن ، كما أنه لايمكن التحكم فيها شعوريًا . وتعتمد تاثيراتها - كغيرها من العمليات اللاشعورية - اعتمادًا كبيرًا على الدوافع وبوجه أخص على العلاقات بين الباحث والمبحوث . ولقد تخلى رين عن آماله فى دراسة التخاطر؛ لأنه لم يتوصل إلى أى طريقة منهجية تميز التخاطر عن الاستشفاف وذهب إلى أنه يجب الكف عن البحث فى أمور الاستمرار فى الوجود والبقاء والفصل بين العقل والجسم لأن الشواهد فى كليهما أوضحت إمكان اختصارهما إلى ESP أو PK. ونظرًا لأنهما تختلفان باختلاف العمليات النفسية فإن من الملائم أن يقبل علماء النفس على دراستهما. ولما كانتا تختلفان أيضا باختلاف العوامل الفيزيولوچية كما هو الحال بالنسبة إلى تعاطى المخدرات فإنه يتعين على البيولوچيين دراستهما ، كذلك فانه نظرًا لأن القوانين العامة تتضمن هذه الظواهر فإن ذلك يستدعى مشاركة علماء الفيزياء . ولكن نظرًا لتميزهما فى الوقت ذاته بشكل واضح فإنهما يؤلفان علمًا مستقلا هو الباراسيكولوچى ·

وقد أسس رين رابطة الپاراسيكولوچى عام ١٩٥٧، لمساندة ذلك العلم ، وهى رابطة مهنية دولية تم اندماجها مع الرابطة الأمريكية لتقدم العلم عام ١٩٦٩ . وتتضمن اتفاقياتها السنوية العديد من التقارير البحثية ، ومع ذلك فإن عدد أعضائها لم يزيدوا كثيرًا عن مائة عضو فى عام ١٩٦٨، ونظرًا لضآلة التمويل فإن شاغلى المناصب فى هذا المجال لم يتجاوزوا العشرين شخصًا يعملون لوقت كامل ، وعدد قليل ممن دخلوا إلى هذا المجال استطاعوا الاستمرار فيه ، ومع أن أكثر من سبعين كلية تقدم مقررات دراسية فى الباراسيكولوچى فإن معظم الذين يتولون التدريس غير متخصصين .

وعلى الرغم من ذلك كان لعمل رين تأثير جوهرى ومهم . فقد أصبحت تلك البحوث علمًا تجريبيًا له متغيرات

منهجية ومعايير محددة . وعلى الرغم من الاختلاف والجدل حول تفاصيل النتائج فإن ESP وPK مدعمة بشكل جيد، كما انتشر قبول ESP على نطاق واسع على الرغم من الخلط المؤسف بين الممارسات السحرية والنتائج العملية . وفى الأوساط العلمية لا تزال المقتضيات المزدوجة لأعمال رين تلقى كثيراً من المقاومة العاطفية التى ترجع إلى عام ١٩٣٠، لتبرير عدم الأخذ بها أو الالتفات إليها . ولكن العلماء القليلين الذين اهتموا بفحص البحوث المعاصرة يميلون إلى التعامل مع الباراسيكولوچى باحترام متزايد باعتباره موضوعاً يستحق مزيداً من الدراسة أو لأنه مجال موجود وقائم بالفعل .

(*) حدث تلخيص لبعض العبارات حول تفاصيل اللعبة غير المألوفة لدى القارئ العربى دون أن يؤدى ذلك إلى الإخلال بالمعنى أو السياق. (المراجع)

(**) توفى رين فى العشرين من فبراير عام ١٩٨٠ . (المراجع)

المؤلف : Gertrude Schmeidle

المترجمة : هدى مجاهد

WORKS BY RHINE

WORKS BY RHINE

(1934) 1935 *Extra-sensory Perception.* 2d ed. Boston: Humphries.

(1937) 1972 *New Frontiers of the Mind.* Westport, Conn.: Greenwood.

(1940) 1967 RHINE, J. B.; PRATT, J. G.; SMITH, BURKE M.; STUART, CHARLES E.; and GREENWOOD, JOSEPH A. *Extrasensory Perception After Sixty Years.* Boston: Humphries.

1943 RHINE, J. B.; and RHINE, L. E. The Psychokinetic Effect. I: The First Experiment. *Journal of Parapsychology* 7:20–43.

1947 *The Reach of the Mind.* New York: William Sloane Associates.

1953 *New World of the Mind.* New York: William Sloane Associates. → A paperback edition was published by Morrow in 1971.

1957 RHINE, J. B.; and PRATT, J. G. *Parapsychology: Frontier Science of the Mind.* Springfield, Ill.: Thomas.

1968 RHINE, J. B.; and BRIER, R. (editors) *Parapsychology Today.* New York: Citadel.

1971 RHINE, J. B. (editor) *Progress in Parapsychology.* Durham, N.C.: Parapsychology Press.

1977*a* Extrasensory Perception. Pages 163–174 in Benjamin B. Wolman (editor), *Handbook of Parapsychology.* New York: Van Nostrand.

1977*b* History of Experimental Studies. Pages 25–47 in Benjamin B. Wolman (editor), *Handbook of Parapsychology.* New York: Van Nostrand.

سبنس . كنيث دبليو

SPENCE, Kenneth W

ولد كنيث دبليو سبنس فى السادس من مايو ١٩٠٧، بمدينة شيكاغو، وتوفى فى أوستن بولاية تكساس، فى الثانى عشر من يناير ١٩٦٧، وهو فى التاسعة والخمسين من العمر ، وكان فى ذلك الوقت أستاذًا لعلم النفس بجامعة تكساس . وقد اعترفت الأوساط الجامعية بأنه الخليفة المنطقى لكلارك إل. هل Clark L. Hull الذى توفى عام ١٩٥٢ . وكان سبنس منهمكًا تمامًا طيلة حياته المهنية بما فى ذلك سنوات دراساته العليا فى تطوير نظرية عن السلوك؛ تعتمد على البحث الإمبيريقى فى نطاق السلوكية الجديدة التى صاغها هل .

ولقد توحد سبنس كليةً مع نظرية هل عن السلوك النسقى systematic لدرجة أن وجهات نظرهما إلى الأشياء كثيراً ما كانت تتداخل، بحيث كان يشار إليها على أنها مدخل أو مقاربة "هل / سبنس" (Logan 1959). ولقد عرف سبنس لأول مرة نظرية هل حين حضر (وهو طالب بالدراسات العليا بجامعة ييل " Yale ") حلقة البحث التى كان هل يعقدها فى ١٩٣٠/١٩٣١، وكان سبنس فى تلك الفترة يعمل مساعداً لروبرت إم ييركس Robert M. Yerkes الذى أشرف على بحوث رسالته للدكتوراه، وهى دراسة للحدة البصرية visual acuity عند الشمبانزى . وبعد حصوله على الدكتوراه عام ١٩٣٢- وكان قد حصل على درجاته الجامعية الأخرى من جامعة ماكجيل McGill - أمضى عدة سنوات فى "معامل بيولوچيا الرئيسات Primate Biology" التابعة لجامعة ييل فى أورانچ بارك Orange Park فى فلوريدا ، ثم عمل لمدة سنة واحدة مع هيئة التدريس بجامعة ڤرچينيا، وانضم بعدها كأستاذ مشارك لجامعة أيوا Iowa وكان ذلك فى خريف عام ١٩٣٨ . وفى عام ١٩٤٢، أصبح أستاذًا ورئيسًا لقسم علم النفس فى أيوا، حيث ظل حتى عام ١٩٦٤، حين انتقل إلى تكساس .

عندما وصل سبنس إلى مدينة أيوا

عام ١٩٣٨، كان المسرح مهيئًا بالفعل لواحـدة من أهـم الفـتـرات وأكـثـرها تجديدًا . فقد كانت الجهود الأساسية لعلماء من أمثال: هل وكورت ليڤين Kurt Lewin وإدوارد سي . تولمان Edward C. Tolman وإدوين آر. جـوثري Edwin R. Guthrie وبي . إف. سكينر B.F. Skinner موجّهة نحو تطوير نظريات نسقية وأفكار عريضة عن السلوك . وكان كتاب تولمان عن السلوك الهادف لدى الحيوانات والإنسان Purposive Behavior in Animals and Men قد ظهر في عام ١٩٣٢، كما صدر عام ١٩٣٨، كتاب سكينر عن سلوك الكائنات العضوية The Behavior of Organisms، وكان هل مشغولاً إلى أبعد حد منذ وصوله إلى ييل عام ١٩٢٩، في تطوير نظريته عن السلوك كما كان كورت ليفين ، وهو عضو هيئة التدريس في "مركز بحوث رعاية الطفل"يتابع تطور نظريته الميدانية أو علم النفس الـ topological، بينما كان هربرت فايجل Herbert Feigl وهو متخصص في فلسفة العلم متوحدًا تمامًا مع الوضعية المنطقية أو الإمبيريقية ويعمل أيضا في أيوا. ولكن جوستاف برجمان Gustav Bergmann، وهو فيلسوف من نفس الاتجاه وكان قد جاء إلى أيوا إثر فايجل الذي ترك أكبر الأثر على سبنس .

ولقد نشأت علاقة قوية بين برجمامان وسبنس أفاد منها الاثنان . فقد اشتركا معا في تأليف عدد من المقالات التي كشفت عن الأسس الفلسفية والمنطقية التي ترتكز عليها جهود هل النظرية، كما شاركا في عدد من القضايا والمشكلات العامة التي تتعلق بمناهج علم النفس . وفي ورقة عن الإجرائية وتكوين النظرية في علم النفس (١٩٤١) قاما بتحليل طبيعة وخصائص التفكيرالنظري المبكر عند هل؛ تبين منها أنه كان يتبع في واقع الأمر مدخل تولمان الذي يعتمد على المتغيرات الطارئة في تكوينه للنظرياته، وقد وافق هل على تلك النتيجة واعترف بها، وقد استمر سبنس في تمسكه ومحافظته على الاهتمام بمثل هذه

الأمور، كما ظهرت إضافاته إلى المنهج بوضوح فى عدد من الأعمال التى قام بنشرها منفرداً .1944, 1952, 1948 , 1957.

ولقد تحققت على أرض الواقع البوادر المبكرة التى تبشر بتميز سبنس كباحث فى علم النفس التجريبى والنظرى ، وتمثل ذلك فى نشره عدداً من المقالات المهمة قبل مجيئه إلى جامعة أيوا . وتضم تلك المقالات دراسة كان لها تأثير كبير عرض فيها نظريته عن التعلم التمييزى أو الانتقائى discrimination learning لدى الحيوانات (١٩٣٦)، وتحليلاً نظرياً مرتبطاً بتلك النظرية عن ظواهر الإحلال transposition نشرها عام ١٩٣٧ . وعن طريق استخدام المبادئ الإشراطية البسيطة للتقوية والتدعيم وما كان يطلق عليه اسم الإحباط المرتبط بعدم التقوية (الإطفاء extinction) مع افتراض بعض الافتراضات الكمية عن الطرق والأساليب التى تؤثر بها تلك التقوية والإحباط فى تطوير عمليات الإثارة والكبت على التوالى. استطاع سبنس أن يفسر أو يتوقع مجموعة متنوعة من ظواهر التعلم التمييزى بما فيها تطور الاستجابات النسقية للوضع وخاصية التعلم التى تبدو مفاجئة وعميقة، والتى تتبع عادات الوضع الراسخة . علاوة على ذلك فقد استطاع سبنس عن طريق افتراض ميول التعميم generalization gradients للإثارة والكبت من نوع معين أن يستنتج ظاهرة تغيير المواقع أو الإحلال الأساسية والمقتضيات الإضافية المتعلقة بها . ومن خلال هذه النظرية يمكنه الرد على عن علماء النفس الجشتالتى الذين يرون أن الإحلال يمثل استجابة لعلاقة بين مؤثرين (مثل شىء أكبر من وأنه لايمكن تفسيره بواسطة نظرية المؤثر المطلقة التى تؤكد وجود ارتباطات معينة مع تلك المؤثرات .

ولا ترجع أهمية تلك المقالات إلى كونها إضافات مهمة وعرضاً مبكراً لتوجهات سبنس المنهجية المنظمة فحسب ، ولكن أيضا لعلاقتها بتفكيره

فى المراحل التالية، كما هو الحال بالنسبة إلى معالجته المنهجية لظواهر الكبت أو المنع المرتبطة بتأثيرات تقوية وتعزيز الاستجابات التى سبق قبولها وإجازتها ودور العوامل العاطفية (الإحباط مثلا) فى مثل هذه العمليات (see 1960).

ولكن على مستوى آخر مختلف كان سبنس يشير إلى تلك المقالات فى أعماله التالية؛ لكى يبين أهمية ما يسميه بالشروط المحددة للنظرية، فقد كان يحاول أن يوضح لناقديه أن نظرياته عن التعلم التمييزى والإحلال تصدق فقط تحت شروط مقيدة ، أى على الكائنات العضوية غير المتمفصلة فحسب ، وكان يأخذ على الذين كانوا يحاولون تفنيد نظرياته اعتمادهم فى ذلك على تجارب أجريت على طلاب الجامعات .

وعلى الرغم من استمرار اهتمامه بالتعلم التمييزى فإنه سرعان ماتحول إلى مواقف تجريبية أخرى؛ نتيجة لتطبيقه استراتيجية "هل" العامة عن تطوير نظرية سلوكية منهجية . فقد وافق "هل" على أن اكتشاف منظومة أساسية أو أولية من القوانين عن السلوك الكلى التى يتم التعبير عنها كميا يمكن الوصول إليها بطريقة أفضل من خلال دراسة الكائنات العضوية اللامتمفصلة فى مواقف بسيطة تشمل الإشراط الكلاسيكى والأدائى مع احتمال أن يكون النوع الأول أكثر بساطة . وكان سبنس يفترض أن الشروط الأساسية المشتقة من المواقف البسيطة يمكن أن تصدق على المواقف الأكثر تعقيداً على الرغم من أن المتغيرات الجديدة يمكن أن تعمل فى تلك المواقف. وقد كانت تلك القوانين التفاعلية - كما يسميها- يمكن أن تكون ضرورية لتحديد علاقة المتغيرات الأساسية بالمتغيرات الجديدة التى تعمل فى سياقات أكثر تعقيداً .

وفى إضافة ملائمة بتاريخ ١٦ ديسمبر عام ١٩٥٠، فى عمله الضخم "Idea Books" أشار "هل" (1962. p.881) إلى حوار مع زميله كارل آى. هوفلاند Carl I. Hovland أن هوفلاند

سأل عن كيف يمكن اكتشاف قوانين جديدة يمكن تطبيقها على المواقف النفسية الاجتماعية، وقد أبدى "هل" بعض التشكك حول وجود قوانين مبدئية جديدة، مما يعنى ضمنًا أن مثل هذه القوانين تم استبعادها وأن المهم أولاً هو التحقق من فاعلية القوانين المعترف بها عن سلوك الفرد فى "مواقف اجتماعية خالصة"،

ويعتبر هذا التعليق مثالاً على الاختلاف فى "الأسلوب Style" النظرى لدى " هل " وسبنس . فقد كان موقف سبنس يتسم بالتحفظ حول إمكانية إحراز تقدم فى اكتشاف القوانين الأساسية كما كان شديد التمسك بالبيانات المتاحة، بينما كان " هل " أكثر ميلاً إلى التأمل والتطلع لمواقف أكثر تعقيداً ، بمعنى أنه كان يميل ويرغب فى معالجة مثل تلك المواقف حتى وإن كانت القوانين المبدئية الأساسية عن السلوك غير محددة تمامًا أو واضحة بدرجة كافية . وربما لأنه كان يفترض- نظراً لعدم وجود بيانات مناسبة - أن تلك القوانين قد استبعدت. ولم يدرك سبنس إلا فى عام ١٩٦٠ - أى بعد صدور كتابه عن نظرية التعلم التمييزى بخمس وعشرين سنة (صدر الكتاب عام ١٩٣٦) - أن تقدمًا قد طرأ على نظريته عن الإشراط البسيط لتبرير مزيد من الجهود لمد تلك النظرية إلى موقف التعلم التمييزى الأكثر انتقاء وتعقيداً .

وكان سبنس يدخل فى صراع من حين لآخر (1956, 1957) مع العلماء الذين يؤكدون استخدام علم النفس فى حل المشكلات العملية وينتقدون المفاهيم والترتيبات التجريبية والتصورات التى يستخدمها علماء من أمثال "هل" ومثله هو نفسه ، ويعتبر تلك الانتقادات صادرة عن عدم الفهم للمشروع العلمى وتعمل على تقويضه . ومع أنه لم يكن يستبعد إمكانية إجراء البحوث الدقيقة فى ظروف أكثر تعقيداً وعلى أمثلة مستمدة من واقع الحياة، مثل: المدرسة أو المستشفى أو المؤسسات العسكرية أو الصناعية ،

فإنه كان يؤكد أن الاستراتيجية الأكثر فائدة هي البحث عن قوانين السلوك الأساسية في مواقف بسيطة بدلاً من العكوف دون إعداد كاف على أمور عملية أو تطبيقية . علاوة على ذلك فإنه كان يؤكد دائمًا أن تتبع القوانين المبدئية في المواقف البسيطة هو مجرد مرحلة أولى فقط في استراتيجية شاملة لتطوير نظرية عامة عن السلوك يمكن تطبيقها على مجال واسع من المواقف المعقدة .

وقد شرح سبنس موقف "هل" بدرجة غير عادية من الوضوح مع تعزيزه بإسهاماته الخاصة . وقد ظهر عرض سبنس لتلك الأعمال في أجلى صوره وأكثرها منهجية في كتابة: نظرية السلوك والإشراط Behavior Theory and Conditioning، الذي صدر عام ١٩٥٦، وهو كتاب يعتمد على محاضراته التي ألقاها عام ١٩٥٥ بجامعة ييل تخليداً لذكرى سيليمان Silliman. ويبدأ الكتاب بمقدمة تاريخية منهجية يعرض بعدها تحليلاً تجريبيًا ونظريًا للإشراط، وينتهي بعرض فكرة اعتبار نظرية الإشراط أساسًا للتعلم المعقد . ومع ذلك فإن الكتاب يتبع التقاليد التي أرساها "هل"، كما أنه يثير الاهتمام في توجيه النظر إلى عدد من الاختلافات المنهجية المهمة بين هل وسبنس. فمثلاً نجد أن موقف التدعيم الأحادي عند "هل" يعارضه سبنس باقتراحه صيغة لنظرية ذات عاملين ترى أن التدعيم ضروري للإشراط الكلاسيكي، ولكنه ليس كذلك بالنسبة إلى الإشراط الأداني المكافئ instrumental reward conditioning. وكانت هذه النظرية تتعارض تمامًا مع الافتراضات ذات العاملين two-factor proposition كما هو الحال مثلاً في افتراض ماورر Mowrer (1947) الذي يرى أن التدعيم مهم بالنسبة إلى لتعلم الأدائي وليس للإشراط الكلاسيكي . وثمة اختلافات أخرى بين "هل"وسبنس تتعلق بالمتغيرات الدافعية والمثيرات أو بمتغيرات الدوافع والمثيرات والتفاعل بينها . ولكننا نستبعد مناقشتها هنا لأسباب فنية ولضيق المكان . ولكن من

المهم على أية حال أن نؤكد أن صياغات كلا العالمين كان يتم التعبير عنها فى شكل كمّى، ويمكن اختبارها تجريبياً .

ولقد أمضى سبنس عشرين عاماً تتميز بغزارة الإنتاج فى جامعة أيوا بصفته باحثًا ومعلمًا . ففى تلك الجامعة أشرف على ثلاث وسبعين رسالة للدكتوراه كما أن تلاميذه يذكرون له التزامه الشديد فى التدريس ونجاحه فى أداء مهمته ، فقد كان معلمًا لتلاميذه وزملائه على السواء، كما أنه نشر دراسات مهمة للغاية فى تحليل النظريات السائدة على أيامه (1951a; 1951b).

وقد تم تكريم سبنس أثناء حياته وبعد مماته، فقد انتخب عضواً فى الأكاديمية الوطنية للعلوم كما كان يمثل عالم النفس الوحيد الذى دعته جامعة ييل لإلقاء محاضرات سيليمان التذكارية . كذلك كان ضمن المجموعة الأولى من علماء النفس الثلاثة الذين نالوا جائزة التميز العلمى لعام ١٩٥٨، من الرابطة الأمريكية لعلم النفس، وقد شرع بمناسبة منحه تلك الجائزة فى وضع دراسة لتطوير نظرية "هل" عن الدافع المتعدد الاستخدام multiplicative drive لكى تشمل كمصدر إضافى للدافع استجابة عاطفية مفترضة وممكنة. وبعد وفاته قام هاوارد كندلر Howard H. Kendler وچانيت سبنس Janet T. Spence بالإشراف على كتاب تذكارى به إسهامات العديد من تلاميذه . وفى الخامس من نوفمبر عام ١٩٦٩، خصصت جامعة ييل وقبلت مختبرات سبنس لعلم النفس تخليداً لذكراه ، وهو معهد جديد من ستة طوابق أقيم بالقرب من المبنى الذى أمضى فيه الجانب الأكبر من حياته المهنية .

المؤلف : George J. Wischner
المترجم : أحمد أبو زيد
Works by Kenneth W. SPENCE

WORKS BY SPENCE

1936 The Nature of Discrimination Learning in Animals. *Psychological Review* 43:427–449.

1937 The Differential Response in Animals to Stimuli Varying Within a Single Dimension. *Psychological Review* 44:430–444.

1941 BERGMANN, GUSTAV; and SPENCE, KENNETH W. Operationism and Theory in Psychology. *Psychological Review* 48:1–14.

1944 The Nature of Theory Construction in Contemporary Psychology. *Psychological Review* 51:47–68.

1948 The Postulates and Methods of "Behaviorism." *Psychological Review* 55:67–78.

(1951*a*) 1966 Theoretical Interpretations of Learning. Pages 690–729 in Stanley S. Stevens (editor), *Handbook of Experimental Psychology*. New York: Wiley.

(1951*b*) 1971 Theoretical Interpretations of Learning. Pages 239–291 in Calvin P. Stone et al. (editors), *Comparative Psychology*. 3d ed. Westport, Conn.: Greenwood.

1952 Mathematical Formulations of Learning Phenomena. *Psychological Review* 59:152–160.

(1956) 1978 *Behavior Theory and Conditioning*. Westport, Conn.: Greenwood.

1957 The Empirical Basis and Theoretical Structure of Psychology. *Philosophy of Science* 24:97–108.

1958 A Theory of Emotionally Based Drive (D) and Its Relation to Performance in Simple Learning Situations. *American Psychologist* 13:131–141.

1959 The Relation of Learning Theory to the Technology of Education. *Harvard Educational Review* 29:84–95.

60 *Behavior Theory and Learning: Selected Papers*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

66 Cognitive and Drive Factors in the Extinction of the Conditioned Eye Blink in Human Subjects. *Psychological Review* 73:445–458.

HULL, CLARK L. 1962 Psychology of the Scientist: 4. Passages from the "Idea Books" of Clark L. Hull. *Perceptual and Motor Skills* 15:807–882. → Published posthumously.

KENDLER, HOWARD H.; and SPENCE, JANET T. (editors) 1971 *Essays in Neobehaviorism: A Memorial Volume to Kenneth W. Spence.* New York: Appleton.

LOGAN, F. A. 1959 The Hull–Spence Approach. Volume 2, pages 293–358 in Sigmund Koch (editor), *Psychology: A Study of a Science.* New York: McGraw-Hill.

MOWRER, O. H. 1947 On the Dual Nature of Learning: A Reinterpretation of "Conditioning" and "Problem Solving." *Harvard Educational Review* 17:102–148.

SKINNER, B. F. (1938) 1966 *The Behavior of Organisms: An Experimental Analysis.* New York: Appleton.

TOLMAN, EDWARD C. (1932) 1951 *Purposive Behavior in Animals and Men.* Los Angeles: Univ. of California Press.

سكينر. بى. إف

SKINNER, B. F

ولد بوروس فريدريك سكينر فى العشرين من شهر مارس عام ١٩٠٤ بمدينة سوسكيهانا فى بنسيلفانيا، ومنذ عام ١٩٧٤ عمل أستاذاً فخريا بقسم علم النفس والعلاقات الاجتماعية فى جامعة هارڤارد ، ويعد سكينر واحداً من أكثر الشخصيات تأثيراً وإثارة للجدل، الأكثر ظهوراً على المستوى العام من علماء النفس الأمريكيين (Skinner's Utopiai...", 1971 .p.47:" ،Goodell 1977,p.4ff,, pp.106-119) وقد أطلق عليه لقب "العظيم" من قبل عالمين، أحدهما متخصص في الفيزياء الحيوية ، والآخر كان متخصصًا فى علم العقاقير، وقد ذكر أولهما أنه" ربما كان لسكينر الحظ الأوفر فى الظهور الإعلامى أكثر من أى عالم آخر منذ زمن داروين Darwin"(Platt، كما اقتبس من جوديل Goodell 1977، ص١٠٧)، فى حين قال الآخر عنه: " إنه كان واحداً من أعظم الرجالات فى زمننا... إن اكتشافات سكينر فى حقل تفاعل الكائنات العضوية مع بيئتها سيكون له التأثير الأعظم والبقاء الأطول على فكرة الإنسان عن نفسه ، وذلك أفضل من أفكار فرويد" (Dews,1970,pp.IX-X).

وتتعلق أبحاث سكينر الكثيرة (Epstein 1977)، بأربعة مجالات رئيسة تهم العلوم السلوكية والاجتماعية: (أ) التحليلات الفلسفية والنظرية للسلوك والمذهب السلوكى. (ب) التحليلات التجريبية للسلوك فى بيئات ضابطة أو محكومة. (ج) تحليل السلوك من خلال التكنولوچيا، والتعديلات القائمة على الإجراءات والقوانين النابعة عن تحليلاته الفلسفية والنظرية والتجريبية. (د) التحليلات السلوكية للممارسات أو الخبرات الثقافية.

هدف للحياة وأسلوب الوفاء به:

يصف سكينر - وهو ابن محام - حياته من عام ١٩٠٤ إلى ١٩٢٨، عندما

التحق بكلية الدراسات العليا، وصفًا مرحليا فى كتابه «خصوصيات حياتى» Particulars of my Life (1976)، ومن خلال سيرته الذاتية المختصرة فى عام ١٩٦٧ . وفى المرحلة الثانوية والجامعة صمم سكينر بشكل متكرر على أن يكون هدف حياته هو التقدم فى فهم السلوك البشرى . وعند تخرجه فى المدرسة الثانوية فى عام ١٩٢٢، كانت قراءاته واسعة وكتب كثيراً من الأعمال المبدعة بتوجيه من مارى أى. جريفز Mary I. Graves ومن وحيها ، ولذا قال عنها: "أستاذتى فى مجالات مختلفة ولسنوات طويلة". (1967F 1970, po.2) وقد اعترف سكينر بفضلها " لنصحها له بأن يدرس اللغة الإنجليزية بالجامعة حتى يكون كاتبًا ويعمل بالفن" (المرجع نفسه، ص ٢).

ومن عام ١٩٢٢ إلى عام ١٩٢٦، درس سكينر الأدب والفلسفة فى كلية هاملتون ؛ بكلينتون فى ولاية نيويورك ، ليتمكن من فهم السلوك البشرى ، كما درس علم النفس بشكل مختصر ، وهو العلم الذى اختاره ليكون مجال تخصصه الرئيسى فيما بعد. وقد قام أحد مدرسى البيولوچيا بتدريس مقرر على مستوى متقدم فى البيولوچيا والتشريح حضره سكينر وتعرَّف منه على فلسفة چاك لوب Jacques Loeb وكتابه "فسيولوچيا المخ وعلم النفس المقارن" Physiology of the Brain and Comparative Psychology وكتابه الآخر : الكائن العضوى بوصفه وحدة كلية" The Organism as a Whole (Skinner,1976a,p.295). كذلك درس "عتبة الشعور" بنقطتيها وبعضًا من علم نفس ڤونت Wundt على يدى أحد مدرسى الفلسفة (ibid, p. 292).

وبعد حصوله على شهادة البكالوريوس عام ١٩٢٦ ، حاول سكينر أن يمتهن الكتابة قرابة ثمانية عشر شهرا، ولكن بعد قراءته مقالاً كتبه هـ. ج . ويلز H.G. Wells فى عدد نوفمبر ١٩٢٧، من مجلة نيويورك تايمز *New York Times Magazine* يقارن فيه بين أعمال إيڤان باڤلوڤ I. Pavlov ،

وچورچ برنارد شو قرر أن يترك الأدب وأن يقل عائدًا إلى علم النفس. (المرجع نفسه، ص٣٠٠)، وعندئذ تقدم إلى جامعة هارڤارد وتم قبوله طالبًا بالدراسات العليا فى قسم علم النفس ، وكان ذلك فى الفصل الأول من عام ١٩٢٨ .

وقد اكتسب سكينر مهارة الملاحظة الذاتية من خلال قراءاته لأدب مارسيل بروست Marcel Proust. (المرجع نفسه، ص٢٩٦)، وطور توجهًا جديدًا إلى الفلسفة والسلوك الحيوانى من قراءاته لمقالات عادية، فضلاً عن فلسفة برتراند راسل Bertrand Russell (1976a, 1927)، ص ٢٩٨ وما بعدها). ولاحظ أن راسل : (أ) أنكر فلسفة إيمانويل كانط I.Kant، ورفض الاعتراف بها . (ب) اعتبرسلوكية چون واطسون John Watson فلسفة ومنهاجًا مرغوبًا . (ج) توصل إلى الحقائق بسرعة كبيرة . (د) أعطى- مثلما فعل واطسون - أهمية كبيرة لمبدأ باڤلوف وهو المنعكس الشرطى Conditioned Reflex بتقديم منبهات متزامنة إلى حد ما . (هـ) ومرة ثانية حاول - مثل واطسون - تفسير "قانون الأثر" Law of Effect لإدوارد ثورندايك .Edward L Thorndike بوصفه مثالاً لإبدال المنبهات . وبعد عدة سنين (سكينر، ١٩٣٨) قام سكينر بتصحيح ما أسماه "خطأ" لدى كل من راسل وواطسون فى تفسيرهما لأعمال ثورندايك ، تاركا ما أسماه "الطريق غير المنتج لعلم نفس المنبه والاستجابة" (Skinner 1976a,p.299). وفي الوقت نفسه شجعته أعمال راسل على قراءة كتابين هما: السلوكية Behaviorism لواطسون (١٩٢٥) ، والمنعكسات الشرطية Conditioned Reflexes لباڤلوف (١٩٢٧).

تدريبه قبل دراسة الدكتوراه وبعدها:

فى جامعة هارڤارد قام سكينر مباشرة بتقليص أنشطته الخارجية بشدة ، ووضع لنفسه برنامجًا يوميا قاسيًا ، كما حدد لنفسه أسلوبًا مستقلا

فى دراسته العليا للدكتوراه (Skinner 1967; Keller 1970)، ولكنه من ناحية أخرى أقام بعض العلاقات الاجتماعية المهمة مع زميلين من زملاء الدراسة هما: فريد كللر Fred S. Keller ذو التوجه السلوكي (Keller & Schoen-feld, 1950; Keller & Sherman, 1974)، والكاتب الذي أصبح فيما بعد عالم نفس، وهو تشارلز ترويلاد C.K. Trueblood، وكان هذان الصديقان - أكثر من أعضاء هيئة التدريس - هما المثلين لما أسماه سكينر: "خليط الاهتمامات" (١٩٦٧/. ١٩٧٠ p.9)،

وفي أثناء العامين الأولين من دراسته العليا قابل أيضا الفيلسوف ويليام إرنست هوكينج William E. Hocking وألفرد نورث وايتهيد A.N.Whitehead، ودرس كتاب منطق الفيزياء الحديثة Logic of Modern Physics لبيرسي وليامز بريدجمان Bridgman عام ١٩٢٧، وقرأ لكل من إرنست ماخ E. Mach، وهنري بوانكاريه H. Poincare وكثيراً من الأعمال المتعلقة بعلم النفس وعلم وظائف الأعضاء Skinner 1967,1970, p.10، وشارك في تأليف مقال كما ألف مقالين بنفسه (p.103 Epstein, 1977,).

وفي اقتراحه لموضوع أطروحة الدكتوراه : جمع سكينر بين تحليل ماخ وراسل لمفهوم المنعكس (سكينر ١٩٣١) ، مع عدة تحليلات للحافز، وقوة المنعكس وبيانات عن سلوك تناول الطعام ١٩٧٠ (Skinner (p.10 [1967]. وعلى الرغم من أن إدوين جي بورينج Edwin G. Boring رفض هذا الاقتراح؛ فإنه تم قبوله في لجنة ضمت عدة أساتذة لم يكن بورينج من بينهم، وقد اجتاز سكينر اختباراته النهائية في عام ١٩٣١، وبذلك حصل على درجة الدكتوراه من جامعة هارڤارد الأمريكية.

وقد ظل سكينر في جامعة هارڤارد لمدة خمسة أعوام، حيث حصل على الزمالة التي تلي الدكتوراه ، وساعدته تلك السنون كثيراً في جمع بيانات عن سلوك الفئران ، كما كتب خلالها بعض الأبحاث العملية والنظرية . وأثناء سنته الأولى لما بعد الدكتوراه

اشترك خلال جزء منها في دراسة عن الجهاز العصبي المركزي مع ألكسندر فوربس A. Forbes وهالويل ديفيز H. Davis، بينما شارك خلال الجزء الآخر فى بحث عن السلوك الحيوانى باستخدام أجهزته الخاصة التي زوده بها دبليو. جيه. كروزيار W. J. Crozier. وفي عام ١٩٣٦، انتقل ليصبح مدرسًا في قسم علم النفس في جامعة مينيسوتا، حيث بدأ بالتعليم والتدريس في المستوى الجامعي لمادة مقدمة علم النفس، وكانت الفصول صغيرة العدد، ولكن سكينر كان فخوراً بطلابه ؛ لأن خمسة في المائة من طلابه اتجهوا ليكملوا دراستهم للدكتوراه في علم النفس ، ومن بينهم ويليام ك. إيستس W.K. Estes و نورمان جتمان N. Guttman (المرجع نفسه، ص ١١).

التطابقات بين سكينر وماخ :

كانت توجهات سكينر نحو علم سلوك الكائنات العضوية ونحو الفلسفة التي تقود هذا التوجه مطابقة في عدة نواح لتوجهات إرنست ماخ (1883 Mach)، لعلم الفيزياء الميكانيكية ، ولكى نفهم المعنى الكامل لبحوث سكينر الأساسية المنظمة ومكانته في العلوم الغربية ، فمن الأهمية بمكان أن نشير إلى التطابقات بينهما فيما يلى:

(١) منهج *التحليل التاريخى* : فى أول منشور نظري عن مفهوم المنعكس Reflex تبنى سكينر (١٩٣١) بشكل متعمد منهج ماخ في التحليل التاريخي للمفاهيم العلمية الأساسية ، وقد بدأ سكينر بتعريف ديكارت الفريد للمنعكس، موضحًا دور المصادفة في اكتشافه ، ثم عكف على توثيق زيادته ونقصانه ، ونموه وفقدانه ، وفى النهاية قام بإعادة تعريفه له بالإشارة إلى جانبه الموضوعى المستمر ، وهو: " الترابط الملاحظ بين حدثين : المنبه والاستجابة" (1972 ,[1931] p.457) ، ومن ثم يمكن أن يتقدم التحليل التجريبى عبر خطين رئيسيين هما : دراسة الخصائص الترابطية مثل الكمون Latency، فضلاً عن دراسة

تأثير متغيرات أخرى كمستوى الحافز Drive (الحرمان من الطعام)، وعلى ذلك فإن تحليل سكينر التاريخى لمفهوم السلوك - ومثله في ذلك مثل تحليل ماخ التاريخي لمفهوم "القوة Force "عند نيوتن Newton- الذى وضع منهجًا جديدًا في النظر إلى مفهوم قديم ، وقد لاحظ مينجر (Menger 1960) أنه حتى الرياضيات والفيزياء المعاصرة يمكن أن تفيد من تقديمها "على طريقة ماخ à la Mach " مما يشير إلى قوة ومعاصرة منهج ماخ في التحليل التاريخى.

(٢) منهج *التحليل النقدي* :-

في البحث الذي كتبه عن مفهوم المنعكس، احتفظ سكينر (١٩٣١) فقط بالخصائص القابلة للملاحظة ، رافضًا الخصائص الأخرى ، ثم حدد مكانتها الحقيقية في ارتباطاتها بالمستوى الحقيقى الذي عينه الباحثون الآخرون للأبنية التي يفترض أنها تتدخل بين المنبه والاستجابة (راجع Russell, 1927, p.144f - النقطة رقم أربعة فيما يلى).

وقد قاد استخدام ماخ (Menger, 1960, Mach 1833) لمنهج التحليل النقدي إلى موقف مضاد للميتافيزيقا والوضعية في الفلسفة ، وإلى النظرية النسبية Relativity لألبرت أينشتاين A. Einstein، وإلى الإجرائية Operationalism في الفيزياء لبريدجمان (Bridgman,1927)، ومن خلال بريدجمان انتقلت "الإجرائية " إلى علم النفس عن طريق كل من ستيفنس Stevens، وبورينج Boring (Mackenzie, 1977, p. 187).

وقد تحدث سكينر (1945b) وكتب مستندًا إلى الثقة التي يحوزها الشخص الذى نهل من ينبوع المعرفة الأصيل الذي قدمه ماخ ، مؤكدًا أن الإجرائية ليست نظرية جديدة أو طريقة حديثة لتعريف المصطلحات (1954b, 1972, p.370)، ولكن الإجرائية - ببساطة - هي الممارسة والحديث العملي عن كل من: (١) ملاحظات الباحث . (٢) طرق التحكم في هذه الملاحظات والطرق الحسابية المتضمنة في إحداثها . (٣) الخطوات المنطقية

والرياضيـة التي تتـدخل بين الأحكام الأولى والأخيرة . (٤) لا شـىء غير ذلك (المرجع نفسه).

(٣) *مـقارنة السلوك الذي تحكمـه القوانين بالسلوك العارض*: إن التحليل التـجريبى للتـدعـيم الإجـرائى القـابل للحدوث من وجهة نظر سكينر (1966. p.13) يمكن النظر إليه على أنه أضـفى الموضـوعـيـة على الهـدف وأن السلوك الناتج يحكمه الهدف بطريقة موضوعية، ومع ذلك فـإن السلوك الذي يحـتـمل حـدوثه بطريقة طبيـعـيـة يمكن تشكيله بقوانين بما فيها القوانين العلمية، وهذه القـواعـد والقـوانين يمكن فـى العـادة تعلمـها بسرعة أكبر من السلوك الذي تشكله الأحداث السلوكـية المصـاحـبـة التي تصفه (Skinner, 1974, p.125).

والفكرة التي تشبه ذلك لدى ماخ هي "الاختزال في العلم"، فقد ذكر "أن موضوع العلم هو أن نستبدل الخبرات أو نوفـرها عن طريق توليـد الحـقـائق وتوقعها في الفكر، حيث إن الذاكرة فى متناول اليد أكثر من الخبرة التي غالبًا ما تحقق الهدف نفسـه" (Mach (1883 , p.5771960

(٤) *التـحليل الوظيـفي اللاتاريخى* *Acausal functional analysis*: كـتـاب: *سلوك الكائنات العضوية* *The Behavior of Organisms*: الذى أصـدره سكينر (١٩٣٨) وهـو العـمل الرئيـسى الرائع Magnum Opus الذى يشـبـه كـتـاب المبـادئ Principia لنيـوتن (١٦٨٦-١٧٢٩) فى أنه كـتـاب صـعب القـراءة والفهم بالنسبة إلى الكثيرين، لأن سكينر- ومثله في ذلك مثل نيوتن - يتبع مدخلاً وظيفيًا ارتباطيا ، وليس مدخلاً بسيطًا سببيًا بالنسبة إلى موضوع كتابه. ولكن بينما اتخذ التحليل الوظيفي عند نيوتن شكلاً كـتابيا وبيـانيا ورياضيـا سـجل سكينر أفكاره كتابيا وبيانيا فقط.

وقـد عـرض عـالم النفس البـارز كـلارك هـل (Hull, 1943- أفكاره النظرية - متـعمدًا - على شاكلة كتاب نيـوتن: المبـادئ (Stanley, 1965 فى اتصـال شـخـصي بالمؤلف، ١٩٤٣) ، ولكنه كـان يعـتـقـد - خطأ - أن منـهج

نيوتن افتراض نظرى جرىء . ولكن سكينر (١٩٤٤) كان – على الجانب الأخر – يفضل المدخل الوظيفى الاستقرائى باعتباره أكثر قربًا إلى منهج نيوتن من تنظير "هل" .

(٥) *الحقيقة الظاهراتية* *Phenomenal reality*:– كان سكينر (١٩٥٣) وطلابه وزملاؤه ينظرون إلى كل الكيفيات (Qualitiesالعمليات) السلوكية على أنها حقيقية بدرجة متساوية ، وعلى ذلك كانوا يعتبرون التعلم والإشراط –على سبيل المثال – حقيقيين مثلما يعتبر الأداء أو الممارسة حقيقيًا بالنسبة إلى أصحاب النظريات الوضعية الذين يستخدمون المتغيرات الفرضية الوسيطة.

ويتشابه ذلك مع موقف ماخ (*1886,1959,p.6*) الذي اعتبر الظواهر حقيقية، و"الأشياء في ذاتها" Noumena لدى كانط على أنها غير حقيقية (أي أنها غير موجودة)، وفضلاً عن ذلك رأى ماخ أن كل الكيفيات الحسية حقيقية بدرجة متساوية . فالأجسام – على سبيل المثال – حقيقية لأنها مألوفة إلى حد كبير ، في حين أن الألوان والأصوات والروائح تُحدد – بشكل خاطئ – على أن لها مكانة ثانوية فحسب ، وذلك نتيجة لتغيرها النسبى ، ومن ثم فإننا لا نألفها على أنها حقيقية (١٨٨٣ ، ١٩٦٠ ، ص ٦١١) ، وبالنسبة إلى ماخ فإنه لا توجد كيفية حسية ثانوية في الحقيقة ؛ لأنها توجد جميعًا بشكل مساوٍ لما يطلق عليه اسم الكيفيات الأولية .

(٦) أخطار التخصص الزائد في العلم Dangers of overspecialization in science:– حض سكينر زملاءه – بشكل متكرر– على عدم إضاعة وقتهم في مثل هذه التقنيات العلمية المتخصصة كالإحصاء والرياضيات ، فعلى الرغم من أهميتها في ظروف محددة، فإنها تكون خطيرة في جملتها؛ لأنها قد تبعد الباحث عن دراسة المباشرة للسلوك القابل للملاحظة ، كما كان هو نفسه على الأرجح – أكثر من أي عالم سلوكي أو نفسي آخر– أكثر

شعوراً بضرورة استخدام تكنولوچيا السلوك الموجودة فعلاً، ومقارنة ذلك بما قاله ماخ (١٨٨٣ - ١٩٦٠، ص٦٠٩) ، حيث كتب: "العلم له جذوره في احتياجات الحياة" Science has its origin in the needs of life، كما أكد قيمة المفاهيم التخصصية، بينما حذر من خطورتها إذا تم التوسع في استخدامها أكثر من اللازم بطريقة خاطئة.

(٧) علاقة المعرفة الخاصة بالعامة Relating special to general knowledge: كان سكينر يعتقد أن علم السلوك الذي يحلل البيئة ويكتشف الوظائف التي تتحكم فيها له ميزة العمل مع المتغيرات المضبوطة التي يمكن الوصول إليها ، وعلى العكس من ذلك فإن توجه أصحاب المذهب العقلي وعلماء الفسيولوچيا يجعلهم يحددون دوراً معيناً للمتغيرات التي لا تقبل الوصول إليها ، ومن ثم يؤخرون بحث الجوانب التي يمكن دراستها بشكل مباشر ، وقد بيّن ماخ أن كل باحث يحتاج في بحثه إلى فلسفة تربط الفرع العلمي الذي يدرسه بالمعرفة بشكل عام ، وذلك حتى يتجنب أية تساؤلات سخيفة أو مضحكة أو بحث أية مشكلات زائفة ، بحيث إن المسائل " المعقدة أو المنعزلة " في فرع من الفروع العلمية الضيقة ، تستخدم في محاولة شرح "الأبسط والمباشر" في فرع من الفروع العلمية الأخرى.

(٨) الحاجة إلى التطور المستقل لكل علم The need for independent development of each science: ناقش سكينر(1938 p.432) الحاجة إلى دراسة سلوك الكائنات العضوية بشكل مستقل وبشكله الصحيح قبل البحث عن التكامل مع الفروع العلمية الأخرى ، واقتبس كثيراً من النقاط المؤيدة لذلك مما كتبه ماخ .

العمل العلمي الرئيس الرائع:

من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٣٧، نشر سكينر قرابة تسعة عشر بحثاً

علميـاً أمدته بمادة كتـابه " سلوك الكائنات العضوية: تحليل تجريبي" (١٩٣٨) . وإذا نظرنا إلى كتاباته التى أعـقبت ذلك بسنوات 1970 p.10) [1967]) فسوف نجده يكتب قائلا: "لم يعطني راسل أو واطسون أية لمحة عن منهج تجريبي ، ولكن باڤلوڤ Pavlov فعل ذلك بقوله: " تحكم في البيئة وسوف ترى النظام أو الترتيب في السلوك" . لقد تحكم باڤلوڤ (1937) في البيئة المحيطة بالمبحوثين من خلال تكرار تقديمه للاستجابة التي تتسبب في صدور منبه سبق أن صاحبه عند تقديم منبه آخر ، ودرس الإشراط الناتج عن منعكسات جديدة تتكون من المنبه الأول والاستجابة الأصلية التي أثارها المنبه الثاني أو المدعم ، كذلك درس باڤلوڤ انطفاء المنعكسات الشرطية نتيجة استبعاد المنبه المدعم.

إن السلوك كما درسه باڤلوڤ يمكن أن ينقسم إلى فئتين: المنعكسات الشرطية وغير الشرطية ، وقد تقبل سكينر (١٩٣٨) هذا التصنيف ، ولكنه فيما بعد وضع تصنيفًا أكثر شمولاً من ذلك ، وهو ما بين السلوك الاستجابى Respondent والسلوك الإجرائى Operant، حيث يعد الأول سلوكًا تثيره منبه ، بينما يعتبرالآخر سلوكًا صادرًا أو مبتعثًا ، حيث لا توجد منبهات مستثارة يمكن ملاحظتها عندما يحدث السلوك ، وأن الخطة الضمنية التي لم تكن واضحة في عام ١٩٣٨، تشتمل على تصنيف رباعي وظيفي للسلوك . وتتضمن هذه الفئات الوظيفية الأربع ما يلي : الاستجابة الشرطية وغير الشرطية ، والإجراءات Operants الشرطية وغير الشرطية ، وتختار كل منهما على أساس التاريخ النوعي وتطور الجنس . وعلى الرغم من أن هذه التصنيفات الرباعية لم تصبح جلية وواضحة للباحثين ، فإنها كانت موجودة بكل وضوح في كتابات سكينر (1938;1975; 1978b..p.169f).

ويتشكل التعلم الإجرائى الشرطى عندما يوجد منبه مدعم – مصادفة – عند صدور منبه فعال ، ويصبح السلوك

الإجرائي مشروطًا عندما يكون فعالاً في البيئة بالطريقة التي ينتج عنها المنبه المدعم (Skinner, 1938, p. 22) ، في حين أن السلوك المستجيب يصبح مشروطًا نتيجة شيء معين نفعله للحيوان ، وليس نتيجة لكيفية تصرف الحيوان إزاء البيئة.

إن وظائف المنبهات من مثل الإثارة والتدعيم والتمييز وغيرها لا تكون مسلمات عن طريق الأسلوب الفرضي الاستدلالي ، ولكنها تتحدد عن طريق التحليل التجريبي المتعلق بالملاحظة (أ)، فالمنبه المدعم يكون كذلك نتيجة إحداثه التغير السلوكي الثابت كما هو الحال مثلاً عند زيادة تكرار المنبه الإجرائي ، وقد برهن التحليل على وجود مجموعتين من المنبهات المدعمة : المنبهات الإيجابية؛ لأن وجودها يعمل كإجراء تدعيمي ، والمنبهات السلبية لأن توقفها هو الذي يقوم بعمل الإجراء المدعم .

وقد ركز سكينر في كتابه : سلوك الكائنات العضوية على المنعكسات الشرطية الإجرائية وتكرارها ومعدل حدوثها خلال زمن معين وتحت مختلف الظروف البيئية المحكمة ، ولقد درس باقلوف المنعكسات الشرطية الاستجابية بشكل جيد . ولكن لم يقم أحد بدراسة المنعكسات الإجرائية بنفس الدرجة من التركيز ، وقد نقد كثيرون سكينر فيما بعد نتيجة استخدامه المسرف لمصطلح المنعكس لكل من السلوك الإجرائي والاستجابى . ويرجع السبب في ذلك إلى أن كثيراً من القراء يحصرون المعنى في المنعكس الاستجابى فحسب ، ولكن المنعكس يعتبر مصطلحاً جيداً إذا ما فكرنا فيه على أنه يعني انعكاس وظيفة المنبه أكثر منه علة الدفع والجذب ، ومن ثم تعكس الاستجابات والإجراءات غير الشرطية مصاحبات لتاريخ النشوء الوراثي للبقاء ، في حين تعكس الاستجابات والإجراءات الشرطية مصاحبات تاريخ تطور الفرد من ناحية التدعيم (Herrnstein,1977; Skinner 1975; 1977a).

من الفئران إلي الحمائم وتخطيط المجتمع :

ظل سكينر ضمن هيئة التدريس في قسم علم النفس في جامعة مينيسوتا حتى عام ١٩٤٥ ، ثم انتقل بعد ذلك لمدة ثلاث سنوات إلى قسم علم النفس بجامعة إنديانا ، وهناك لم يكن فحسب رئيسًا للقسم ، ولكنه كان أيضًا زميلاً بالقسم لـ كانتور J.R.Kantor، الذي نشر كثيراً من المقالات العلمية والكتب الممتازة في السلوكية بين الوجهتين الفلسفية والسيكولوجية ، التي تعد تعويذة رهيبة ، تبعًا لإعادة صياغة ما قاله سكينر عنها (1970 (1967) , p. 19).

وعندما كان سكينر (١٩٦٠) في مينيسوتا اشترى بعض الحمائم بفكرة مفادها أن صواريخ الأرض - جو يمكن توجيهها بشكل ملائم بواسطة حيوانات أجريت لها عملية إشراط ، وقد وضع بذلك الأساس لاستخراج نتائج مستقبلية ضخمة صدرت عن معمله ، واخترع كذلك (1945a) مهداً في الهواء للمساعدة في رعاية الحالة التي كانت عليها ابنته الثانية (ديبورا) ، وكان يعمل في مخطوطين لكتابين طويلين ، وهما : " والدن الثاني" (١٩٤٨) Walden Two، و"السلوك اللفظي" Verbal Behavior (1957b)، وكان ذلك هو كل ما حمله معه إلى إنديانا.

وفي إنديانا أجري بعض التجارب على الحمام ، وترأس القسم العلمي ، كما كرس وقتاً لتنظيم مجموعات بحثية ، وقام الطلبة والزملاء في الجامعات الأخري لاسيما فريد كيللر F.Keller ووليام شونفيلد W.Schoenfeld في جامعة كولومبيا بإجراء بحوثهم وإلقاء دروسهم اعتماداً على كتاب سكينر: سلوك الكائنات العضوية ، وكان هناك كثير من اللقاءات التي بلغت أوجها في تشكيل الفرع رقم ٢٥ من الرابطة النفسية الأمريكية ، التي عرضت اهتماماتهم العلمية ، ومن ثم تأسيس مجلة التحليل التجريبي للسلوك *The Journal of the Experimental Analy-*

sis of Behavior في عـام ١٩٥٨ ، التي ساعدت على إيجاد مكان لنشر المقالات العلمـيــة لأعـضــاء هذه المجــمــوعـة وللباحثين المهتمين بالمجال نفسه.

المجتمع المخطط ومشكلة السلوك اللفظي:

قـام سكينر بإلقـاء مـحـاضــرات وليـام جـيـمس بجـامـعـة هارفرد عـام ١٩٤٧، معتمداً في ذلك على بحوثه في السلوك اللفظي ، ثم انتـقل إلى قــسم علم النفس بجامعة هارفرد عام ١٩٤٨، ونشــر رواية والدن الثـاني، التي تمثل المدينة الفـاضــلة Utopia. وتـصـف هذه الرواية مجتمعًا مخططًا يستخدم فيه – بشكل مباشر– التدعيم الإيجابي أكثر من السلبي في سـبـيل المسـاعـدة على استـمـرار السلوك الملائم ، وقد تسببت هذه الرواية في تأسيس بعض المجتمعات التـجـريبيـة (Skinner 1971) فـضــلاً عن بعض أفكاره الأخرى (1976b).

وعندمـا تم نشــر كـتــابه "السـلوك اللفظـي"، قام عـالم لغـويات شـاب هو : نعــوم تشــومــسـكي Noam Chomsky بالتــهـجم الشــديد عليـه (١٩٥٩)، وعلى الرغم من شيوع ذلك النقد؛ فإن العرض Review كان مبالغاً فيه لأنه كان يتعلق بعلم النفس المختص بالعلاقات السببية البسيطة بين المنبه والاستجابة أكثر من تعلقـه بالتـحليـلات الوظيـفيـة والإجرائية للسلوك.

وتتلخص الإسهامات الفريدة لتحليـل فــي كتاب السلوك اللفظي فيما يلي :

(أ) تعــريـف السلوك اللـفظـي أولا بأنه سـلوك يحكمه المستمع أو الجمهور من حيث هو مصدر للتدعيم ، ومن ثم بوصفه سلوكًا يحكمه سلوك المستمعين أو الجمهور الذين حدث لهم إشراط كي يتـصــرفـوا بهــذه الطريقـة على وجــه الخصوص.

(ب) بمسـاواة "لغـات" علمـاء اللغـة والتدريبات المدعمة للمجتمعات المحلية اللفظية (1957b, p.461).

(ج) التركيز على النقطة الأولى مع تجاهل الثانية تماما. ويمثل هذا الكتاب لغزًا بالنسبة إلى اللغويين.

التدريس وتحليل التجارب الأساسية :

طور سكينر بجامعة هارفرد في الخمسينيات ، مقرراً تمهيدياً عن السلوك الإنساني ، وكتب له نصًا ملائمًا عنوانه : العلم والسلوك الإنساني Science and Human Behavior (1953)، وفي هذا النص تم تطوير المصطلحات التي ظهرت لأول مرة في التحليلات المعملية لتجارب السلوك الإجرائي التي أجريت على الفأر والحمام ، وامتدت إلى السلوك الإنساني والتطبيقات الثقافية ، وقد أتاح هذا الكتاب معالجة تمهيدية تكميلية لما كان يشتمله كتاب كيللر وشونفيلد (١٩٥٠).

وقد عمل سكينر عن قرب مع زميل حاصل على منحة ما بعد الدكتوراه هو تشارلز فيرستر Charles B. Ferster ومع زملاء غيره ، مكونين مجموعة تجارب الحمام ، وقد توج عمله مع فيرستر بنشر كتاب استخدم واقتبس كثيراً عنوانه : جداول التدعيم Schedules of Reinforcement (1957)، وفي هذا الكتاب كان الحمام هو النجم المنفذ ، كما انعكس ذلك في سلوك التدعيم البسيط والمعقد ، ومع ذلك كان المهم هنا هو سرد Glossary الكتاب ، حيث عرفت أغلب المصطلحات الأساسية بواسطة عملية منطقية إجرائية ، وكان سكينر قد أشار إليها في مقالاته العلمية المبكرة في الثلاثينيات (1935; 1931).

من العلم إلى التكنولوجيا والتطبيقات الثقافية :

كان تأثير سكينر على زملائه عظيمًا في كلا الجانبين : النظري والعملي ، وقد تم توثيق جانب من هذا التأثير في كتاب تذكاري Festschrift (Dews, 1970)، وفي ثلاث طبعات (١٩٥٩ ، ١٩٦١، ١٩٧٢) من كتاب سكينر: السجل المجمع Cumulative Record. وشملت جوانب التأثير أو الاهتمامات الجديدة بعض المشكلات المنهجية (Sidman, 1960)، والتحليل التجريبي في مجالات متخصصة من علم النفس والعلوم المرتبطة به (سكينر 1978a؛ Honig, 1966; Honig & Staddon, 1977; Ferster, 1978) وفي التربية Education (Holland & Skin-

Keller) ،ner, 1961; Skinner, 1968a; & Sherman, 1974 وفي توضيح مصاحبات التدعيم Contingencies of Reinforce- ment (Skinner 1969) وعن السلوكية About Behaviorism (Skinner, 1974)، وكتابة المجلد الأول في سيرته الذاتية (Skinner, 1976a; Ferster, 1977).

وقد جعل كتاب " ما بعد الحرية والكرامة Beyond Freedom and Dig- nity (1971) من سكينر اسمًا معروفًا في العالم ، ويذكّر عنوان هذا الكتاب – إلى حد ما – بكتاب نيتشه Nietzsche "ما بعد الخير والشر" Beyond Good and Evil (1885)، وتتلخص الأطروحة التي يقدمها كتاب سكينر في أن تكنولوجيا السلوك هي وحدها التي يمكن أن تنقذ الديمقراطية الغربية من فشلها المستمر في حل المشكلات الفردية والاجتماعية التي ابتليت بها ، وفي الحقيقة فإن معرفة الذات والضبط الاجتماعي للسلوك البشري من خلال المعالجة المناسبة للتحكم في البيئة المحيطة تتم من قبل أناس يرى سكينر (1977b) أنهم أرقى في كثير من الممارسات الثقافية الشائعة التي تتضمن حرية اختيار الأفعال الفردية والكرامة الفردية الناتجة عن الرصيد الاجتماعى للإنجازات الشخصية البارزة.

ملخص نقدى :

يعتبر سكينر عالمًا مبينًا ومثيرًا للجدل ، فقد أضاف إضافات أصيلة نظرية وعملية لعلم النفس والعلوم السلوكية والاجتماعية (انظر مثلا: Hil- gard & Bower, 1948)، وليس هذا فحسب ، بل إنه وسع التحليلات العلمية ومدها لتشمل عدة جوانب من الحياة الفردية والاجتماعية ، لقد عمل ذلك دون كبح ظاهر أو تحفظ متعلق بالاعتقاد فى النصر النهائي لمنهج المذهب السلوكي الجذرى على المناهج الأخرى لدراسة السلوك البشرى وفهمه.

ومن الممكن أن العمق الشديد لأعماله التي وسعها لتشمل تحليلاته للمجتمع بوجه عام هي التى جعلته فريدًا وهدفًا للنقد من قبل كثيرين ، وبخاصة المحافظين المترددين ، لقد التصق "سكينر" بالتأكيد بالأهداف

العامة للديمقراطية الغربية ، ولكنه أرادنا أن نصل إلى هذه الأهداف على نحو سريع ، وبفعالية أكثر مما رغب فيه كثير من الأشخاص في زمنه.

إن نسق المذهب السلوكي لسكينر في علم النفس هو نسق علمي لعلم النفس، حيث تبدو التلقائية خاصية قابلة للملاحظة في انبعاث السلوك ، إن القوة في مثل هذا السلوك الإجرائي تقاس عمليا بتكرار حدوثها ، ونظريا من خلال قيمتها المحتملة.

وفي البحوث الفعلية تفحص العلاقة التي تأكدت سابقًا على أساس مبدأي العمومية والخصوصية (Sidman, 1960)، أو أن تكتشف علاقة جديدة ، وتقرر مع اقتراحات خاصة بعموميتها أو خصوصيتها ، ويتلخص الإجراء الأساسي للتحليل الوظيفي في أن ندع المبحوث يتصرف ، وفي هذه الحالة يعد السلوك وعملياته مقياسًا لكل العمليات التي يقوم بها المبحوث ، وإذا قمنا بذلك من خلال موقف مبسط ومخطط له في ظل ظروف تجريبية ، فإن الباحث سيتعلم كثيرًا كيف ينظر إلى السلوك الذي يحدث بشكل طبيعي ، (قارن : Mackenzie 1977, pp. 165ff). وقد يكون ما يجده الباحث عندئذ مشابهًا ، أو مختلفًا تمامًا ، أو متطابقًا لما يراه في أماكن أخرى ، عندئذ يقوم الباحث بتوسعة القوانين المعروفة سلفًا أو قصرها ، أو يورد القوانين الجديدة التي اكتشفها ، ويتلخص النسق الوظيفي ببساطة في ألا يربكنا المنهج الفرضي الاستدلالي ، وألا نستطيع تقويمه في ذاته ، وبدلا من ذلك يجب أن يقوم النسق الوظيفي دائمًا على أساس مدى نجاح قوانينه أو قواعده في عملها في المواقف الواقعية : المستنبطة والطبيعية.

(*) توفي سكينر في اليوم الثامن عشر من أغسطس عام ١٩٩٠ وهو في السادسة والثمانين من العمر . (المراجع)

المؤلف: Walter C. Stanley

المترجم: أحمد عبدالخالق

WORKS BY SKINNER

· WORKS BY SKINNER

1931 The Concept of the Reflex in the Description of Behavior. *Journal of General Psychology* 5:427–458. → The quotations in the text are from the reprint on pages 429–457 of Skinner (1959) 1972.

1935 The Generic Nature of the Concepts of Stimulus and Response. *Journal of General Psychology* 12:40–65. → The instance-class logic of Skinner's system is specifically discussed here for the first time.

1937 Two Types of Conditioned Reflex: A Reply to Konorski and Miller. *Journal of General Psychology* 16:272–279. → The distinction between operant and respondent behavior appeared here for the first time.

(1938) 1966 *The Behavior of Organisms: An Experimental Analysis*. New York: Appleton.

1944 A Review of Hull's Principles of Behavior. *Journal of American Psychology* 57:276–281.

1945*a* Baby in a Box. *Ladies' Home Journal* Oct.: 30ff.

1945*b* The Operational Analysis of Psychological Terms. *Psychological Review* 52:270–277. → The quotations in the text are from the reprint on pages 370–384 of Skinner (1959) 1972.

1948 *Walden Two*. New York: Macmillan. → A paperback edition was published in 1962.

1953 *Science and Human Behavior*. New York: Macmillan. → A paperback edition was published by the Free Press in 1965.

1957*a* The Experimental Analysis of Behavior. *American Scientist* 45:343–371.

1957*b* *Verbal Behavior*. New York: Appleton.

1957 FERSTER, CHARLES B.; and SKINNER, B. F. *Schedules of Reinforcement*. New York: Appleton.
(1959) 1972 *Cumulative Record.* 3d ed. New York: Appleton.
1960 Pigeons in a Pelican. *American Psychologist* 15:28–37.
1961 HOLLAND, J. G.; and SKINNER, B. F. *The Analysis of Behavior: A Program for Self-instruction*. New York: McGraw-Hill.
1966 Operant Behavior. Pages 12–32 in Werner K. Honig (editor), *Operant Behavior: Areas of Research and Application*. New York: Appleton.
1967 Autobiography. Volume 5, pages 387–413 in *A History of Psychology in Autobiography*. Edited by E. G. Boring and Gardner Lindzey. New York: Appleton. → The quotations in the text are from the reprint on pages 1–21 of Dews 1970.
1968*a* *The Technology of Teaching*. New York: Appleton.
1968*b* Utopianism: II. The Design of Experimental Communities. Volume 16, pages 271–275 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.
1969 *Contingencies of Reinforcement: A Theoretical Analysis*. New York: Appleton.
1971 *Beyond Freedom and Dignity*. New York: Knopf. → A paperback edition was published in 1972 by Bantam.
1974 *About Behaviorism*. New York: Knopf. → A paperback edition was published by Random House in 1976.

1975 The Shaping of Phylogenic Behavior. *Journal of the Experimental Analysis of Behavior* 24:117–120. → The quotations in the text are from the reprint on pages 163–170 in Skinner 1978*b*.

1976*a* *Particulars of My Life*. New York: Knopf.

(1976*b*) 1978 Walden Two Revisited. Pages 56–66 in B. F. Skinner, *Reflections on Behaviorism and Society*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

1977*a* Herrnstein and the Evolution of Behaviorism. *American Psychologist* 12:1006–1012.

(1977*b*) 1978 Human Behavior and Democracy. Pages 3–15 in B. F. Skinner, *Reflections on Behaviorism and Society*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall. → The article concludes with a complete rejection of fascism and totalitarianism.

1978*a* The Experimental Analysis of Behavior (A History). Pages 113–126 in B. F. Skinner, *Reflections on Behaviorism and Society*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall. → Paper presented in April 1976 at a conference of the New York Academy of Sciences.

1978*b* *Reflections on Behaviorism and Society*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

1979 *The Shaping of a Behaviorist*. New York: Knopf.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BRIDGMAN, PERCY W. 1927 *Logic of Modern Physics*. New York: Macmillan.

CHOMSKY, NOAM 1959 Review of Skinner's *Verbal Behavior*. *Language* 35:26–58.

DEWS, PETER B. (editor) 1970 *Festschrift for B. F. Skinner*. New York: Appleton.

Epstein, Robert 1977 A Listing of the Published Works of B. F. Skinner, With Notes and Comments. *Behaviorism* 5:99–110.

Ferster, Charles B. 1970 Schedules of Reinforcement With Skinner. Pages 37–46 in Peter B. Dews (editor), *Festschrift for B. F. Skinner*. New York: Appleton. → Contains a picture of Skinner's pigeon staff.

Ferster, Charles B. 1977 The Ultimate Behaviorist: Review of B. F. Skinner's *Particulars of My Life*. *Contemporary Psychology* 22:102–103.

Ferster, Charles B. 1978 Is Operant Conditioning Getting Bored With Behavior? *Journal of the Experimental Analysis of Behavior* 29:347–349.

Goodell, Rae 1977 *The Visible Scientists*. Boston: Little. Brown.

Herrnstein, Richard J. 1977 Doing What Comes Naturally: A Reply to Professor Skinner. *American Psychologist* 32:1013–1016. → A former member of the pigeon staff defends his own position on Skinner's early work.

Hilgard, Ernest R.; and Bower, Gordon H. (1948) 1975 *Theories of Learning*. 4th ed. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

Honig, Werner K. (editor) 1966 *Operant Behavior: Areas of Research and Application*. New York: Appleton.

Honig, Werner K.; and Staddon, J. E. R. (editors) 1977 *Handbook of Operant Behavior*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

Hull, Clark L. 1943 *Principles of Behavior: An Introduction to Behavior Theory*. New York: Appleton.

KELLER, FRED S. 1970 Psychology at Harvard (1926–1931): A Reminiscence. Pages 29–36 in Peter B. Dews (editor), *Festschrift for B. F. Skinner*. New York: Appleton.

KELLER, FRED S.; and SCHOENFELD, WILLIAM N. 1950 *Principles of Psychology*. New York: Appleton.

KELLER, FRED S.; and SHERMAN, J. GILMOUR 1974 *PSI: The Keller Plan Handbook: Essays on a Personalized System of Instruction*. Menlo Park, Calif.: Benjamin. → Note especially chapter 5, "PSI and Reinforcement Theory," by Keller, and chapter 7, "Developments in Brazil," by Carolina Martuscelli Bori.

MACH, ERNST (1883) 1960 *The Science of Mechanics: A Critical and Historical Account of Its Development*. LaSalle, Ill.: Open Court. → With an introduction by Karl Menger. First published in German.

MACH, ERNST (1886) 1959 *The Analysis of Sensations and the Relation of the Physical to the Psychical*. New York: Dover. → First published in German.

MACKENZIE, BRIAN D. 1977 *Behaviourism and the Limits of Scientific Method*. Atlantic Highlands, N.J.: Humanities Press.

MENGER, KARL 1960 Introduction. In Ernst Mach, *The Science of Mechanics: A Critical and Historical Account of Its Development*. La Salle, Ill.: Open Court.

NEWTON, ISAAC (1686–1729) 1934 *Principia: Sir Isaac Newton's Mathematical Principles on Natural*

Philosophy and His System of the World. Berkeley: Univ. of California Press.

NIETZSCHE, FRIEDRICH WILHELM (1885) 1964 *Beyond Good and Evil: Prelude to a Philosophy of the Future.* New York: Russell. → First published in German.

PAVLOV, IVAN P. (1927) 1960 *Conditioned Reflexes: An Investigation of the Physiological Activity of the Cerebral Cortex.* New York: Dover. → First published as *Lektsii o rabote bol'shikh polusharii golovnogo mozga.*

RUSSELL, BERTRAND 1927 *Philosophy.* New York: Norton.

SIDMAN, MURRAY 1960 *Tactics of Scientific Research: Evaluating Experimental Data in Psychology.* New York: Basic Books.

Skinner's Utopia: Panacea, or Path to Hell? 1971 *Time: The Weekly Newsmagazine* Sept. 20:47–53

STANLEY, WALTER C. 1965 Review of monograph supplement, Passages from the "Idea Books" of Clark L. Hull. *Educational and Psychological Measurement* 25:945–946.

WATSON, JOHN B. (1925) 1970 *Behaviorism.* New York: Norton.

سيرز . روبرت آر

SEARS ; Robert R

يعد روبرت آر. سيرز رائداً في حركة إحياء علم نفس النمو في منتصف القرن العشرين. وقد وُلد في بالو آلتو Palo Alto، بولاية كاليفورنيا في عام ١٩٠٨، من والدين حضرا إليها حديثاً من الوسط الغربي الأمريكي، ونشأ في بالو آلتو، ودرس الأدب والدراما في جامعة ستانفورد Stanford University، وأدرك أن ميوله تتجه نحو علم النفس وشجعه على ذلك حماس خطيبته بولين سندّن Pauline Sned- den ، التي أصبحت زوجته بعد ذلك وزميلته في حياة بحثية طويلة ، وكذلك دروس ومحاضرات بول فانزورث Paul Fansworth، في عام ١٩٢٩، ترك بالو آلتو لمدة أربع وعشرين سنة قضاها في جامعة ييل Yale University، وجامعة اليـنوي The University of Illinois، وجامعة إيوا The University of Iowa، وجامعة هارڤارد Harvard University وهي فترة شهدت أفضل إبداعه الإنتاجي خلال حياته البحثية . وعاد سيرز عام ١٩٥٣، إلى ستانفورد رئيساً لقسم علم النفس أولاً، ثم عميداً لمدرسة الإنسانيات والعلوم، ثم شغل في السنوات قبيل تقاعده في عام ١٩٧٥، كرسي ديفيد ستار جوردون David Starrr Jordanلعلم النفس .

وكما هو شأن كل علماء النفس الأمريكيين تم إعداد سيرز لذلك العمل عن طريق مزيج دقيق من الأمور ابتداء من دور المصادفة إلى الطابع العقلى السائد إلى التنبؤ الشخصى ، فكانت المصادفة سبباً فى أن يشغل في عام ١٩٣٢، وظيفة مدرس في جامعة الينوى، و كان عليه أن يُحضّر مقرراً دراسياً فى الشخصية من وجهة نظر علم النفس . وكان أخر منصب شغله فى عام ١٩٤٩، هو مدير مركز أيوا لبحوث رفاهية الطفل Iowa Child Wel- fare Research Station، حيث تم تعيينه بالتزكية متخصصاً في علم نفس

الطفل، وكان معهد العلاقات الإنسانية Institute of Human Relations في ييل هوأفضل مثال لتجمع فكرى محترم يبرز بذكاء روح العصر العقلى أثناء السنوات التى أمضاها سيرز هناك وهى : (١٩٢٩ - ١٩٣٢) و(١٩٣٦ - ١٩٤٢) . وقد درس سيرز التنويم المغناطيسي مع كلارك ل. هل Clark L. Hull وعمل كوسيط فى بحث إرنست آر. هيلجارد Ernest R. Hilgard عن الإشراط الكلاسيكى ، وقام بالتحضير لرسالة الدكتوراه عن التعلم فى موضوع عن نزع قشر السمكة الذهبية ، ثم عمل مع لينارد دبليو . دوب Leonard W. Doob، وجون دولارد John Dollard وهوبارت موْرر O. Hobart Mowrer ونيل إى . ميلر Neal E. Miller في عرض الحوار عن الإحباط- العدوان Frustration-aggression، و تعلم أشكال التفكير السيكولوجى المتنوعة من أحاديثه مع كارل أى . هولاند Carl I. Hovland وكنيث دبليو. سبنسر Kenneth W. Spencer.

وقد تحالف الحظ مع الوقت المناسب لتمكينه من الوصول إلى عدد من المبادئ التى وجهت حياته العملية دون أن يتنكر أبداً لخلفياته السابقة فى مجال الأدب والدراما مع استعداده لتقبل تجربة بولين - سيزر فى علم النفس الإكلينيكى والتعليمى ، وظل يعمل لمدة أربعين عاماً ممارساً ومعلماً مع الالتزام بشكل قوى ونادر بالتوائم مع البحث السيكولوجي. وقد اقتحم منطقة لم يسبق اكتشافها من قبل فى علم نفس النمو متسلحًا بميوله النظرية القوية (المستمدة فى العادة من التحليل النفسى أو من أعمال كيرت ليفن Kurt Lewin) وكان فى ارتباطه المنطقى مع طلابه وعمله يصر أشد الإصرار على أهمية الملاحظة الدقيقة والمباشرة للفعل الإنسانى كإجراء طبيعى فى مجال البحث كلما أمكن ذلك.

وتحليل حياة سيرز المهنية وفقًا لمعايير Fourier يكشف عن وجود ثلاثة مكونات أساسية لعمله. اثنان منها عبارة عن خدمة عامة فى حياته المهنية

وأصالته العلمية اللتين وصلتا إلى الذروة ، والثالث هو مشاركته فى تهيئة الأوضاع الملائمة للبحث والتدريس بصورة أكثر استمراراً واستقراراً. وقد وصف چورچ ستودارد George Stod-dard باختصار مركز أيوا لرفاهية الطفل Iowa Child Welfare Station؛ بأن سيرز استثمر فيه جهوداً هائلة فى إجراء البحوث التى تربط بين المعضلات المعقدة مثل استقرار الشخصية ومتغيرات الإنجاب المبكر مع الالتزام بإجراءات البحث النزيهة الجادة. وعلى الرغم من أن إقامة سيرز فى جامعة هارفرد كانت قصيرة، فقد استطاع أن ينشئ معملاً لدراسة النمو الإنسانى ظل رغم العديد من التحولات مركزاً لدراسة الأطفال والأسر لكثير من السنوات بعد رحيله إلى جامعة ستانفورد . على أية حال فقد أمكنه أن يبرز فى جامعة ستانفورد أفضل مهاراته، وهى إنشاء المراكز الجديدة ، فقد ارتفع بقسم علم النفس بحيث أصبح هو الأول في العالم ؛ كما استطاع بفضل حسن إشرافه عميداً أن يجعل كلية ستانفورد من الكليات المشهورة ، كما كان قوة محركة فى إنشاء مركز الدراسات المتقدمة فى العلوم السلوكية Center for Advanced Study in the Behavioral sciences . وفى أيامه الأخيرة فى كلية ستانفورد اشترك في تصميم "مركز مدينة الأولاد لتنمية الشباب" التابع للجامعة .

وقد أظهر منحى سيرز للخدمة العامة فى مجال علم نفس النمو قيمتين : الأولى: هى قيادته وإحياؤه ونشره للدراسة الميدانية لعلم النفس بعد الحرب العالمية الثانية، وقد تميزت هذه الدورة بانتخابه في عام ١٩٥١ رئيساً لجمعية علم النفس الأمريكية American Psy-chological Association؛ والثانية: عودته بعد ذلك إلى الخدمة القومية فى عام ١٩٧٠، وما بعدها، وقيادته لجمعية البحث في نمو الطفل وعمله محرراً لسلسلة من الدراسات للجمعية.

كان إسهام سيرز العلمي عبر السنوات متنوعًا فى ظاهره؛ ولكن وراء ذلك التنوع توجد نظرية بسيطة وكلية .

فـإلى جـانب اهتمـامـه أيام التلمـذة فى جامـعة يـيل بعلم النفــس البيـولـــوچى (وكان يشير دائمًا إلى عمله مع "هل" فى مـجـال التنويم المغناطيـسى والألم بأنه توتر عضلى سيكولوچى بكل معانى الكلمة ، وأن حيلته المهنية كمتخصص في علـم النفس العـصبي انتـهت عندمـا مـــات كلب أثناء تجـربة إشـــراط فى جامعة الينوي) كانت بحوثه وتنظيراته تمثل عـرضـاً لمحـاولة الكشف عن توتر قـائم بين الأسـاليب الـعـلاجـيـة ودقـة التـجـربة فى مـحـتـوى سـيرة الحـيـاة وتقنيات علم النفس .

وكان سيرز أول من استطاع فى جامعة ييل أن يستخلص إمكانية ترجمة مـبـادئ التحليل النفسى (خـصـوصـًا التـحليل النفـسى للدفـاع) والاسـتـفـادة منها في مبادئ نظرية التعلم المعاصرة . وكـان تلخـيصـه للعـلاقـة الكامنة بين الكبت وهـدف الاسـتـجـابة المتـوقـعة عند "هل"

(Sears 1936) هو أول عمل ضـمن سلسلة أوراق نشـرت مـتـسلسلة خـلال فترة طويلة ، وظهرت نتيجة حلقة البحث التى كان "هل" يعقدها مساء كل أربعاء فى جـامـعـة ييل عن العـلاقة بين نظرية التـعلم وكـتـابـات فـرويد عن العـدوان والصـــراع والكبت ، وربما بصـــفـــة أساسية عن التعلم الاجتماعي، والتى تدفقت من المصدر الذى أسسـه سـيرز نفسه . فـفى عـام ١٩٤٣، نشـر سـيـرز كـتـابه : مسح للدراسـات الموضـوعـيـة لمفاهيم التـحليل النفسي Survey of objective studies of psychoanalytic concepts وهو عـرض ربط بين كـتـاب الإحباط والعدوان Frustration and Aggression (Dollard et al, 1939) وكتاب : التعلم الاجتماعى والتقليد Social learning and Imitation (Miller & Dollard 1941) وتقريره عن "مـجـموعة المفـاهيم المؤثرة بشكل واضح فى الصيغ النظرية في علم نفس الطفل لما يزيد على عقدين أو ثلاثة"

(Cairns & Ornstein 1979).

وعند انتـقـاله لمدينة أيوا وتحـوله إلى علم نفس الطفل ، واصل سـيرز فى

مـجال إمبـريقي جديد برنامـجـه عن الاختيار الدقيق الصعب للقضايا حول الأحداث العصيبة في الحياة اليومية . ومع چورچ باك George Bach، بدأ فى استخدام الملاحظة المنظمة للعبة الدمية كنافذة على تفكير الأطفال الصـغار. وعلى الرغم من أن نتائج دراسـات أيوا لم تكن واضـحة المعالم كمـا كان يأمل؛ فإنها عرضت اهتمامـه المبكر بالعدوان والاعتمادية dependency على الآخرين عند الأطفـال، وذلك قـبل أن يصـبح الموضـوع اتجـاهًا شـائعًـا وذلك مع التعريف الاجتماعى المبكر بأهمية ودلالة أن يكون الفــرد ذكـــرًا أم أنثى فى الولايات المتحدة . وفى نهاية إقامته فى أيوا استطاع سيرز أن يكوّن جماعة من علمـاء النفس الشـبـان البـارزين لكى يضعوا من خلال المقابلات مع الأمهات والأطفال التساؤلات المهمة حول النمو الاجتماعى للشخصية الإنسانية. وفى عـام ١٩٥٢، نشـر سـيـرز تقـريره عن البحث (Sears et al) وكان يتميز للمرة الثـانيـة بالمزج بين الانفـتـاح والدقـة وبسـاطة الصـيغ وتعـقـد المشكلة . أن العمل عن التعلم الاجتمـاعى للأطفـال والتـبـادلات بين الأم والطفل فى مـرحلة النمو المبكر حددت خطاً أساسيًا لبحوث علم نفس الطفل لمدة نصف قــــرن . وبمراجـعة الفـترة بين ١٩٤٦ - ١٩٧٩ لاحظ كل من كيـرنز وأورنشتين Cairns and Ornstein" أن بداية (الفـتـرة) من السـهل (تلخيـصـهـا)؛ لأن روبرت سيرز أصـبـح مـعـروفـاً بأنه الشـخص الذي سيطر تأثير تطبيـقـاته لمركّب التحليل النفسـى- للتـعلم الأصلى في النصف الأول من الفـتـرة" على علم نفس الطفل (١٩٧٩). وعلى ذلك يكون سيرز قد بدأ فى جـامـعـة هـارڤـارد. ومـع كـثـيـر من زمـلائه دراسة أكثر طموحـًا على أنماط التنشئة والشـخصـية في دور حضـانة الأطفـال التى أنتـجت أنماط تنشـئـة الطفل Patterns of child Rearing في عام ١٩٥٧، و إثبات الشخصية وتنشئة الطفل Identification and Child Rear-ing فـــى عـام ١٩٦٥ .

وقـد أدى انشـغـاله بـالأعـمـال الإدارية فى سـتـانفـورد إلى تبـاطؤ نشـاطه الأكـاديمى . ولكنه حين ترك عمـادة الكلية استمر بطريقة منهجـية منظمـة فى دراسـتـه لمارك توين Mark Twaine (Sears 1976) التى تمـثل بجـلاء نمط العـمـل خـلال حـيـاته كلهـا ، فـالدراسـات حـول توين نبـعت من اهتماماته بالأدب فى المرحلة الجامعية الأولى ، ومن قراءته لكتاب دولارد معايير تاريخ الحياة Criteria of the life History (1935) فى الثلاثينيات ، ومن اقتناعه المتـفـرد بأن التـعـقـيدات في الفن مـثل التعقيدات في علم الأمراض الإنسانية وفي النمـو الإنسانى، يمكن توضيـحـها وتشـريحـهـا وأخـذها في الحـسـبـان ووضـعـهـا تحت سـيطرة القـضـايا التبسيطية عن طريق التطبيق الدقيق لقواعد العلم السيكولوچى الوضعى .

المؤلف : Willaim Kessen
المترجم : فاروق أحمد مصطفى

WORKS BY SEARS

1936 Functional Abnormalities of Memory With Special Reference to Amnesia. *Psychological Bulletin* 33:229–274.

1943 *Survey of Objective Studies of Psychoanalytic Concepts*. Social Science Research Council, Bulletin 51. New York: The Council.

1953 SEARS, ROBERT R.; WHITING, J. W. M.; NOWLIS, V.; and SEARS, P. S. Some Child-rearing Antecedents of Aggression and Dependency in Young Children. *Genetic Psychology Monographs* 47:135–236.

1957 SEARS, ROBERT R.; MACCOBY, E. E.; and LEVIN, HARRY *Patterns of Child Rearing*. Evanston, Ill.: Row, Peterson.

1965 SEARS, ROBERT R.; RAU, LUCY; and ALPERT, RICHARD *Identification and Child Rearing*. Stanford Univ. Press.

1976 Episodic and Content Analysis of Mark Twain's Novels: A Longitudinal Study of Separation Anxiety. Volume 7, pages 198–206 in Joseph Strelka (editor), *Yearbook of Comparative Criticism: Literary Criticism and Psychology*. University Park: Pennsylvania State Univ. Press.

1979 Autobiography. In Gardner Lindzey (editor), *A History of Psychology in Autobiography*. Worcester, Mass.: Clark Univ. Press. → Forthcoming.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

CAIRNS, R. B.; and ORNSTEIN, P. A. 1979 Developmental Psychology. In E. Hearst (editor), *Experimental Psychology at 100*. Hillsdale, N.J.: Erlbaum. → Forthcoming.

Distinguished Scientific Contribution Awards for 1975. 1976 *American Psychologist* 31: 59–62.

DOLLARD, JOHN (1935) 1971 *Criteria for the Life History, With Analyses of Six Notable Documents.* Freeport, N.Y.: Books for Libraries Press.

DOLLARD, JOHN; DOOB, LEONARD W.; MILLER, NEAL E.; MOWRER, O. H.; and SEARS, ROBERT R. 1939 *Frustration and Aggression.* New Haven: Yale Univ. Press.

MILLER, NEAL E.; and DOLLARD, JOHN 1941 *Social Learning and Imitation.* New Haven: Yale Univ. Press. → A paperback edition was published in 1964.

SENN, M. J. E. n.d. Oral History of Child Study: Interview With Professor R. R. Sears. Unpublished manuscript. → Available at the National Library of Medicine in Bethesda, Maryland.

شريف ، مظفّر

SHERIF , Muzafer

ولد مظفر شريف فى تركيا عام ١٩٠٦، وحصل على الماجستير من جامعة اسطنبول عام ١٩٢٩، ثم واصل دراساته العليا بجامعة هارفارد، حيث حصل على ماجستير أخرى عام ١٩٣٢ كما حصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام ١٩٣٥ . وبعد أن نشر أول عمل له عن سيكولوجيا المعايير الاجتماعية The Psychology of Social Norms فى عام ١٩٣٦، شغل عدداً من وظائف التدريس فى تركيا، ولكنه عاد إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٥، لاستكمال بحثه الذى أدى إلى عملية منهجة systematization علم النفس الاجتماعى. ولقد جذب شريف لهذا المشروع البحثى عدداً كبيراً من الباحثين المشاركين الأكفاء لم تكن أقلهم شأنا كارولاين وود Carolyn Wood التى تزوجها عام ١٩٤٥ .

كان دافع شريف طيلة حياته العمل على إنشاء "علم" للعلوم الاجتماعية . وكان يعتقد أن علم النفس الاجتماعى - وهو الدراسة العلمية للتجربة والسلوك فى مجالات اجتماعية وثقافية -يسهم بشكل فعال فى إنشاء علم الإنسان. فالأفراد بقدراتهم العملية ليسوا مجرد أشخاص يتأثرون خاضعين لتأثير الخصائص الاجتماعية والثقافية للجماعات التى يولدون وينشأون ويعملون فيها ، والتى يرتبطون بها زمانيًا ومكانيًا ، ولكنهم أيضا صانعو ثقافة وأحداث تاريخية من حرب وسلام وثورات ، وعلى ذلك فإنه لكلى نفهم الأحداث البشرية فلابد لنا من فهم الخصائص والعمليات التى يستجيب بها الإنسان Homo sapiens الواعى للبيئة الكلية التى تحيط به وبخاصة البيئة الاجتماعية الثقافية.

ونظراً لتأثر شريف بعلم النفس الجشتالتى فى دراسته للإدراك perception وكذلك المظاهر والجوانب السيكوفيزيقية المتعلقة بالقياس scaling

والتقدير وللحكم عمد إلى "تطبيق" مبادئ الإدراك والمعرفة cognition لفهم الأفراد فى المجتمع، وقد أفلح فى بعض الأحيان فى أن تكون له إسهاماته الخاصة فى ذلك المجال. وقد استمد شريف تصوره لخصائص المجتمعات الثقافية من الدراسات الواعية التى سادت فى الثلاثينيات والأربعينيات فى الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، وكذلك بعض أعماله السابقة فى العلوم الاجتماعية (مثل أعمال برونيسلاف مالينوفسكى) التى حاولت تحديد المشكلات بعناية أثناء محاولاتها الوصول إلى تعميمات من الملاحظات والبيانات الأخرى المساندة .

ولقد استمد شريف فكرة برنامج عن العلم من بعض الأعمال الطبيعية naturalistic فى فلسفة العلم مثل كتاب أينشتاين وإنفلد Infeld عن تطورالفيزياء Evolution of Physics (1942). ففى رأيه أنه يتعين صياغة المناهج والتعميمات العلمية أثناء عملية التعرف على الظواهر ، ولكن لكى نتجنب التحيزات الشخصية أو العرقية ، فإنه يتعين على العالم أن يقوم بجمع بياناته من دراسة العديد من الثقافات والمجتمعات وأن يهتم بالطريقة التى يدرك بها الأفراد ويتذكرون ويحكمون ويفكرون وكيف تتطور الجماعات وتتغير. ومن مثل هذه الدراسة الموجهة التى تهدف إلى عزل وفهم العملية فى مواقف مختلفة يسهل التعميم وصياغة علاقات مشروعة وثابتة، يمكنها أن تؤلف منظومة من الافتراضات الدائمة كما هو الحال فى الفيزياء .

ولقد ركّز أول كتاب له ، وهو كتاب سيكولوچيا المعايير الاجتماعية الصادر عام ١٩٣٦، على إقامة تعميمات محدودة حول أوقات الانتقالات الاجتماعية حيث "لا يكون الانتقال مجرد نقلة من ترتيب منظومة معينة من المعايير إلى الفوضى ، ولكنها نقلة من منظومة معينة إلى منظومة جديدة من المعايير ربما عن طريق مرحلة من اللايقين " (صفحة ٨٦)، فهو يدور حول الظواهر العامة (كل الجماعات المعروفة

لها معايير تنظم حياتها الاجتماعية)، وذلك بقصد صياغة فرض علمي يمكن البرهنة عليه حول الظروف والشروط التى تتطلب أن يكون ظهور المعايير الجديدة عن طريق عمليات محددة سيكولوجيا. ولقد قوبلت هذه النظرة ببعض الترحيب نظراً لأنه أفلح فى تجربة معملية أن ينشر نظرته بشكل أو بآخر حول العالم، واستطاع أن يبين أنه تحت ظروف معينة يستطيع الأفراد الذين يتفاعلون معاً أن يصوغوا معياراً ينظم سلوكياتهم حين يكونون بعيدين بعضهم عن بعض. وقد افترض شريف أساساً أنه نظراً لوجود ميل سيكولوچى لتقليل اللايقين، فإنه حين يكون فى استطاعة الأفراد أن يتفاعلوا بعضهم مع بعض يتعين عليهم أن يؤثروا بعضهم فى بعض ويصوغوا معياراً (لايكون مجرد "متوسط" أحكامهم الفردية من خبرتهم السابقة فى موقف مماثل) قادراً على التأثير على السلوك الخاص بكل منهم. ولقد أدت فكرة الاستعانة بالتجارب المعملية للبرهنة على أى فرض يكون مستمداً من دراسة واسعة المجال للظواهر الاجتماعية إلى كثير من الإثارة بين الباحثين - فى مجال علم النفس وعلم الاجتماع - الذين يؤمنون بالقدرات التحررية للعلم.

وقد واصل شريف فى سلسلة من التجارب والكتب إسهاماته فى كل الجوانب المهمة لعلم النفس الاجتماعى، وكان يعاود دائماً الرجوع إلى النموذج المثالى الذى استخدمه لأول مرة فى دراسته عن تكوين المعايير، وكانت مشكلة التعميم حول الأبنية السوسيولوچية تعتمد دائماً على العمل الإمبيريقى والدراسات التاريخية، بينما كانت التعميمات الخاصة بالثقافة تعتمد على التقارير المتعلقة بالدراسات الميدانية وأعمال اللغويين وغيرهم من العلماء، ولكن كل هذه التعميمات كانت تخضع على اختلافها للتحقق عن طريق القيام بتجارب مستخلصة مثل التجربة التى استخدمت للتأكد من الشروط اللازمة لتكوين المعايير التى كانت تتم أحياناً عن طريق صياغة مواقف تجريبية أكثر اتصالاً بالحياة الواقعية

وأحيانا أخرى عن طريق استخدام مناهج الملاحظة فى التجارب الميدانية التى تتميز بكل التعقيدات المرتبطة بالتفاعلات الإنسانية المستمرة .

وقد استخدم شريف فى دراساته النموذج المثالى المنهجى فى دراسة تفاعلات الحياة الواقعية ، ولكن الملامح المجردة والأساسية للظروف الاجتماعية كانت قبل إجراء تلك الدراسات تتم صياغتها فى المختبر. مثال ذلك ، أن إحدى مراحل العملية الاجتماعية الثقافية مثل "فترة اللايقين" كان يتم تمثيلها بواسطة عمل غير محدد الملامح، كما أن المكانة المتفاضلة differentiated status كانت تستخدم وتعالج عن طريق استحضار وجهات النظر المختلفة حول المكانة العليا والدنيا ، وعلى أية حال فإنه فى دراسته "مغارة اللصوص Robbers Cave (Sherif et al. 1961)" عن تكوين وتنفيذ الصراع بين الجماعات استخدم البيانات المعملية لكى يتأكد من وجود الظروف الاجتماعية وتغيرها . وبعد حالة الصراع الراسخ بين الجماعات (نظراً لأن الصراع بين الجماعات تحكمه هو أيضًا معايير واتفاقيات) ثم الحرص على وجودها عن طريق إدخال أحداث تنافسية ثم استخدام النتائج المعملية للتحقق من أن العلاقات داخل الجماعة– فى مقابل العلاقات خارج الجماعة – كانت تؤثرعلى الإدراك ، وعلى ذلك فإن النتائج المعملية ، مثل مجموعة الصور، كانت تستخدم للتأكد من أن العمليات الاجتماعية الثقافية كانت تتحرك دائمًا لتوكيد أن بعض الأحوال المستقرة مثل الصراع الراسخ تم إقراره وإنجازه .

ولم يحاول شريف فى أى عمل من أعماله أن يضحى بطريقة آلية بالبعد النظرى لصالح الدقة التجريبية ، فقد كانت كل تجاربه على درجة عالية من الأهمية ، كما أن العلامة المميزة لمشروعاته وخططه كانت تضم مواقف، حيث توجد طرق عديدة متنوعة للتشكيك والتفنيد ، بينما لا يوجد سوى طريق

واحد لتوكيد الفرض . ومع أن شريف كان متأثراً بالفكر الاحتمالى -probabil istic فإنه لم يكن يلجأ إلا عن طريق المصادفة والعرض إلى تطبيق الاختبارات الإحصائية على البيانات التى فى حوزته. فالعادة أن بياناته التجريبية - حتى بالنسبة إلى عدد صغير من المبحوثين - كانت قاطعة حتى بدون التقييم الإحصائى .

وعلى الرغم من أنه بذل كثيراً من الجهد للتحقق من الفروض فى العلوم الاجتماعية ، فإنه لم يصل إلا إلى عدد قليل من التعميمات السوسيولوجية التحليلية ، ومع ذلك فإن أحد تلك التعميمات التى توصل إليها من دراسته للصراعات بين الجماعات كان له تأثير دائم فى العلوم الاجتماعية، فقد افترض أن مجموعة من الأهداف المرغوبة من الجميع ولكن يصعب على الكثيرين الوصول إليها ؛ تكون مطلوبة لتقليل الصراع بين الجماعات نظراً لأن أحد الأهداف السامية لايكفى فى حد ذاته لأن يجعل عدداً كافياً من الأفراد الذين ينتمون إلى جماعات مختلفة يرتبطون بعضهم ببعض فى منظومة من التفاعلات الجديدة . ففى المواقف الجديدة التى يوجد لها قواعد أخلاقية راسخة تحكم السلوك بين الجماعات المختلفة يمكن تطوير الاتجاهات المستحبة فى الأغلب نحو الأفراد ، وتتولى هذه الاتجاهات بدورها إبطال مفعول الاتجاهات القديمة نظراً لنزوع لدى البشر إلى حل الصراعات بين الاتجاهات حتى تتسق فى استجاباتها للآخرين.

وقد كان شريف ينظر إلى الذات (الأنا) على أنها نسق فرعى تطورى من الاتجاهات المتشابكة التى تدخل فى تكوين الفرد . وقد استخدم تكوين الذات لوصف ودراسة الاتساق والاطراد فى السلوك ، ولكن نظراً لأن اتجاهات الذات ليست متماسكة ومتكاملة بالضرورة ومندمجة كلها فى نسق واحد ، فإن من الممكن دراسة عدد

من الصراعات المتنوعة التى يدخل فيها على سبيل المثال صراعات الدور والصراعات مع الذات على أنها أمور تتعلق بالاتساق الشخصى .

وعلاوة على إسهامه فى صياغة نظرية يمكن التحقق منها عن الذات، أضاف شريف عدة إضافات لنظرية تكوين وتغير الاتجاه . وقد اعتمد كثيراً على البيانات المتوفرة لديه فى مجال السيكوفيزيقا حول القياس والتقدير والحكم، ووضع فروضًا حول الأساليب التى ينظم بها الأفراد اتجاهاتهم وقياساتهم المرجعية reference scales، وفى سلسلة من التجارب أمكنه التحقق من بناء تلك القياسات عن طريق التنبؤ بالاستجابات عن الاتصالات التى تتفق مع وجهة نظر الفرد من ناحية وعكس ذلك النظرة من ناحية أخرى، كما أخضع للفحص عمليات تغيير الاتجاه.

وفى كل أعماله عن تكون وتغير الاتجاه استخدم شريف التكوينات السيكولوچية الخاصة بعمليات الإدراك والحكم التى كان يأمل أن يواصل الكشف عن استخداماتها على نطاق واسع وشامل ، ولكنه بدلاً من أن يعتمد على آليات محددة يعرف أنها تستخدم فى الثقافات الأخرى لحل أو إدارة الصراع، حاول أن يصوغ نظرية يمكن أن تؤدى إلى مثل هذه المعرفة learning، و تسمح فى الوقت ذاته للأفراد فقط ومن خلال التفاعل بأن يقدموا عدداً لا يحصى من الأساليب البديلة لحل الصراع . وعلى ذلك فإن نظريته عن الاتجاهات والذات تعكس إيمانه الوثيق والدائم بأن فى الإمكان صياغة قوانين قاطعة وحاسمة عن العمليات التى يمكن للأفراد أن يتعلموا بواسطتها ويكوّنوا إدراكاتهم للأحكام ومعاييرهم وتصوراتهم عن أنفسهم . ولكن ليس عن طبيعة تلك المعايير والقيم أو عن حصيلة المعرفة products of cognition،

وقد لاحظ جاردنر ميرفى Murphy Gardner (1972) فى كتابه: مقدمة تاريخية لعلم النفس الحديث Historical

Introduction to Modern Psychology أن تعـــريف شــــريف لعلـم النفس الاجـتـمـاعى باسـتـخـدام مـصطلحـات وعـبارات مـعرفـية كـان له مـقتضـيـات عميقة ليس فقط لأن مناهـج علم النفس التـجريبى المعـترف بها أدت بنجاح إلى فــــهم سلوك الأفــــراد فـى المواقف الاجتماعية ، ولكن أيضا لأن مختبر علم النفس أصبح له معنى باعتباره الوسيلة التجريبية الأساسية للتحقق من كيف أن الإنســان يتــأثر بالثـقـافـة ويشــارك فى تغييرها وتعديلها.

المؤلف :- Bertram L. Koslin

المترجم : - أحمد أبوزيد

(*) ولد مظفر شريف فى أوديميس- أزمير بتركيا فى ٢٩ يوليو عام ١٩٠٦ ، وتوفى فى ١٦ أكتوبر ١٩٨٨، بمدينة فيربانكس بولاية ألاسكا بالولايات المتحدة . (المترجم)

WORKS BY SHERIF

(1936) 1965 *The Psychology of Social Norms.* New York: Octagon.

1947 SHERIF, MUZAFER; and CANTRIL, HADLEY *The Psychology of Ego-involvements: Social Attitudes and Identifications.* New York: Wiley. → A paperback edition was published in 1966.

(1948) 1956 SHERIF, MUZAFER; and SHERIF, CAROLYN W. *An Outline of Social Psychology.* Rev. ed. New York: Harper. → Muzafer Sherif was the sole author of the first edition.

1953 SHERIF, MUZAFER; and SHERIF, CAROLYN W. *Groups in Harmony and Tension.* New York: Harper.

1961 SHERIF, MUZAFER et al. *Intergroup Conflict and Cooperation: The Robbers Cave Experiment.* Norman, Okla.: University Book Exchange.

1961 SHERIF, MUZAFER; and HOVLAND, CARL I. *Social Judgment: Assimilation and Contrast Effects in Communication and Attitude Change.* Yale Studies in Attitude and Communication, Vol. 4. New Haven: Yale Univ. Press.

1964 SHERIF, MUZAFER; and SHERIF, CAROLYN W. *Reference Groups: Exploration Into Conformity and Deviation of Adolescents.* New York: Harper.

1965 SHERIF, CAROLYN W.; SHERIF, MUZAFER; and NEBERGALL, ROGER E. *Attitudes and Attitude Change: The Social Judgment–Involvement Approach.* Philadelphia: Saunders; London: Rube.

1966 *In Common Predicament: Social Psychology of Intergroup Conflict and Cooperation*. Boston: Houghton Mifflin. → A British edition was published by Routledge as *Group Conflict and Cooperation: Their Social Psychology*.
1968*a* Groups: III. Group Formation. Volume 6, pages 276–283 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.
1968*b* Self Concept. Volume 14, pages 150–159 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

EINSTEIN, ALBERT; and INFELD, LEOPOLD 1942 *The Evolution of Physics*. New York: Simon & Schuster. → A paperback edition was published in 1961.
MURPHY, GARDNER (1929) 1972 *Historical Introduction to Modern Psychology*. New York: Harcourt.

شلوسبرج : هارولد

Schlosberg , Harold

هارولد شلوسبرج (١٩٠٤-١٩٦٤) عالم نفسى تجريبي، قام بإضافات إلى بحوث الإشراط، والإدراك، والانفعال، والنظرية السيكولوجية.

السيرة الذاتية :

ولد شلوسبرج فى بروكلن، بنيويورك، وهو ابن مقاول كهرباء، وعندما كان شابًا عمل متدربًا مهنيا غير رسمى لدى والده، للمساعدة فى تركيب الدوائر الكهربية، ونتيجة لهذه الخبرة المبكرة أجرى كثيرًا من بحوثه التجريبية بمعاونة الأجهزة الكهربية التى صممها بنفسه، كما ذاع صيته بوصفه مخترعًا لأنواع من "أربطة المطاط ومشابك الأوراق"، وكان بعض منشوراته متعلقًا بمذكرات عن الأجهزة (١٩٣٧).

نال شلوسبرج درجة البكالوريوس فى الآداب عام ١٩٢٥، والماجستير فى الآداب عام ١٩٢٦، والدكتوراه فى عام ١٩٢٨ من جامعة برينستون، وكان موضوع رسالته للدكتوراه إشراط اهتزاز الركبة Knee jerk conditioning لدى الإنسان، وكانت هذه النقطة البحثية نفسها موضوعًا لبعض دراساته المبكرة. وفى عام ١٩٢٨، عين مدرسًا لعلم النفس فى جامعة براون، حيث ظل فى هذه الجامعة حتى وفاته.

وقد انتقلت جامعة براون سريعًا إلى الرتب العليا بين أقسام علم النفس فى الولايات المتحدة، وكان ذلك نتيجة جزئية لبحوث شلوسبرج التجريبية، ولكن الأرجح أن يكون ذلك نتيجة لنصائحه الحكيمة. وفى عام ١٩٣٦، انتقل وولتر هنتر Walter Hunter من جامعة كلارك ليرأس قسم علم النفس فى جامعة براون، وسرعان ما اجتذب مجموعة قوية من الباحثين، وخلال العقدين التاليين ضم القسم - بالإضافة إلى هنتر، وشلوسبرج- علماء كبارًا

مثل: ليونارد كارمايكل L. Carmichael، وكلارنس جراهام Clarence Graham، ودونالد لندزلى Donald Lindsley، ولورين ريجز Lorrin Riggs، وكارل فافمان Carl Pfaffmann، وماك فيكرهنت J.McVicker Hunt، وديفيد زيمان David Zeaman، وروبرت جرايس "Robert Grice، وفى عام ١٩٥٤ خلف شلوسبرج "هنتر" فى رئاسة قسم علم النفس.

وقد أضاف شلوسبرج من خلال بحوثه وعمله إلى علم النفس بوصفه علمًا ومهنة، وحصل على كثير من الجوائز مقابل ذلك، كما عمل فى كثير من لجان الرابطة الأمريكية لعلم النفس APA، بما فى ذلك هيئة السياسات والتخطيط، وبالإضافة إلى ذلك كان عضوًا فى هيئة المستشارين فى علم وظائف الأعضاء النفسى Psychophysiology بمجلس الجراحين العام لمدة عشر سنوات، وكان عضواً فى هيئة تحرير مجلة الاستعراض السنوى لعلم النفس *Annual Review of Psychology*، ومستشارًا لتحرير مجلة مراجعات سيكولوچية *Psychological Review*، وأثناء رئاسته لقسم علم النفس فى جامعة براون كان عضوًا نشطًا، (ورئيسًا لمدة عام واحد) فى المجلس القومى لرؤساء أقسام علم النفس للدراسات العليا، وخلال صيف عام ١٩٦٠ قام بجولة فى معامل علم النفس فى روسيا وبولندا، على حساب منحة قدمتها له "جمعية بحوث علم البيئة الإنسانى"، وصاحبه فى هذه الجولة كل من نيل ميللر Neal Miller، وكارل فافمان Pfaffmann، وكان شلوسبرج من بين الأوائل الذين ساعدوا على الجمع - فى رباط وثيق - بين علماء النفس من أمريكا ومن شرق أوروبا (Miller, .Pfaffmann, & Schlosberg, 1962)

وقد تلقى شلوسبرج كثيرًا من الجوائز، وكان رئيسًا - لعدة مرات- لفروع علم النفس التجريبى والفيزيولوجى فى الرابطة الأمريكية لعلماء النفس، ورئيسًا لشعبة علم النفس فى الرابطة الأمريكية لتقدم

العلوم، ورئيساً للرابطة الشرقية لعلماء النفس (١٩٥٣/١٩٥٤)، وعضواً في جمعية علماء النفس التجريبي، وزميلاً في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم.

وعاني شلوسبرج - في سن مبكرة - في الثلاثينيات من عمره - من التهاب المفاصل في رقبته وظهره، ونتيجة لهذه الحالة المؤلمة، التي قيدت نشاطه البدني بشدة، قضى زمناً قصيراً في العمل، وكان كثير من إسهاماته ذا طبيعة نظرية.

الإسهامات العلمية:

تأثر شلوسبرج تأثراً بالغًا - في جامعة برينستون- بعلم النفس السلوكي والفيلسوف إدوين هولت Edwin Holt، واستمر هذا التأثير خلال حياته كلها، حيث كرس بحوثه للدراسة التجريبية والتفسيرات النظرية للسلوك القابل للملاحظة بشكل موضوعي. وعلى الرغم من أنه كان موضوعيا فإنه قاوم واعترض على أكثر الصيغ المقيدة والحصرية في المذهب الإجرائي Operationalism، ورفض في العقد الأخير من حياته أو نحوه، أن يقدم مقالات للمجلات التي تسيطر عليها هذه الإجرائية بدرجة كبيرة.

دراسات الإشراط:

في مراعاته لتلك الموضوعات المتحررة جاء أول بحث أجراه "شلوسبرج" عن الإشراط Conditioning لدى الإنسان (١٩٣٢)، وكان إدوين تويتماير Edwin Twitmyer قد اكتشف (١٩٠٢) أن منعكس الركبة قابلة للإشراط، وعلى الرغم من أن رسالة تويتماير لم تنشر لأكثر من سبعين عاما (Twitmyer, 1974) كان هناك تقرير عن الدراسة في لقاء للرابطة الأمريكية لعلماء النفس في عام ١٩٠٥، ومن ثم أصبحت الحقائق العامة لمثل هذا النوع من الإشراط معروفة وعامة، واستدعت مزيداً من البحوث لدراسة هذه الظاهرة.

بيد أن النتائج كانت مخيبة للآمال بوجه عام، فقد وجد شلوسبرج مثلا أن منعكس الركبة من الصعب أن يحدث له

إشراط عند أي فرد، وأن هناك فروقا فردية كبيرة جداً في الدرجة التي يستطيع بها الأفراد أن يكتسبوا الإشراط، وكانت الجهود المبذولة للكشف عن أسس هذه الفروق الفردية غير ناجحة، ولم يتمكن الباحثون من اكتشاف ارتباطات ذات بال بين هذه الفروق ومقاييس القابلية للإيحاء (وقد كشفت عن نتائج إيجابية بعد ذلك)، وقادت كل هذه الأمور شلوسبرج في بحوثه المتأخرة إلى أن يتحول إلى فأر المعمل بوصفه موضوعًا للإشراط.

ونتج عن هذه البحوث المبكرة أحد التفسيرات التي أصبحت مهمة في مقالة شلوسبرج عام ١٩٣٧، عن التفرقة بين الإشراط الكلاسيكي والوسيلي Instrumental (الإجرائي)، وقد أكد سلوك المبحوثين في التجربة الفكرة القائلة بأن "المنعكس الشرطي الذي ينتمي إلى فئة خاصة من التعلم ينفصل عن بقية نشاطات المبحوث، مثله في ذلك مثل الأمور اللاإرادية"، وكان الدليل على مثل هذا التفسير أن المنعكس الشرطي يبدو أنه يتطور منفصلاً عن الضبط الإرادي للمبحوث، ويبدو أن بعض المبحوثين لم يكونوا قادرين على التحكم في منعكس الركبة بشكل إرادي، في حين كشف آخرون أنهم قادرون على ذلك، ولكنهم كانوا أيضًا قادرين على أن ينسبوا المنعكس إلى قسم منفصل من الجوانب السيكولوجية، ويتركونه يعمل تبعًا لقواعده الخاصة. ومن الشائق أن ننظر اليوم إلى مثل هذه الملاحظات التي لم تكن تلقى كثيراً من التقدير في علم النفس الذي كانت تسيطر عليه سلوكية واطسون Watson، حيث استبعد من المجال أي شيء لوثته الجوانب العقلية، ومن المحتمل أن يكون هذا الوضع هو الذي دعا شلوسبرج إلى أن يتحول إلى الكائنات العضوية الأدنى في تجاربه التالية.

وتمثل هذه الدراسات (Schlosberg, 1936, Kappauf & Schlosberg, 1937) الإضافة الأساسية التي قام بها شلوسبرج إلى البحوث النفسية في مجال الإشراط، وكان الإجراء العام في

هذه الدراسات أن يزاوج بين منبه غير شرطي مثل : صدمة للذيل أو الساق، مع منبه شرطي، مثل: ضوء أو جرس، عبر فترة فاصلة قوامها ٠,٣٥ إلى ٧,٠٠ ثوان تقريبًا، وقياس ثلاثة أنواع من الاستجابات هي: التغيرات في التنفس، وحركات الذيل أو الساق، والصرخات، وفيما يلي بعض النتائج المهمة لهذه التجارب.

(١) يحدث الإشراط لمختلف الاستجابات في ترتيب معين، وتظهر التغيرات في التنفس أولاً، ويليها حركات الذيل أو الساق، وأخيرًا تحدث الصرخات الحادة. وفي الانطفاء Extinction (وهو تقديم المنبه الشرطي من دون المنبه غير الشرطي)، فإن هذه الاستجابات تتناقص بترتيب عكسي، وأدى ذلك بـ "شلوسبرج" إلى تطوير مفهوم "عمق الإشراط"، وهي فكرة لم تلق الاهتمام الذي تستحقه مطلقًا.

(٢) تحدث الاختلافات في الفترة الفاصلة بين المنبهات الشرطية وغير الشرطية أحيانا تدرجًا في الفعالية، وينتج أفضل إشراط عندما تكون الفترة الفاصلة ٢/٣ أو ١٠٠ ثانية، وفي الفترات الطويلة يحدث إشراط قليل أو لا يحدث، وأكثر الفترات الفعالة الواعدة أقصر كثيرًا مما حدده "إيفان بتروفتش بافلوف Ivan Petrovitch Pavlov، وهي حقيقة تأكدت في تجارب كثيرة لاحقة أجراها باحثون آخرون، إلا أن شلوسبرج لاحظ أيضا في الوقت نفسه أن الصدمات القوية جدًا التي تطمس الفترات المتدرجة الأطوال تكون فعالة، ويحدث ذلك عن طريق الإثارة المنتشرة التي تؤخر تضاؤل فعالية المنبه الشرطي.

(٣) كثرة محاولات التمرين التي يلي بعضها بعضًا لها تأثير في الإشراط، فإن خمس عشرة محاولة أو عشرين كل يوم تؤدي إلى أفضل إشراط بالمقارنة إلى مائتي محاولة في اليوم .

(٤) يحدث فقد بسيط في قوة الاستجابة الشرطية بين الجلسات اليومية، وعندما يحدث تأخر بمقدار

شهرين فإن الاستجابة الشرطية تختفى من الناحية العملية.

(٥) إذا استخدمت محاولات تجريبية قليلة دون تدعيم فى الجلسات اليومية، فإن الاستجابة الشرطية تضعف بشكل خطير من خلال الانطفاء.

نظرية الإشراط:

النتيجة الأخيرة التى عرضت فى الفقرة السابقة - والتى استخرجها "بافلوف" أيضا - لها معانٍ ضمنية مهمة، إنها تشكك فى القانون المهم الذى وضعه إدوارد لى ثورنديك Edward L. Thorndike، الذى يدعى: "قانون الأثر" Law of Effect، ويشير إلى أن الاستجابات التى ينتج عنها "رضا")وقد استبدل شلوسبرج بهذه الكلمة كلمة "نجاح") تثبت، وأن الاستجابات التى يترتب عليها "إزعاج"أو "فشل" تتلاشى، وبمصطلحات أبسط: فإن الاستجابات الناجحة يتم تعلمها، فى حين أن الاستجابات غير الناجحة تفقد.

ومن وجهة نظر الفأر، فإن إجراء محاولة الاختبار يجب أن تتضمن خبرة "النجاح"، لأن حدوث الاستجابة يبدو أنه لتجنب الصدمة، وقد أجرى شلوسبرج- وهو واع لهذه النقطة - عدداً من الاختبارات فى ظروف عدة، بحيث تمنع الاستجابة دائمًا حدوث الصدمة أو توقفها، فوجد - على العكس من "قانون الأثر" - أن الاستجابة الناجحة لا يتم تعلمها سريعًا، ولكن بدلا من ذلك فإنها كانت تتطلب إعادة الإشراط عبر فترات زمنية محددة، فتضعف الاستجابة بالتجنب (النجاح) إلى النقطة التى يفشل فيها الفأر فى تجنب الصدمة، وأدى ذلك إلى الصدمة مرة ثانية، وإعادة تكوين الاستجابة، وقادت هذه الملاحظات شلوسبرج إلى وجهة نظر مفادها أن "قانون الأثر" لا ينطبق على التجنب الشرطى conditioned avoidance، وإلى الشك فى أن الرجع الإشراطى الكلاسيكى conditioned reaction هو فقط أحد أنواع التعلم، وأنه ليس أساس كل خبرات التعلم، وقد طور

هذه الأفكار بشكل مفصل فى مقاله المهم عام ١٩٣٧، وعنوانه : "العلاقة بين النجاح وقوانين الإشراط" The Relationship Between Success and the Law of Conditionning.

ونتيجة لميل "بافلوف" إلى وصف كل أنواع السلوك المتعلم بمصطلحات الاستجابات الشرطية، فإن الفكرة القائلة بأنه من المحتمل أن يكون هناك أكثر من شكل واحد للتعلم، كانت فكرة ثورية فى عام ١٩٣٧، ومع ذلك فقد بدأت البيانات تتجمع لدى عدد من المنظرين، مشيرة إلى أن الموقف قد يكون كذلك فعلا. ومن المحتمل أن يكون أول من أشار إلى ذلك ستيفان ميللر Stefan Miller، وجيرزى كونورسكى" Jerzy Konorski (١٩٢٨)، كما افترض "سكينر" B. F.Skinner نفس الفكرة فى عام ١٩٣٥، وافترض "ثورانديك"، كذلك - فى مواضع مختلفة - أن الإشراط الكلاسيكى قد يكون شكلاً خاصًا من أشكال التعلم، يحكمه قانون التبديل الترابطى Law of associative shifting، إلا أن عبارة شلوسبرج كان لها أكبر تأثير.

ويتلخص الموضوع المشترك الذى يجمع بين كل هذه الكتابات فى أن الترتيبات التجريبية المستخدمة فى المعمل، تتضمن مختلف العلاقات بين ما قد يكون استجابة شرطية وآثاره أو عواقبه، ويعنى ذلك أن مختلف الإجراءات يحتمل أن ينتج عنها أنواع مختلفة من التعلم. وفى أحدى التجارب التى تدعى عادة إشراطا وسيليًا أو إجرانيا، كانت الاستجابة تقدم بعض المنبهات الإيجابية مثل الطعام، أو تجنب منبه سلبى كالصدمة، ففى المتاهة على سبيل المثال، يتلقى الفأر الطعام فقط إذا قام بسلسلة الاستجابات الصحيحة، وفى الوضع المعملى الآخر المسمى عادة الإشراط الكلاسيكى فإن الاستجابات لا تأثير لها فى المنبه سواء أكان إيجابيًا أم سلبيًا، فمن الواضح أنه لا أهمية لما يفعله المتعلم، ففى تجارب "بافلوف" - على سبيل المثال - يقدم الطعام للكلب سواء أفرز لعابًا أم لا.

وقد أشار شلوسبرج إلى هذين الشكلين من التعلم - على التوالي - على أنهما: "تعلم المحاولة والخطأ" أو "حل المشكلة"، و"الإشراط"، وقال إن الإشراط ينطبق على الاستجابات المبدئية المنتشرة التي يمكن أن تتوافق مع ما أسماه إدوارد تولمان Edward C. Tolmon (1933) توقعات expecta-tions. إن الإشراط يتطلب فقط عمليات بسيطة نسبيًا في الأعصاب، ويمكن أن يتكون بمجرد التزاوج بين المنبهات الشرطية وغير الشرطية، وأن "قانون الأثر" أو التدعيم ليس مشمولاً ولا متضمنًا هنا بوجه خاص، وعلى العكس من ذلك فإن "تعلم المحاولة والخطأ" يطيع قانون الأثر، إنه يؤدى إلى اكتساب استجابات هيكلية Skeletal محددة جدًا، ويتطلب مزيدًا من الآليات العصبية المحكمة كذلك.

إضافات أخرى:

تمثل هذه الصياغة المفصلة لهذه التفرقة بين نوعى التعلم الإضافة المهمة التى قام بها شلوسبرج، ومع نشوب الحرب العالمية الثانية قام شلوسبرج بعمل رئيس قسم علم النفس بجامعة براون، حيث انشغل هنتر بالمجهود الحربى تاركًا القسم، وبعد الحرب قام "شلوسبرج" ببحوث إضافية فى الإشراط، ولكنه كرس مزيدًا من الاهتمام لمشروعات أخرى، فأنشأ حوضًا للأسماك فى مكتبه، لدراسة السلوك الغريزى للسمك الاستوائى، ولكن لم ينتج عن ذلك كثير من البحوث.

ونشر نموذجا رياضيًا بسيطًا (١٩٤٨) يصف - بشكل عام - احتمالات رؤية عدد من النقط (من اثنتين إلى سبع) تعرض على المبحوث عن طريق جهاز العارض السريع Tachisto-scope، وعلى أساس هذا النموذج، فإن احتمال رؤية عدد (ن) من النقط دالة لاحتمالات قوة (ن) لرؤية نقطة واحدة تحت نفس الظروف، وعلى الرغم من أن هذه المقالة كانت إحدى المقالات المفضلة لدى "شلوسبرج"؛ فإنه لم يطور البحث فى هذه النقطة.

وكـانت نتـائج هذين المشـروعين قليلة، نظراً لقرار شلوسبرج- نحو عام ١٩٤٩ - أن يكرس مـعظم وقـتـه للاشـتراك مع روبرت وودوورث Robert S. Woodworth بجامعة "كولومبيا" في مـراجـعـة كـتـاب وودوورث: علم النفس التجـريبي *Experimental Psychology*، وقد ظـهر هذا الكتـاب الضـخم في عام ١٩٥٤، وفي نفس العام نشر شلوسبرج آخر مقالة علمية مهمة له، وكانت تحليلاً لأبعاد تعبيرات الوجه، التي رأى أنها مـشكلة أسـاسـيـة في سـيكولوجـيـة الانفـعـال، وقـد بـين في هذه المقـالة أن الأشـخـاص يمكن أن يحـددوا تعبيرات الوجـه على أسـاس مـخـروط ثلاثي الأبعاد، تحدده ثلاث متصلات Continua النوم - التـوتر، والقـبـول - الرفض، والسرور- عدم السرور.

ومن الممكن أن يشير هذا العرض لبـحـوث "شلوسـبـرج" إلى أن إضـافـاته تنتـمي - في المقـام الأول - إلى تقـديم الحس السليم والتفكير الواضح ليشمل موضـوعات متنوعة، ولم يكوّن مـدرسـة في علم النفس، ولـم يجـمـع عـدداً من التـلاميذ حـوله، على الرغم من أنه كان مـعلمـًا ومـديراً مـؤثراً، لقد كـان مـولفًا ومـجـمـعـًا أكثر منه مبدعا، وسوف يذكر ذلك في تاريخ علم النفس .

المؤلف: G. Kimble

المترجم: أحمد عبد الخالق

WORKS BY SCHLOSBERG

1932 An Investigation of Certain Factors Related to the Ease of Conditioning. *Journal of General Psychology* 7:328–342.

1936 Conditioned Responses in the White Rat: II, Conditioned Responses Based Upon Shock to the Foreleg. *Journal of Genetic Psychology* 49:107–138.

1937 Reaction-time Apparatus. *Journal of Genetic Psychology* 50:47–61.

1937 KAPPAUF, WILLIAM E.; and SCHLOSBERG, HAROLD Conditioned Responses in the White Rat: III, Conditioning as a Function of the Period of Delay. *Journal of Genetic Psychology* 50:27–45.

1948 A Probability Formulation of the Hunter–Sigler Effect. *Journal of Experimental Psychology* 38:155–167.

1954 Three Dimensions of Emotion. *Psychological Review* 61:81–88.

1954 WOODWORTH, ROBERT S.; and SCHLOSBERG, HAROLD *Experimental Psychology*. Rev. ed. New York: Holt.

1962 MILLER, NEAL E.; PFAFFMANN, CARL; and SCHLOSBERG, HAROLD Aspects of Psychology and Psychophysiology in the U.S.S.R. Pages 189–252 in Raymond A. Bauer (editor), *Some Views on Soviet Psychology*. Washington: American Psychological Association.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

MILLER, STEFAN; and KONORSKI, JERZY 1928 Sur une form particulière des reflexes conditionels. *Comptes rendus, Société de Biologie*. Paris 99:1155–1157.

SKINNER, B. F. 1935 Two Types of Conditioned Reflex and a Pseudo Type. *Journal of General Psychology* 12:66–77.

TOLMAN, EDWARD C. 1933 Sign Gestalt or Conditioned Reflex? *Psychological Review* 40:246–255.

TWITMYER, EDWIN B. 1974 A Study of the Knee Jerk. *Journal of Experimental Psychology* 103:1047–1066.

كاتز ، دانييل

KATZ , Daniel

ترتبط حياة دانييل كاتز المهنية بتطورعلم النفس الاجتماعى كتخصص إمبيريقى ، كما كان لأعماله دور مهم للغاية فى ذلك التطور . فلقد كان كاتز من أوائل الذين استخدموا منهج المسح فى دراسة المشكلات النفسية الاجتماعية مع إدخال بعض التحسينات على الطرق التى استعان بها فى عمله . وقد ألقت دراساته المبكرة للنماذج السلالية النمطية racial stereotypes الضوء على طبيعة التحامل والتعصب كما بيّنت بحوثه التالية الصورالمختلفة للانتماء الوطنى nationalism، وقد وفّرت دراساته النظرية عن تكوين وتغير الاتجاه attitude إطاراً للربط بين طرق وأساليب التغير ومختلف القواعد الدافعية للاتجاهات ، كما أن بحوثه للمنظمات الرسمية هيأت لعلم النفس الاجتماعى مستوى من الظواهر أغفلها علماء النفس بشكل معيب . وإحدى الخصائص التى تربط بين أعماله المختلفة فى وحدة متماسكة انشغاله بالتفاعل بين البناء الاجتماعى والعملية الاجتماعية وتفسير السلوك البشرى بالرجوع إلى بناء الأحداث التى لازمت ذلك السلوك . ويعكس هذا التوكيد الآراء النظرية لدى فلويد إتش . أولبورت Floyd H. Allport وهو الأستاذ الذى خضع كاتز لتأثيره الشديد لدرجة أن هذه الآراء تظهر بشكل واضح فى كل محاولات كاتز تطوير نظريته الخاصة عن النسق المفتوح - Open System theory .

كان مولد دانييل كاتز فى ترنتون Trenton بنيو چيرسى فى التاسع عشر من يوليو عام ١٩٠٣، وقد انتقلت العائلة فيما بعد إلى مدينة بفالو Buffalo بولاية نيويورك حيث تخرج فى جامعة بفالو عام ١٩٢٥ ، ويرجع أول بحث منشور له إلى تلك الفترة الجامعية وكان دراسة لظاهرة التأثير الثقافى accul- turation لدى المهاجرين البولنديين وأطفالهم (Katz & Carpenter 1927)

وهو بحث كان كاتز قد أجراه مع نيلز كاربنتر رئيس قسم الاجتماع الذى درس بجامعة هارفارد وكرّس نفسه للبحث الإمبيريقى فى مجال كان لايزال خاضعًا لتأثير الفلسفة الاجتماعية .

وتكشف نتائج ذلك البحث الذى أجرى على أجيال مختلفة عن وجود نمط عائلى شديد التعقيد ، فالآباء الذين ولدوا فى بولندة كانو لايزالون يحتفظون بالنموذج النمطى للقيم والاتجاهات التى تتمسك بسلطة الأب، بينما كان أطفالهم يتصرفون حسب خبراتهم الخاصة ، وقد اضطر الآباء إلى التكيف مع ذلك السلوك وتقبّله لأسباب براجماتية رغم عدم استطاعتهم الاعتراف به أيديولوچيا .. ولكن بصرف النظر عن ارتباط ذلك العمل بمرحلة الدراسة الجامعية الأولى، فإنه كان يتنبأ باهتمامات كاتز التالية والدائمة فى البحوث ، مثل: القياس الكمى للقيم والاتجاهات ، وتفسير الاختلافات الاجتماعية فى ضوء التأثيرات الخارجية المختلفة ، وإجراء البحوث الاجتماعية فى مواقف وظروف من الحياة الواقعية .

فى عام ١٩٢٥، انتقل كاتز من بفالو إلى جامعة سيراكيوز، حيث عكف على دراسته للدكتوراه بمنحة حصل عليها بمساعدة رئيس جامعة بفالو . وكانت جامعة سيراكيوز اختيارًا موفقًا من عدة نواحٍ . فقد كان فلويد إتش . أولبورت قد انتقل إليها قبل ذلك بعام ليشغل أحد كراسى الأستاذية فى مشروع جديد للجامعة فى مجال العلم الاجتماعى تقوم بإجرائه "مدرسة ماكسويل للدراسات العليا للمواطنة والشئون العامة" Maxwell Graduate School of Citizenship and Public Affairs. وكان كتاب أولبورت الرائد عن علم النفس الاجتماعى Social Psychology قد ظهر فى ذلك العام، بينما كان هو نفسه منهمكًا تمامًا فى العمل على مشروعه الذى شغله طيلة حياته عن التكامل النظرى بين الظواهر الفردية والاجتماعية . وقد كرس كاتز نفسه لعلم النفس الاجتماعى ، وأصبح أول

تلميذ لألبورت للدكتوراه من سيراكيوز ، وقد نشرت رسالته بالاشتراك مع أولبورت تحت عنوان Students' Attitudes : A Report of the Syracuse University Reaction Study (1931)، وكانت رسالته وصفًا كميا لثقافة الطلاب فى تلك الجامعة والثقافات الفرعية العديدة التى تدخل فى تكوينها .

بعد أن حصل كاتز على الدكتوراه انتقل إلى جامعة برنستون، حيث ظل يعمل لمدة خمس عشرة سنة . وقد غطت كتاباته أثناء تلك الفترة مجالات واسعة فى علم النفس وتجارب فى علم النفس الاجتماعى عن حركات العين وظاهرة الخداع البصرى المعروفة باسم Phi ، وعروضا لعلم النفس فى المجلدات السنوية للموسوعة البريطانية (بريتانيكا)، ومقالات حول علم الجمال والإبستمولوجيا فى العلوم الاجتماعية . وقد تواصلت بحوثه فى مجال الاتجاهات وقياس الاتجاه، وبخاصة باستخدام طرق وأساليب المسح تصدر خلال تلك الفترة، وبذلك اكتسب شهرة واسعة كمتخصص فى مناهج وطرق المسح .

وربما كان أشهر عمل قام به كاتز أثناء سنوات برنستون هو التجارب التى أجراها مع كنيث دبليو . برالى Kenneth W. Braly عام ١٩٣٥،عن التعصب السلالى والنماذج السلالية النمطية. وقد ظهر من تلك التجارب أن الطلاب اتفقوا فيما بينهم فيما يتعلق بترتيب أفضلياتهم للجماعات العرقية أن تكون إلحاقهم الخصائص لتلك الجماعات متفقة مع تلك الترتيبات، وأن هذا النمط لا يمكن تفسيره فى إطار اتصال الطلاب الفعلى بالمعرفة المباشرة للجماعة المعينة، وخلال تلك الفترة ذاتها نشر كاتز كتابه علم النفس الاجتماعى Social Psychology عام ١٩٣٨، بالتعاون مع ريتشارد شانك Richard Schanck، وهو أيضا من تلاميذ أولبورت أيضا . ويتميز الكتاب باعتماده الشديد على بيانات البحث ومحاولته معالجة مختلف مستويات الظواهر الاجتماعية بدون الرجوع إلى المفاهيم التجسيدية

المألوفة مثل "عقل الجماعة" أو "الضمير الجمعى". فى السنوات الأولى من الأربعينيات ترك عدد كبير من علماء العلوم الاجتماعية جامعاتهم لكى يتولوا مهام تتصل بشكل مباشر بالمجهود الحربى ، وقد تكونت داخل الوكالات الحكومية عدة جماعات من علماء الاجتماع وعلم النفس الذين يميلون للبحوث الكمية ، وانضم كاتز لجماعة كان قد أسسها بوزارة الزراعة رنزيس ليكرت Rensis Likert، وقد ارتبط كاتز بتلك الجماعة ارتباطًا وثيقًا استمر حتى بعد أن انتقلت إلى "مكتب معلومات الحرب"، وترجع بحوث كاتز حول الأوضاع التنظيمية إلى تلك الفترة. وأفضل مثال لذلك هو الدراسة التى أشرف عليها مع هربرت هيمان Herbert Hyman عن معنويات العمال فى فترة الحرب ، وكان هذا البحث سابقًا لأوانه إذ اعتمد على خطة design متعددة المنظمات (خمسة أحواض لبناء السفن shipyards) وعينة ممثلة من العمال فى تلك المنظمات واستخدم مجموعة مترابطة من القياسات المستقلة التى تعتمد على التقارير الشخصية التى أدلى بها العمال من تلقاء أنفسهم حول المتغيرات المهمة ، وقد ركزت النتائج على المحددات التنظيمية الموضوعية حول مدى رضا العمال ومعنوياتهم (بالإشارة إلى الأجور وأساليب المراقبة وفرص الترقى وما إلى ذلك) ، وعلى العلاقات المتبادلة المعقدة بين اتجاهات العمال والإنتاج .

حين انتهت الحرب العالمية الثانية التحق كاتز بكلية بروكلين كأول رئيس لقسم علم النفس ، وقد قبل كاتز تلك الوظيفة عام ١٩٤٣ ، بينما كان لايزال فى خدمة الحكومة ، وقد انتهت تلك الخدمة بتعيينه فى وظيفة خارج الوطن كمحلل رئيسى لمسح عن القصف الجوى الاستراتيجى للولايات المتحدة كان يرتكز على مجموعة من الدراسات الخاصة حول تأثير الإغارات الجوية على اتجاهات السكان ومعنوياتهم . وقد تمخضت الفترة التى أمضاها فى بروكلين عن إنشاء قسم قوى وتدريب عدد كبير من الطلاب الذين أصبحوا

متخصصين متميزين فى علم النفس الاجتماعى ، إلا أنها كانت على أية حال فترة قصيرة ذهب بعدها فى عام ١٩٤٧، إلى جامعة مشيجان حيث استقر بقية حياته .

وكان انتقال كاتز إلى مشيجان فرصة لإعادة العلاقات والروابط ، فقد كانت جماعة علم النفس الاجتماعى التى يقودها رنزيس ليكرت فى وزارة الزراعة الأمريكية قد بدأت بتأسيس مركز للبحوث المسحية فى جامعة مشيجان، كما شرع قسم علم النفس فى التوسع وإنشاء برنامج للدكتوراه فى علم النفس الاجتماعى يعتمد على الدراسات البينية تحت رئاسة تيودور إم . نيوكومب . Theodore M. Newcomb

وقد شارك كاتز فى كل تلك الأنشطة مع إعطاء أولوية لتطوير برنامج بحثى لمركز البحوث المسحية عن الجوانب النفسية الاجتماعية للتنظيمات الكبرى . وكان هو أول مدير لذلك البرنامج البحثى الذى استمر وتوسع، بحيث اشترك ليكر فى رسم وتحديد توجهاته الأولية النظرية والمنهجية ، وحتى حين تخلى عن الرئاسة الرسمية لذلك المشروع لكى يعطى وقتًا أطول للتدريس ولأنشطة القسم ظل محافظًا على اهتمامه بدراسة التنظيمات والمنظمات، وقام بدور فعال ومؤثر فى تأسيس فرع لعلم النفس التنظيمى على مستوى الدكتوراه يهتم بدراسة التفاعل بين الأبنية التنظيمية والسلوك الفردى بدلاً من التركيز على المشكلات التقليدية المتعلقة بمسائل الاختيار وإجراء الاختبارات وما إليها .

وقد امتدت حياة كاتز المهنية لأكثر من خمسين عاما، وتميزت بغزارة الإنتاج بشكل غير عادى سواء من حيث تنوع المجالات أو تعدد القضايا والمشكلات الاجتماعية أو الاهتمام بالموضوعات (الحدودية) التى تقع على الحدود المشتركة بين علم النفس ومجالات العلم الاجتماعى الأخرى مع استمرار التزامه ببعض الموضوعات ذات الاهتمام الخاص ، ومنذ عام ١٩٤٧، على وجه الخصوص بدأت ثلاثة اهتمامات أساسية تفرض نفسها :

(١) الحياة التنظيمية وتفرعاتها بما فى ذلك طبيعة الزعامة ومحددات الفاعلية التنظيمية وطبيعة الإشباعات satisfactions والحرمان deprivation فى العمل .

(٢) البناء والعملية السياسية وبوجه خاص ظاهرة الشعور الوطنى وحل الصراعات وطبيعة التوحد مع الأحزاب السياسية .

(٣) تكوين وتغير الاتجاه بما فى ذلك الدراسات الخاصة بالتعصب والتحامل وتطوير نظرية عامة عن تغير الاتجاه .

وترتبط هذه المجالات البحثية الثلاثة بالتركيز على مسألتين أخريين هما :

(١) الاهتمام بتحسين وتطوير مناهج البحث .

(٢) استخدام وتطوير نظرية النسق المفتوح Open-system theory كإطار يمكن التعبير داخله عن اهتمامات أخرى ذات أهمية خاصة . مثال ذلك، أنه فى كل المجالات الأساسية التى اهتم بها عن الحياة التنظيمية فى العمل والسلوك السياسى وتغير الموقف نجد أيضًا بعض المقالات عن المنهج . وقد أرسى الكتاب الذى تولى تحريره مع ليون فستنجر Leon Festinger عام ١٩٥٣، عن طرق ومناهج البحث فى العلوم الاجتماعية – معايير البحث لجيل من طلاب الدراسات العليا وغيرهم من الباحثين .

وقد عرض كاتز تطويره لنظرية النسق المفتوح فى كتاب علم النفس الاجتماعى للتنظيمات The Social Psychology of Organizations (Katz & Kahn 1966)، وقد استعان فى هذا التطوير بعدد من النظريات الميدانية الأخرى وبوجه أخص نظرية أولبورت العامة عن "أنساق الأحداث" (التى لم تنشر بشكل كامل قط) ، إلا أن استخدامه لإطار النسق المفتوح اقتصر على المستوى النفسى الاجتماعى، لأنه كان يعتقد أن علماء النفس الاجتماعى لم يعيروا كثيرًا من الاهتمام للبناء الاجتماعى، وأنهم أهملوا بوجه خاص تأثير التنظيمات على السلوك البشرى، لذا اقترح مدخل النسق المفتوح كوسيلة

لاستدراك ذلك القصور وأنشأ علم نفس اجتماعى يهتم بالبناء الاجتماعى ، وقد عرضت الطبعة الثانية لكتاب علم النفس الاجتماعى للمنظمات ذلك الوضع النظرى على أكمل وجه ، وقد ظهرت تلك الطبعة بمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين.

وكانت كتابات كاتز الرئيسية أعمالاً أصيلة أكثر منها دراسات نقدية ، ولكنه لعب دورًا مؤثرًا كمحرر وناقد ، فأثناء رئاسته لتحرير مجلة Journal of Abnormal and Social Psychology فى الفترة من ١٩٦٢ -١٩٦٤ ثم إشرافه على تحرير مجلة Journal of Personality and Social Psychiatry فى الفترة من ١٩٦٤ - ١٩٦٧ لعب دورا أساسيًا خلال مرحلة انتقالية شهدت انفصال المجلة الرئيسية لعلماء النفس الاجتماعى عن المجال الذى ارتبطت به لتحظى باستقلال خاص بها .

وقد كتب عدة مقالات عن حالة علم النفس الاجتماعى بصفته تخصصاً، وظهرت اثنتان من تلك المقالات على شكل عرض لطبعات كتاب Handbook of Social Psychology (Lindzey 1964). أما مقالاته المبكرة عن مناهج وطرق المسح فقد ظهرت وقت أن كانت المعايير لاتزال يتم البحث عنها فى ذلك المجال الذى كان يتوسع بسرعة.

إن الكتابة الأكاديمية عن السير الحياتية كتابات لاشخصانية بشكل مزعج . ولكن الوصف الأمين لمكانة ووضع كاتز فى العلم الاجتماعى يتطلب قدرًا من الإشادة بخصائصه وخصاله الذاتية ، ويعرف زملاؤه كما يدرك تلاميذه تماسكه المطلق والتزامه بالحياة الفكرية وإحساسه الدائم بالآخرين، وقد لايكون الخلق القويم أحد متطلبات الإسهام العلمى ؛ ولكنه يثرى بغير شك الذين يتمسكون به(*).

(*) توفى دانيل كاتز فى الثامن والعشرين من فبراير عام ١٩٩٨، فى سن الخامسة والتسعين . (المترجم)

المؤلف : Robert L. Kahn

المترجم : أحمد أبو زيد

Works by KATZ

WORKS BY KATZ

1927 KATZ, DANIEL; and CARPENTER, NILES The Cultural Adjustment of the Polish Group of the City of Buffalo: An Experiment in the Technique of Social Investigation. *Social Forces* 6:76–85.

1931 KATZ, DANIEL; and ALLPORT, FLOYD H. *Students' Attitudes: A Report of the Syracuse University Reaction Study*. Syracuse, N.Y.: Craftsman Press.

1935 KATZ, DANIEL; and BRALY, KENNETH W. Racial Prejudice and Racial Stereotypes. *Journal of Abnormal and Social Psychology* 30:175–193.

1938 KATZ, DANIEL; and SCHANCK, RICHARD L. *Social Psychology*. New York: Wiley.

1947 HYMAN, HERBERT H.; and KATZ, DANIEL Morale in War Industries. Pages 437–447 in Theodore M. Newcomb and Eugene Hartley (editors), *Readings in Social Psychology*. New York: Holt.

1953 KATZ, DANIEL; and FESTINGER, LEON (editors) *Research Methods in the Behavioral Sciences*. New York: Dryden Press. → Katz contributed an article to this volume on pages 56–97.

1954 Satisfactions and Deprivations in Industrial Life. Pages 86–106 in Arthur Kornhauser et al. (editors), *Industrial Conflict*. New York: McGraw-Hill.

.956 KATZ, DANIEL; SARNOFF, IRVING; and MCCLINTOCK, CHARLES Ego-defense and Attitude Change. *Human Relations* 9:27–45.

.964 VALEN, HENRY; and KATZ, DANIEL *Political Parties in Norway: A Community Study*. Oslo: Universitetsforlaget; London: Tavistock.

1965 Nationalism and Strategies of International Conflict Resolution. Pages 354–390 in Herbert C. Kelman (editor), *International Behavior*. New York: Holt.

1965 KATZ, DANIEL; and WITHEY, STEPHEN The Social Psychology of Human Conflict. Pages 64–90 in Elton B. McNeil (editor), *The Nature of Human Conflict*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

1966 Attitude Formation and Public Opinion. American Academy of Political and Social Science, *Annals* 367:150–162.

(1966) 1978 KATZ, DANIEL; and KAHN, ROBERT L. *The Social Psychology of Organizations*. 2d ed. New York: Wiley.

1967 The Practice and Potential of Survey Methods in Psychological Research. Pages 145–215 in Charles Y. Glock (editor), *Survey Research in the Social Sciences*. New York: Russell Sage Foundation.

968 Allport, Floyd H. Volume 1, pages 271–274 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

969 KATZ, DANIEL; DELAMATER, JOHN; and KELMAN, HERBERT C. On the Nature of National Involvement: A Preliminary Study. *Journal of Conflict Resolution* 13:320–357.

971 Social Psychology: Comprehensive and Massive. *Contemporary Psychology* 16:273–282. → Review of Lindzey (1954) 1968.

975 KATZ, DANIEL; GUTEK, B.; KAHN, ROBERT L.; and BARTON, E. *Bureaucratic Encounters: A Pilot Study in the Evaluation of Government Services*. Ann Arbor: Survey Research Center, Institute for Social Research, University of Michigan.

Social Research, University of Michigan.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

ALLPORT, FLOYD H. 1924 *Social Psychology.* Boston: Houghton Mifflin.

LINDZEY, GARDNER (editor) (1954) 1968 *Handbook of Social Psychology.* 5 vols. Rev. ed. Cambridge, Mass.: Addison-Wesley. → Volume 1: *Systematic Positions.* Volume 2: *Research Methods.* Volume 3: *The Individual in a Social Context.* Volume 4: *Group Psychology and Phenomena of Interaction.* Volume 5: *Applied Social Psychology.*

كاتل ، ريموند

CATTELL, Raymond

"مركب شراعي وراء الأفق عن طريق ديفون الحمراء" Under Sail Through Red Devon (1937b)، ربما يبدو ذلك عنوانًا غريبًا ولافتًا للنظر لكتاب كتبه عالم نفس شاب، أهداه إلى الدراسة متعددة المتغيرات للشخصية ، ومع ذلك فإن هذا العنوان يعكس عمق جذور ريموند بارنارد كاتل Raymond B. Cattell، الذى ولد عام ١٩٠٥، في بريطانيا ، في أرياف ديفونشاير. وكان التجانس الاجتماعي الاقتصادي النسبى الذي نشأ فيه طفلاً يتعارض بشدة مع الظروف شديدة الاختلاف التي وجد فيها نفسه مؤخرًا عندما التحق بجامعة لندن في عمر السادسة عشرة، وقد أيقظ التطرف الشديد الذى رآه في هذه المدينة بين الغنى والفقر همًا وانشغالاً بهذه الظروف الاجتماعية ، حيث ظل كامنًا لديه منذ أيامه الأولى التي عمل فيها مساعدًا صغيرًا في المستشفى إبان الحرب العالمية الأولى.

وقبل أن يحصل على درجة البكالوريوس في الفيزياء والكيمياء بثلاث سنوات ، قرر كاتل أن علم النفس سوف يكون مجال حياته العملية. وعلى الرغم من أنه كان ما زال مسجلاً في الكلية الملكية في كيمبريدج؛ فإنه كان يقضي معظم السنوات الخمس التالية في معمل سبيرمان Spearman فى الكلية الجامعية، وكان لسبيرمان تأثير كبير على تطوره المهنى ، فقد رأى فى التحليل العاملي الذي ابتكره سبيرمان أداة يمكن أن تستخدم في دراسة السلوك، كما يمكن أن تؤدى إلى نتائج ذات موضوعية وقابلية للتكرار، تنافس نتائج العلوم الطبيعية.

وقد حصل كاتل على درجة الدكتوراه عام ١٩٢٩، من الكلية الملكية ، ولكن الظروف الاقتصادية في بريطانيا العظمى عندئذ كانت ذات مشهد كئيب ، لا يقدم فرصًا مناسبة لعمل بحثى في علم النفس بوصفه علمًا

ناشئًا. وحتى يعيل نفسه قبل وظيفة تدريسية في جامعة "إكستر" ، وهناك بدأ في وضع برنامجه البحثي ، وبعد تقاعد سبيرمان وهجرته إلى الولايات المتحدة ، لجأ إلى سيرل بيرت Cyril Burt لمناقشة أفكاره الأساسية والمنهجية بطريقة نقدية، وفي هذا الوقت قرر أن يترك الحياة الأكاديمية حتى يكتسب خبرة إكلينيكية، فعمل مديرًا للخدمات النفسية المدرسية في مدينة " ليسستر Leicester"، وساعدته هذه الخبرة في بلورة آرائه في مشكلات الشخصية، وكان جمهور "ليسستر" موضوع أول بحث أساسي له. ولاحظ "كاتل" أن هناك ميلاً لدى الأطفال الذين يحصلون على نسب ذكاء منخفضة أن يكونوا منحدرين من أسر كبيرة العدد. وأجري "كاتل" بحوثًا في هذا الصدد، ونشر كتابه الموسوم: " نضال في سبيل ذكائنا القومي" Fight for our National Intelligence (a1937)، وعلى الرغم من أن تنبؤه بحدوث تدهور بطيء في متوسط الذكاء لدى الجمهور في بريطانيا لم يتحقق في فحص للذكاء أجري بعد ذلك، فإن انشغال "كاتل" باحتمال حدوث آثار مفسدة للصفات الوراثية Dysgenic effects في مجال السمات السلوكية المركبة ظل همًا اجتماعيا وانشغالاً أوليا لديه، وانعكس ذلك في بحوثه التالية.

وعلى الرغم من كتاباته الوفيرة ، فإن السنين الأولى له في إنجلترا كانت مثبطة ومخيبة للآمال، لأن دعم البحوث الأساسية في العلوم السلوكية كان – عمليا – غير موجود، وقبل دعوة إدوارد ثورندايك Edward L. Thorndike ليشغل وظيفة مساعد باحث في معمله في جامعة كولوميا بالولايات المتحدة لمدة عام، على الرغم من أن ذلك كان يعني أنه يقتلع جذوره من انجلترا الحبيبة. فوجد كاتل في كولومبيا أسلوبًا مبتكرًا ورائدًا للبدء في العمل ، بحيث أدخل هذا الأسلوب وأدرجه في استراتيجيته البحثية. وظل في الولايات المتحدة – أولاً – أستاذًا لكرسي ج. ستانلي هول Stanley G. Hall في جامعة كلارك، وبعد ذلك انتقل ليحاضر في

جامعة هارفارد. وعند نشوب الحرب العالمية الثانية التحق بمكتب الجنرال المساعد للولايات المتحدة ، حيث أتيحت له فرصة مواصلة تطوير مقاييسه "الموضوعية" للشخصية، التي يمكن أن تكون مفيدة في اختيار الضباط، وتأكد "كاتل" - عن طريق هذه الخبرات - من الفعالية التي يمكن اكتسابها عندما تجتمع مجموعة صغيرة من الباحثين لمجابهة مشكلة ذات اهتمام مشترك من زوايا متعددة، ورأى أن هذا هو الوضع المثالي للبحوث.

وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، قبل كاتل وظيفة أستاذ باحث في جامعة "إلينوي"، وسرعان ما أصبح كاتل مبارزًا في مجال تحليل المتغيرات المتعددة Multivariate تحت قيادة " هربارت وودرو" Herbert Woo-drow، وقد أسس "كاتل" في جامعة "إلينوى" معمل الشخصية والتحليل الجمعي Laboratory of Personality and Group Analysis، واجتذب هذا المعمل ٧٧ من الباحثين المشاركين ، كما عمل كثير غيرهم من العلماء الاجتماعيين والسلوكيين عبر تاريخ هذا المعمل الذي وصل إلى ٣٧ سنة.

واعتبر "كاتل" أن كتاب سبيرمان الموسوم : قدرات الإنسان The Abili-ties of Man (1927) عملاً حاسمًا فى هذا المجال، ووضع هدفًا شخصيا له ولمعمله ، وهو الدراسة المنظمة لمجال الشخصية الإنسانية، وقد حدد اعتبارين للإطار العام الذى يجب أن يجرى فى حدود العمل في المعمل ، أولهما: أنه اعتمادًا على خلفيته من المدرسة البريطانية في علم النفس، وتركيزها الشديد على التأثيرات البيولوجية في السلوك، فقد نظر "كاتل" إلى السلوك على أنه " عضوى" Organic بطبيعته، وإن لم يكن له بناء محدد تمامًا، وثانيهما: أن تعقد السلوك البشرى يتطلب أن يسمح المنهج المستخدم فى دراسته بفحص الأسباب المتعددة ، ويقدم التحليل العاملى Fac-tor Analysis الذى بدأه "سبيرمان" مع تطوراته التالية على يد كل من جودفرى

تومسون Godfrey H. Thomson، وسيرل بيرت، ولويس ثرستون" Lewis Thurstone المدخل المعقول الوحيد لتوضيح هذا البناء ، ومن ثم تكون الأسبقية الأولى لتحديد أبعاد الشخصية وتعيينها، ويأتى تطوير مقاييس محددة ، والتأكد من ثباتها وصدقها في المرتبة الثانية من الأهمية.

ومن المهم أن نحدد عدداً محدداً من المبادئ المشتقة من فلسفة "كاتل" وطريقته التى يجب أن يتم الفحص الموضوعي للشخصية على أساسها، وكان لكل من هذه المبادئ تأثير كبير في الإنتاجية الضخمة لهذا العالم.

وأحد المبادئ الأساسية التي كافح من أجلها "كاتل"، أن النظرية يجب أن تشتق من البحوث وتعتمد عليها ، والتى يمكن بدورها أن تحدد التوجه المناسب لمزيد من الفحوص العملية الواقعية (الإمبيريقية)، ومن ثم فإن البحث عن بناء أو تركيب، وعن نموذج نظرى يمكن أن يتواءم مع البيانات يصبح إجراء مكررا. وتأكد "كاتل" من أن التحليل العاملى لا يؤدى إلى حلول فريدة مالم يتم إجراؤه في ظل أكثر الظروف بساطة، كما رأى خطورة التأكيد الزائد على النتائج المستخرجة من عينة واحدة ، ولذلك فقد تطلبت جهوده البحثية العملية حساب الصدق بدقة وبأكثر من طريقة، حيث تتم تنقية كل من أدوات القياس والنظريات، وأصبحت بحوثه فى كل من الشخصية ، والدافعية، وعلم النفس الاجتماعى، والقدرات مبرمجة، واعتمدت بحوثه الأخيرة على بحوثه المبكرة وكانت امتداداً لها، ونتيجة لذلك لم تظهر صياغاته الكاملة والمحسنة لنظريته في التراث النفسى قبل منتصف الخمسينيات من القرن الماضي.

والمبدأ الأساسي الثانى الذى وجه بحوث "كاتل" هو الشمولية Catholicity، ويعبر هذا المطلب عن نفسه بطريقتين ؛ أولاهما. أنه إذا تحددت الأبعاد بوصفها السمات الأولية المصدرية للشخصية على أنها تكوّن في الحقيقة المتغيرات البارزة، فإنه يجب أن يكون فى الإمكان

البرهنة على بناء موازٍ عبر أدوات القياس ، ويتضمن ذلك تقديرات الأقران، وهي تستخدم الآن بتوسع، واستخبارات الشخصية، التى حدث لها تطور سريع، والاختبارات الموضوعية أو عينات السلوك المصغرة، ويعد "كاتل" رائدًا في تطوير المدخل الأخير، وقد بدأ هذا العمل في بريطانيا، ووصل إلى ذروته بنشره وصفًا لقرابة أربعمائة مقياس (Cattell & Warburton, 1967).

وأما البعد الثاني – الذي توقع أن يمكنه من البرهنة على عمومية السمات المصدرية أو عالميتها -: فهو البحوث الثقافية المقارنة، وقد حدد مفهومه "العضوي" للشخصية هذه السمات بأنها الخصائص المتأصلة في الجنس البشرى، من أجل ذلك فمن المحتمل أن تختلف العينات المحلية بالنسبة إلى متوسط القيم في هذه الأبعاد ، ولكن العلاقات المتبادلة بين العناصر المحددة للسمات يجب أن تبقى ثابتة، وقد أصبحت الدراسات الثقافية المقارنة لبناء الشخصية والقدرات ملمحًا أساسيًا لبحوث "كاتل"، حيث تعهدها بالاهتمام.

وقد نشأ التزام كاتل بالتحليل العاملى من جانبين: رغبته في التوصل إلى الأسباب المتعددة، وضرورة استبعاد العنصر الذاتى من تحديد البناء بقدر المستطاع، وقد تحقق مزيدٌ من هذا الالتزام، وتطور بارتباط كاتل بثرستون"، حيث وضع كتاب الأخير التحليل العاملى المتعدد - Multiple Factor Analysis (1947) الأسس والإجراءات التي أصبحت مألوفة تمامًا لدى "كاتل". وكما هو الحال في أى برنامج بحثى ، فإن التطور النظري أو التحقق العملى الإمبيريقي كثيرًا مايصل إلى طريق مسدود، نظراً لنقص الطرق الإحصائية المناسبة للإجابة عن الأسئلة الملحة. وعند هذه المرحلة الحاسمة تحول انتباه "كاتل" إلى التطورات التالية لنموذج التحليل العاملى، أو إلى التطبيق المبتكر للإجراءات المتاحة. وقادت هذه الجهود إلى تطورات كثيرة ، بما فى ذلك اختبار الهضبة Scree Test الذي ابتكره لتحديد عدد العوامل ، وتطوير معامل التشابه لمقارنة عدة حلول يتم التوصل

إليها عن طريق التحليل العاملى، كما توصل مع زوجته "كارين كاتل" إلى طريقة فريدة لتدوير عاملين مستخرجين من عدة حلول للتحليل العاملي؛ مشتقة من المصفوفات الارتباطية المتناسبة proportional correlation matrices، والتحليل العاملى للمقاييس التي تكرر تطبيقها على شخص واحد لدراسة الحالات المتذبذبة للشخصية...، وغير ذلك ، وقد أنتجت جهوده في تطوير نظرية فى الشخصية كثيرًا من الابتكارات المنهجية التى لم يكن بمقدورها أن تستمر بدونها:

وأخيرًا فإن اهتمام "كاتل" بالسببية المطلقة Causation قاده إلى "جولات" موسمية في علم الوراثة السلوكية لدى الإنسان، وكانت نتيجة ذلك تطوير منهج لتحليل التباين المجرد المتعدد multiple abstract analysis of variance وصولاً إلى التحليل الوراثى لبيانات الإخوة، المستمدة من كل التركيبات للتوائم الصنوية وغير الصنوية والإخوة الأشقاء وغير الأشقاء الذين تربوا معًا أو منفصلين.

وقد أنتج سعى "كاتل" إلى وضع نظرية شاملة للسلوك من خلال طرائق التحليل العاملى نماذج نظرية وأدوات للقياس النفسى متعددة، وتجسدت التطورات النظرية التي قام بها "كاتل" في قياس الشخصية بوساطة الاستخبارات في مقياس الستة عشر عاملاً للشخصية (Cattell, Eber, & Tat-suoka, 1970)، واستخبار الشخصية للمدرسة العليا (Cattell & Cattell, 1975)، وغيرها من الاختبارات لمختلف فئات السن، كما نتج عن دراسته لبناء الشخصية بالاختبارات الموضوعية بطارية الاختبارات الموضوعية التحليلية (Cattell, Hundleby, & Pawlik, 1965)، والاختبارات الموضوعية التحليلية على مستوى المدرسة العليا (Cattell & Schuerger, 1978). ويرتبط بهذا المجال ارتباطًا وثيقًا دراسته لأنماط الحالات States، مع تطوير نظرية التعديل أو التضمين Modulation Theory فيما بعد، لتستوعب التغيرات قصيرة المدى وطويلة المدى في السمات المقيسة ، وانعكس ذلك في بحوثه مع "شاير

Scheier، وكوران Curran، ونيسيلرود Nesselrode، وقد أدت جولاته في دراسة الدافعية إلى حساب التفاضل والتكامل الدينامي، الذى طوره بالاشتراك مع "تشايلد"، كما وضع اختبار تحليل الدافعية (Cattell, Horn, Sweney, & Radcliffe, 1964)، مع صيغة مدرسية من نفس الاختبار. ويعد اختبار الذكاء المتحرر من أثر الثقافة (Cattell, 1950a) نابعًا مباشرة من نظريته في الذكاء السائل أو السلس Fluid والمتبلور Crystallizedالتي تم تصميمها لقياس النوع الأول. وأما دراساته في أبعاد الثقافات فقد التقطها وواصل تطويرها علماء السياسة، وعلى رأسهم "رودلف رومل" Rudolf Rummell، وفي آخر الأمر أنتجت جهوده إقامة تكامل بين هذه المجالات السلوكية داخل إطار شامل ؛ كتابه المهم: النظرية الشاملة للشخصية والتعلم Comprehensive Personality and Learning Theory (1978a).

وليس من المستغرب أن مثل هذا التكريس والإخلاص في بحث المسائل المنهجية، مع اقتران ذلك بتطوير نظرية ، قد تسبب فى نقد من قبل العلماء السلوكيين والاجتماعيين ، وقد دارت أكثر جوانب هذا النقد حول الخصائص السيكومترية لأدوات القياس ، وعدم تكملة " كاتل" التطوير الرياضى لإبداعاته المنهجية ، ومن الممكن تفهم هذا النقد على ضوء الأهداف المختلفة للمنظرين والمهتمين بالقياس النفسى، فبالنسبة إلى المنظرين يعتبر تحديد الصدق عن طريق البرهنة على أنماط بنائية متشابهة في تطوير أدوات القياس شرط ضرورى في هذا المجال. وعلى الرغم من ضرورة توفر مستوى مقبول من الثبات والصدق للبرهنة على إمكانية تكرار Replicability الأنماط ، فإنه ليس ثمة حاجة إلى أن تكون هذه المستويات بالضرورة هي التي يتطلبها العالم السلوكي التطبيقي. وفى حدود الوقت والطاقة المتاحة يصبح من المحتم التوصل إلى حلول وسطى، ويظل السؤال العملى قائمًا عما إذا كان

الطريق الذي تم اختياره سوف يؤثر فى الاستفادة من هذه المقاييس المؤلفة.

وربما تمر عقود قبل أن يتم الحكم على تأثير "كاتل" في العلوم الاجتماعية والسلوكية بشكل مناسب، ومن المؤكد أن المناهج والتوجهات التي ابتكرها سوف يستمر زملاؤه وتلاميذه فى استكشافها ، فضلاً عن أعضاء "جماعة علم النفس التجريبى متعدد المتغيرات" Society for Multivariate Experimental Psychology التي قام بتأسيسها.

وفى الوقت نفسه، مع زيادة تعقد مناهج العلوم الاجتماعية والسلوكية ، فسوف يتغير إحجام كثير من المراجع التمهيدية فى الشخصية عن تقديم طرائق كاتل بحجة شدة تعقدها.

(*) توفى ريموند برنارد كاتل فى هاواى فى الثانى من فبراير عام١٩٩٨، قبل أن يبلغ الثالثة والتسعين من العمر بأسابيع قليلة ، وقد خلف وراءه مايزيد على خمسين كتابا وأكثر من خمسمائة مقال . (المراجع)

المؤلف" : T.W. Klein

المترجم : أحمد عبد الخالق

WORKS BY CATTELL

WORKS BY CATTELL

1934 *Your Mind and Mine: An Account of Psychology for the Inquiring Layman and the Prospective Student.* London: Harrap.

(1936) 1953 *A Guide to Mental Testing for Psychological Clinics, Schools, and Industrial Psychologists.* 3d ed. Univ. of London Press.

1937*a* *The Fight for Our National Intelligence.* London: King.

1937*b* *Under Sail Through Red Devon.* London: Maclehose.

1937 CATTELL, RAYMOND B.; TRAVERS, ROBERT M.; and COHEN, JOHN *Human Affairs.* London: Macmillan.

1938*a* *Crooked Personalities in Childhood and After: An Introduction to Psychotherapy.* New York and London: Appleton.

1938*b* *Psychology and the Religious Quest: An Account of the Psychology of Religion and a Defense of Individualism.* New York: Nelson.

(1941) 1947 *General Psychology.* 2d ed. Cambridge, Mass.: Sci-Art.

(1946) 1969 *The Description and Measurement of Personality.* New York: Johnson.

1950*a* *Handbook for the Individual or Group Culture Fair Intelligence Test, Scale I.* Champaign, Ill.: Institute for Personality and Ability Testing.

1950*b* *An Introduction to Personality Study.* London and New York: Hutchinson's University Library.

1950*c* *Personality: A Systematic Theoretical and Factual Study.* New York: McGraw-Hill.

(1952) 1973 *Factor Analysis.* Westport, Conn.: Greenwood.

1957 *Personality and Motivation Structure and Measurement.* Yonkers, N.Y.: World Book.

1960 CATTELL, RAYMOND B.; and STICE, GLEN F. *The Dimensions of Groups and Their Relations to the Behavior of Members.* Champaign, Ill.: Institute for Personality and Ability Testing.

1963 CATTELL, RAYMOND B.; RADCLIFFE, J. A.; and SWENEY, A. B. The Nature and Measurement of Components of Motivation. *Genetic Psychology Monographs* 68:49–211.

1964 *Personality and Social Psychology: Collected Papers.* San Diego, Calif.: Knapp.
1964 CATTELL, RAYMOND B.; HORN, J. L.; SWENEY, A. B.; and RADCLIFFE, J. A. *Handbook for the Motivation Analysis Test "MAT."* Champaign, Ill.: Institute for Personality and Ability Testing.
1965 CATTELL, RAYMOND B.; HUNDLEBY, JOHN D.; and PAWLIK, KURT *Personality Factors in Objective Test Devices.* San Diego, Calif.: Knapp.
(1965) 1977 CATTELL, RAYMOND B.; and KLINE, P. *The Scientific Analysis of Personality.* 2d ed., rev. New York: Academic Press. → Cattell was the sole author of the first edition.
1966 *Handbook of Multivariate Experimental Psychology.* Chicago: Aldine.
1967 CATTELL, RAYMOND B.; and WARBURTON, FRANK W. *Objective Personality and Motivation Tests: A Theoretical Introduction and Practical Compendium.* Urbana: Univ. of Illinois Press.
1968*a* Spearman, C. E. Volume 15, pages 108–111 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.
1968*b* Traits. Volume 16, pages 123–128 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.
1968 CATTELL, RAYMOND B.; and BUTCHER, HAROLD J. *The Prediction of Achievement and Creativity.* Indianapolis: Bobbs-Merrill.
1970 CATTELL, RAYMOND B.; EBER, H. W.; and TATSUOKA, M. M. *Handbook for the Sixteen Personality Factor Questionnaire.* Champaign, Ill.: Institute for Personality and Ability Testing.
1971 *Abilities: Their Structure, Growth, and Action.* Boston: Houghton Mifflin.
1972*a* Real Base, True Zero Factor Analysis. *Multivariate Behavioral Research Monographs* 1:1–162.

1972*b* *A New Morality From Science: Beyondism.* New York: Pergamon.
1972 CATTELL, RAYMOND B.; SCHMIDT, L. R.; and BJERSTEDT, A. Clinical Diagnosis By the Objective-Analytic Personality Batteries. *Journal of Clinical Psychology* 28:239–312.
1973 CATTELL, RAYMOND B.; and CATTELL, A. K. S. *Measuring Intelligence With the Culture Fair Tests: Manual for Scales 2 and 3.* Champaign, Ill.: Institute for Personality and Ability Testing.
1974 Autobiography. Volume 6, pages 59–100 in *A History of Psychology in Autobiography.* Edited by Gardner Lindzey. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.
1975 CATTELL, RAYMOND B.; and CATTELL, M. D. L. *Handbook for the Jr.-Sr. High School Personality Questionnaire "HSPQ."* Champaign, Ill.: Institute for Personality and Ability Testing.
1975 CATTELL, RAYMOND B.; and CHILD, DENNIS *Motivation and Dynamic Structure.* New York: Wiley.
1977 CATTELL, RAYMOND B.; and DRAGER, RALPH M. (editors) *Handbook of Modern Personality Theory.* Washington: Hemisphere; New York: Wiley.
1978*a* *Comprehensive Personality and Learning Theory.* New York: Springer.
1978*b* *The Scientific Use of Factor Analysis.* New York: Plenum.
1978 CATTELL, RAYMOND B.; and SCHUERGER, J. M. *Personality Theory in Action: Handbook for the Objective–Analytic Test Kit.* Champaign, Ill.: Institute for Personality and Ability Testing.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

CHILD, DENNIS (1970) 1973 *The Essentials of Factor Analysis*. New York: Holt.

SPEARMAN, C. E. 1927 *The Abilities of Man: Their Nature and Measurement*. London: Macmillan.

THURSTONE, L. L. 1947 *Multiple-factor Analysis: A Development and Expansion of* The Vectors of Mind. Univ. of Chicago Press.

كارمايكل ، ليونارد

Carmichael, Leonard

ولد ليونارد كارمايكل في التاسع من نوفمبر عام ١٨٩٨، في القسم المعروف باسم "المدينة الألمانية" في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا ، وتوفى في ١٦ سبتمبر عام ١٩٧٣ في واشنطن عن عمر يناهز ٧٤ عامًا. وعند وفاته كان يشغل منصب نائب الرئيس للبحوث والاكتشافات فى الجمعية الجغرافية القومية ، وانتخب فى الأكاديمية القومية للعلوم في عام ١٩٤٣ ، حيث عمل فيها رئيسًا لشعبة علم النفس بين عامى ١٩٥٠ ، و١٩٥٣ . ومن بين دلائل الحفاوة به وتكريمه منذ وقت مبكر؛ انتخابه في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم فى عام ١٩٣٢ ، وفى الجمعية الأمريكية الفلسفية في عام ١٩٤٢ .

وكان لكارمايكل بوصفه عالم نفس فيزيولوچيا أيضا ميل إلى الإدارة ، فعمل رئيسًا لقسم علم النفس في جامعة براون من عام ١٩٢٧ إلى عام ١٩٣٦ ، ورئيسًا لقسم علم النفس وعميدًا للكلية فى جامعة روشستر بين عامى ١٩٣٦ - ١٩٣٨ ، ورئيسًا لجامعة تفتس Tufts بين عامى ١٩٣٨ - ١٩٥٢ ، وسكرتيرًا لمعهد سميثونيان بين عامى ١٩٥٣-١٩٦٤، ونائبًا لرئيس الجمعية الجغرافية القومية بين عامى ١٩٦٤-١٩٧٣ .

وكان كارمايكل الابن الوحيد لتوماس هاريسون كارمايكل، الطبيب الناجح ، وإيميلي هينرييتا ليونارد كارمايكل ، التي كانت ناشطة فى كثير من لجان الإحسان التطوعية، كما كانت - عند وفاتها- رئيسة لمكتب فيلادلفيا للترويح والاستجمام ، وكان جده لأمه تشارلز هول ليونارد (الحاصل على درجتي دكتور في اللاهوت ودكتور في الحقوق) لسنين عديدة عميدًا لمدرسة كرين اللاهوتية التابعة لجامعة تفتس.

وعلى الرغم من أن والديه لم يكونا أعضاء فى جمعية الأصحاب (الكويكرز Quakers)، فإن كارمايكل التحق

بمدرسة المدينة الألمانية للأصدقاء ، والتحق بجامعة تفتس في عام ١٩١٧، وتخرج فيها فى عام ١٩٢١ بدرجة البكالوريوس فى العلوم ، وعندما كان طالبًا جامعيا في السنة الأخيرة أجرى دراسة لنقطة بحثية بسيطة فى علم الأجنة عن عضلات العين لدى سمك القرش ، الأمر الذى أثار اهتمامه بأهمية التاريخ التطوري لأعضاء الحس، وأصبح اهتمامه بالجوانب السيكولوچية والفيزيولوچية للحواس بوصفها محددات لسلوك الكائن العضوى ؛ الموضوع العلمى المسيطر على حياته العلمية ، فكان مديرًا لمعمل علم النفس وفيزيولوچيا الحواس فى جامعات براون، وروشستر ، وتفتس، وكان فى جامعة روشستر أستاذًا ورئيسًا لقسم علم النفس وعميدًا لكلية الآداب والعلوم ، وقد استمر عندما كان رئيسًا لجامعة تفتس في الاهتمام النشط والمباشر بالبحوث فى هذه المعامل.

وكانت الكتب أو المراجع التى أثرت فيه كثيرًا بوصفه طالبًا جامعيًا هى كتب چاك لوب" : Jacques. Loeb المتخصص فى "ما فوق الآلية البيولوچية" ، وكتب سى. لويد مورجان" C.Lloyd.Morgan: المؤيدة للتطورية الجديدة ، ولكنه بعد قراءة كتاب هاوارد وارين Howard Warren : علم النفس الإنسانى Human Psychology (1919) قرر أن علم النفس - أكثر من التشريح أو الفيزيولوچيا- هو فرع المعرفة الذي يُمكنه من أن يدرس الحواس Senses بأفضل مستوى على ضوء دورها الوظيفى في السلوك ، فضلاً عن خلفيتها البيولوچية.

والتحق بجامعة هارفارد طالبًا للدراسات العليا بعد حصوله على منحة دراسية قدمها له عالم النفس التربوى وولتر إف. ديربورن Walter F. Dear-born الذى كانت لكارمايكل معه - بشكل خاص - علاقة وثيقة ، ولقد شارك كارمايكل - منذ وقت مبكر فى بحوثه فى الدراسات العليا - فى إعادة بناء نموذج محسّن من آلة التصوير الشهيرة باسم" دودج - ديربورن"

لتسجيل حركة العين. وتشجع كارمايكل لإشباع رغبته في دراسة البيولوچيا بالإضافة إلى علم النفس ، فدرس عدداً من المقررات في علم الحيوان ، وكان موضوع أول بحث جزئي معملي بعد تخرجه عن دراسة كمية لرد الفعل للضوء لدى سوسة الدقيق Meal Worm (Tenebrio molitor)، وقد أشرف على هذه الدراسة باركر G.H. Parker أستاذ علم الحيوان . وقد اعتبر كارمايكل محاضرات باركر عن الجهاز العصبي وأعضاء الحس نماذج للوضوح والعلم ، وكان من بين معلميه في مجال علم النفس: بورنج E.G. Boring وترولاند L.T. Troland، ووليم مكدوجل William McDougall.

وكانت رسالة كارمايكل للدكتوراه نظرية وتاريخية عن الغرائز لدى الإنسان والحيوان من الناحيتين السيكولوچية والبيولوچية، ونشرت تحت عنوان : "الوراثة والبيئة : هل هما متضادتان ؟ Heredity and Environment: Are They Antithetical? (a1925). وعند عرضه للدراسات السابقة في هذا الموضوع ، ذكر - بشكل عرضي - اكتشاف " ڤيلهلم بريار" Wilhelm. Preyer لمظاهر الحياة لدى الجنين ، ورأى أن هذا المدخل سبيل لدراسة نمو تشكل المستقبلات الحسية والجهاز العصبي في علاقتهما بالسلوك ، في مختلف مراحل التطور الوراثي المبكر لدى الثدييات ، قبل أن يبدأ التعلم أو أن يصبح التعلم مهماً.

وفي عام ١٩٢٤ - بعد حصوله على الدكتوراه واستكماله لمنحة شيلدون الدراسية للسفر - التحق بكلية برنستون الجامعية لتدريس علم النفس الفسيولوچي وتاريخ علم النفس ونظرياته ، وقد بدأ بحثه في جامعة برنستون عن تطور السلوك لدى يرقات السمندر البرمائي Larval amblystoma، وفراخ الضفادع ، ووجد أن تطورها الجسمي يتواصل باطراد عادة حتى بعد أن تشل حركتها بوضع محلول مخفف التركيز من مخدر الكلورين. وتمثل هذه التجربة موقفاً مثالياً ، حيث

يفترض أن كل المدخلات الحسية تنخفض ، وتكف كل الجوانب الحركية بوضوح، ومن ثم أصبح التدريب أى التعلم مستحيلاً. ولاحظ أنه عندما يزول المخدر ، فإن الكائنات العضوية فى المجموعة التجريبية كانت تسبح بنشاط وبطريقة مناظرة لما تفعل الكائنات العضوية فى المجموعة الضابطة التى لم تخدر؛ أي التي سمح لها بأن تواصل تطورها بشكل طبيعي ، كما أورد كارمايكل فى سيرته الذاتية : "أن هذه الدراسات تدعم نظرية وراثية أكثر مما تدعم نظرية بيئية في تحديد نمو السلوك المنظم ، وقد أدهشتنى في ذلك الوقت وصدمتنى إلى حد بعيد نتائج هذه التجارب ولكنها لم تدعم ما كنت أعتقده بقوة عن التأثير المحدد للبيئة فى كل مرحلة من مراحل نمو السلوك" (p. 37 1967.). ونتيجة لذلك فإن تقاريره عن هذه التجارب التي نشرت في دورية المراجعات السيكولوچية Psychological Review (1926; 1927; 1928)، بدت على أنها لا تدعم الاستنتاج الواضح الذى كان يكرره عن العلاقات المتبادلة الوثيقة بين الوراثة والبيئة ، وصعوبة فك تفاعلهما معًا.

وفى عام ١٩٢٧، انتقل كارمايكل إلى جامعة براون ، ونظرًا لأنه كان لا يزال في العشرينيات من عمره عندما تم تعيينه ، فقد كان واحدًا من أصغر الحاصلين على لقب أستاذ من أعضاء هيئة التدريس Faculty في تلك الجامعة. وعلى الرغم من أنه أصبح مشغولاً ومنهمكًا بهمة ونشاط فى تنظيم المعمل الجديد والقسم ، وإمداده بالأجهزة لتدريب الخريجين وإجراء بحوثهم فى علم النفس التجريبى والفيزيولوچى ، فقد استمر فى الوقت ذاته فى إنجاز بحوثه الخاصة ، وكان يقوم شخصيًا بتدريس مقررات في المرحلة الجامعية الأولى والدراسات العليا ، وكان يوجه البحوث ويشرف عليها لطلاب هاتين المرحلتين. وكان كارمايكل محاضرًا واضحًا وممتلئًا بالقوة والنشاط، وكانت مقررات المدخل التي يقدمها ذات شعبية كبيرة ، وقد صوت الطلاب له – عددًا من المرات – بأنه أكثر مدرس محبوب.

وحقق كارمايكل فى جامعة براون هدفه الذى طال تعلقه به ؛ هو دراسة تطور السلوك في أجنة الثدييات ، فقد كشفت بحوثه المبدئية وبحوث غيره أن الوظيفة العصبية لدى الأجنة تتدهور سريعًا إذا سدت الدورة الدموية ، وبدأ بدراسة جنين القطة ، وابتكر مهدًا (سريرًا) صممه خصيصًا، بحيث يمكن مساعدة القطة الحامل بإنزال الجنين في حوض ساخن مليء بسائل ملحى، وكانت الدورة الدموية للجنين سليمة ، وذلك بعد عملية ولادة قيصرية . وحتى يمنع الآثار المعقدة للمخدر الذى كانت العملية الجراحية المبدئية تجري تحت تأثيره، صمم طريقة لقطع الحبل الشوكى للأم في المنطقة العنقية ، وهذا نوع من التخدير الشوكي دون مخدر يؤدى إلى توقف حركة الأم وسكونها ويمنع الألم وغيره من الإمدادات الحسية من الوصول إلى الدماغ ، وبذلك أمكن فحص الجنين في حالة فيزيولوچية طبيعية إلى حد بعيد. واشترك كل من چيمس كورونياس James Coronius، وهارولد شلوسبرج Harold Schlosberg مع كارمايكل فى الدراسة الأولى عن جنين القطة ، والتقطت صور للحركات، وأخذت التسجيلات اللفظية المملاة لوصف السلوك. وبعد زواج "كارمايكل من بيرل كيدستون Pearl L. Kidston فى عام ١٩٣٢ ، ساعدته زوجته في كثير من تجاربه المبكرة ، لاسيما في التدوين وحفظ السجلات.

وقد أجري كارمايكل أكثر دراساته شمولاً للتطور على أجنة الخنزير الغيني Fetal guinea pigs، مع التركيز على الاستجابات فى أكثر من مائة منطقة في الجلد بتحديد المنعكسات الناتجة عن الضغط عليها، وفى أثناء كل الفترة النشطة لما قبل الولادة ، والتي تستغرق ٦٨ يومًا، ولاحظ أن الذي يحدد الاستجابة ليس هو طبيعة المنبه الفيزيقى بل أكثر من ذلك ؛ فإن ما يحددها هو حقيقة وجود المنبه الفيزيقى فوق العتبة لبعض مستقبلات الجلد فى موضع معين. ويظل كثير من الأنماط النموذجية للسلوك ثابتة بدرجة

مدهشة لدى الكائن العضوى الذى ينمو سريعًا ، وفوق ذلك فإن النمو يمكن أن يغير من الاستجابات فجاة بطريقة يمكن أن تجعلها تتداخل مع الاستجابات المتعلمة ، لاسيما إذا شوهدت مثل هذه التغيرات بعد الولادة. وقد أورد كارمايكل عام ١٩٤١، فى مقاله: " علم الأجنة التجريبى للعقل The Experimental Embryology of Mind":

" لم أر مطلقًا أية استجابات لدى الجنين في عمره المتأخر ، فلم تظهر عناصر هذه الاستجابات بوصفها أرجاعًا منمطة نموذجية لمنبهات منعزلة مرات عدة من قبل ، ففى حالة جنين الخنزير الغينى في عمره المتأخر ينمو الشعر الذي يكسو جسمه نموًا جيدًا ، وتظهر الأسنان، وتقوم العينان والأذنان بوظائفها ، ويرسخ السلوك التكيفى المتكامل ويثبت جيدًا ، وفي هذا الوقت سوف يحاول الحيوان - إذا كان لنا أن نستخدم لغة المذهب الغائى - التعامل مع المنبه اللمسى الذى يستخدم لإثارة شفته ، بطريقة فعّالة وبارعة تمامًا. أولا: ربما يحاول الحيوان استبعاد المنبه بتجعيد شفته ، وعندما يبقى المنبه فإن الحيوان يمشط الجانب الذى تم تنبيهه بقدمه الأمامية ، وإذا ظل المنبه موجودًا يقوم الحيوان بتحريك رأسه بحدة. وأخيرًا تحدث مقاومة عامة تستخدم فيها حركات الأطراف الأربعة جميعًا وكل عضلات الجذع ، وتكون مثل هذه المناورات الأخيرة أحيانا لدى الجنين الأكبر عمرًا سريعة وفعالة جدا حتى يوقفها المجرب ويزال المنبه المزعج . ويحدث ذلك لدى جنين الخنزير الغينى الذي تكون لديه طريقة في العناد والإزعاج على الرغم من أى عمل يمكن أن يقوم به المجرب.

وتظهر الأنماط المركبة للسلوك نتيجة للنضج ، ومن المحتمل أن يكون هذا السلوك - ومثله فى ذلك مثل أى سلوك فى العالم - يبحث فى الحقيقة عن غاية وغرض ولا يتضمن استخدام اللغة. ولم أجد سببًا للاعتقاد بأن هذا السلوك الغرضى المنبثق ليس بالطبيعة

نتاجًا لعمليات النمو ، كما هو الحال فى طول شعيرات اللحية لدى الجنين ، ومستقلاً تمامًا عن التعلم" (pp. 16-17).

وكشفت بحوث كارمايكل عن تطور الاستجابات الحسية الحركية فى أجنة الثدييات - بشكل درامى - التتابع الطبيعى للنضج ، ودور العوامل الوراثية فى تطور السلوك ، ولكنه كان حذرًا فى تجنب التعميمات الشاملة عن السير أو السياق الذي يتخذه التتابع التطورى وطبيعته، وهى تعميمات يمكن أن يقع فيها بعض الباحثين. وقد كشفت الدراسة الكلاسيكية التي قام بها كل من برايرW.T. Preyer ، وكوجهل G.E. Coghillعن تتابع الحركة التلقائية لدى اليرقة البرمائية النامية أن أول حركة لها تتخذ شكل حرف (C) أو عكس (C) منحنى ، يليها استجابة على شكل حرف (S) أو ما يشبهه. وقد بين كوجهل (١٩٢٩) أن الاستجابة على شكل حرف (S) بوصفها عكسًا للانثناء تحدث قبل اكتمال الانثناء الذى يسبقه ويتخذ شكل حرف (C) ، ومن ثم يحدث السلوك المعقد للكائن العضوى. وعندما يسرع التتابع الكلى؛ فإن ذلك يمثل فى الحقيقة حركة السباحة لدى اليرقات، وتظهر هذه الحركات قبل نمو الأطراف . وعلى الرغم من أن هذه الكائنات العضوية تطور الأطراف الأمامية قبل الأطراف الخلفية فإن المجموعتين من الأطراف تتحركان فقط كجزء من التحرك الأكبر للجذع كله ، ومع ذلك تبدأ تدريجيًا الحركة المستقلة للطرف في التفرد أو التميز عن الحركات المسيطرة للجذع ، فتكشف الأطراف الأمامية أولاً عن استقلالية معينة ، ثم تليها الأطراف الخلفية. وتعتبر حركة الجذع في المشى ما هى إلا حركة السباحة بسرعة منخفضة . فلقد كان التطور تمددًا متواصلاً لنمط كلّى متكامل تمامًا، ثم تفردت منه الأجزاء (أى الأنماط الجزئية) بدرجات مختلفة من التمايز.

ورأى كارمايكل شيئًا مختلفًا في أجنة الثدييات ، فقد أعطى مزيدًا من الاهتمام للتمايز المبكر لاستجابات

معينة تعد ذات نوعية كبيرة ، والتى تصبح مؤخراً أجزاء من سلوك متكامل. وبدلاً من مناقشة موضوع التطور الكلى أو الجزئى نبه كارمايكل إلى أنه من الأفضل للباحثين أن يسجلوا الاستجابات التى تصدر عن الجنين فى أية مرحلة بوضوح ، كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، بدلا من جمع كل التغيرات التطورية في معادلة واحدة.

وقد بدأ كارمايكل بحوثه التجريبية في وقت لم يكن المجتمع العلمى الأمريكى فى مجالى علم النفس والبيولوجيا قد ألف فيه التقدم الذى حدث فى علم دراسة سلوك الحيوان Ethology الذي يوثق وظيفة إطلاق المنبهات التي تتخذ نمطًا محدداً فى إثارة الاستجابات الخاصة لدى أنواع حيوانية محددة. وأن انتظام هذه السلوكيات الخاصة بكل نوع وحدوثها لدى الحيوانات التى ربيت في عزلة بيئية مع خبرات محدودة تالية لولادتها قد قادت "كونراد لورنز Konrad Lorenz ونيكولاس تنبيرجن Nikolaas Tinbergen لتأكيد الأساس الغريزى لهذه السلوكيات. وفى كثير من سلوك الحيوان الذي يصدر في ظل ظروف طبيعية ، فإن "إطلاق المنبهات" غالبًا ماكان يعتبر معقداً من الناحية الإدراكية مثل، اللون المميز للبيضة وحجمها، والموضع المحدد للبقعة الحمراء لمنقار الحيوان ، وحتى تتابع الحركات التي تصدر عن حيوان آخر.

ويحترس علماء النفس كمجموعة من أن يعزوا الأنماط السلوكية إلى عمليات أو نزعات محددة وراثيًا ، ومع ذلك فقد استخدم بعض الباحثين فى الماضى هذا الشرح السطحى لتفسير السلوك الذي لم يوثق له التاريخ الوراثى Ontogenetic history والخبرة بشكل كاف . وبمرور الوقت أدى التفاعل المتزايد بين طلاب السلوك الحيوانى وعلماء النفس إلى تقدير أفضل لدور المحددات الوراثية فى السلوك سواء أكان ذلك فى حد ذاتها أم لدورها فى إعداد المسرح الذى يمكن أن تتفاعل فوقه الخبرة والتعلم مع

الوراثة. وتعد بحوث كارمايكل عن تطور السلوك والتحكم الحسى فيه - بشكل ما - إنذاراً أولياً لتغيير الآراء فى مسألة الوراثة والبيئة. وتشهد الطبعتان الأولى والثانية لكتابه دليل علم نفس الطفل Manual of Child Psychology (1954 - 1946)، وطبعة ثالثة (١٩٧٠) حررها بول ميوسن P. Mussen اهتمام كارمايكل الشديد بهذا الموضوع . ولم يكن قادراً تماماً على أن يكرس جهوده لمثل هذه البحوث خلال وجوده في جامعة تفتس ، حيث تشابكت مع الجهود التي بذلها فى الحرب العالمية الثانية ، إذ تحول معمل الدراسة الفيزيولوجية والسيكولوجية للحواس فى جامعة تفتس إلى دراسة المشروعات المرتبطة بالحرب ، وتضمنت هذه المشروعات تطوير طرائق جديدة وتحسينها لدراسة حركات العين وتعب الإبصار ، وقد أثبت التسجيل الإلكترونى - بدلاً من تصوير العين - أنه أكثر ملاءمة لدراسات التعب الناتج عن القراءة لفترة طويلة؛ وتعد هذه النقطة البحثية إحياء لاهتمام قديم من كارمايكل منذ الأيام التى قضاها مع أستاذه ديربورن ، وباستخدام هذه الطريقة فى التسجيل أمكن إضافة التسجيل المتزامن لموجات المخ، والعلامات الكهربية للنشاط العصبى المتذبذب في مناطق مختلفة من المخ فى أثناء القراءة ، وغير ذلك من المهام البصرية. وقام "كارمايكل" منذ وقت مبكر فى جامعة "براون" ، و برادلي هاوس بالاشتراك مع ياسبر H. Jasper بعمل أوائل تسجيلات موجات المخ التى استخدمت جهاز تخطيط المخ كهربياً Electroencephalograph لدى الآدميين والحيوانات، وكان ذلك عملاً رائداً في الولايات المتحدة (Carmichael & Jasper, 1935).

وعندما طلب منه العمل سكرتيراً لمعهد "سميثونيان لم ينقل فقط خبراته الإدارية لتحديث هذا المعهد ، التى شملت إقامة متحف جديد للعلوم والتكنولوجيا، وإنما وجد أيضا فرصة ما لمواصلة اهتمامه بدراسة تطور السلوك ، وأخبر مدير "حديقة حيوان

واشـنـطـن أنـه يـرغـب فـي أن يـكـون موجوداً عندما تحدث ولادة وشيكة لأى نوع حيوانى غريب ، وكـان يجد متـعة بالغة فى مشاهدة ثور التبت الضخم أو الزراف حديث الولادة يتقدم بصعوبة كبيرة ليقف على أقدامه ، حتى يبدى تآزره فى وقت قصير نسبياً، مع أن هذه الأنماط الحركيـة كانت خرقـاء. وأصبح كارمـايكل مـهتمًا بشكل كبير بالدراسـات التطورية للرئيسـات Pri-mates، وقـد شـغل فـعـلاً منصب أول رئيس لجـمـعـيـة الرئيسـات ، وفى وقت لاحق كـان فـخـوراً عندمـا كـان نائبًـا لرئيس الجمعية الجغرافيـة القوميـة بدعمـها للدراسـات الميدانيـة الأصيلة للشمبانزى فى موطنها الأصلى التى بدأتها الباحثة جان جودال Jane Goodall.

وعلى الرغم من أن ليـــونارد كارمايكل كان نشطًا أيضا فى الشئون القومية وفى المجالات العلمية والتربوية ، فـإن هذه السـيـرة أو التـرجـمـة لحـيـاته ركزت على إضافاته إلى تطور السلوك ، وكـانت عـضـويتـه فى المنظمـات ، والوظائف التى شـغلهـا ، والجـوائز ، وأوسـمـة الامـتـيـاز التى حـصـل عليـهـا كثيرة جدًا حتى نحصرها ، وتضمنت ٢٣ من درجات الشرف ، والاستشـهاد به أو الإشـادة بجـدارته الرئاسـيـة ، ومـيـداليـة الخـدمـة العـامـة للأكـاديمية القـومـيـة للعلوم ، وأوسـمـة الجـدارة والاسـتـحـقـاق التي حـصـل عليـهـا من أربعة بلاد أجنبية ، والزمالة ، والوصاية ، وعدد كبير من المسئوليات والواجبات المـتـازة ، وقـد أشـارت إليـه درجـة الشـرف الفخرية الممنوحة له من جامعة هارفـارد بأنه : " عـالم نفس جمـع بين الامتياز في علمه والنجاح في إدارته".

المؤلف: Carl Pfaffman

المترجم: أحمد عبد الخالق

Works by Carmichael

WORKS BY CARMICHAEL

1925*a* Heredity and Environment: Are They Antithetical? *Journal of Abnormal and Social Psychology* 20:245–260.

1925*b* The Report of a Sheldon Fellow. *Harvard Alumni Bulletin* 27, no. 37:1087–1089.

1926 The Development of Behavior in Vertebrates Experimentally Removed From the Influence of External Stimulation. *Psychological Review* 33:51–58.

1927 A Further Study of the Development of Behavior in Vertebrates Experimentally Removed From the Influence of External Stimulation. *Psychological Review* 34:34–47.

1928 A Further Experimental Study of the Development of Behavior. *Psychological Review* 35:253–269.

1934 An Experimental Study in the Prenatal Guinea-pig of the Origin and Development of Reflexes and Patterns of Behavior in Relation to the Stimulation of Specific Receptor Areas During the Period of Active Fetal Life. *Genetic Psychology Monographs* 16:337–491.

1935 CARMICHAEL, LEONARD; and JASPER, H. H. Electrical Potentials From the Intact Human Brain. *Science* 81:51–53.

1941 The Experimental Embryology of Mind. *Psychological Bulletin* 38:1–28.

(1946) 1970 The Onset and Early Development of Behavior. Volume 1, pages 447–563 in *Manual of Child Psychology*. Edited by Paul H. Mussen. 3d ed. New York: Wiley.

(1947) 1972 CARMICHAEL, LEONARD; and DEARBORN, WALTER F. *Reading and Visual Fatigue*. Westport, Conn.: Greenwood.

1967 Autobiography. Volume 5, pages 27–56 in *A History of Psychology in Autobiography*. Edited by E. G. Boring and Gardner Lindzey. New York: Appleton.

1968 Bell, Charles. Volume 2, pages 47–48 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1972 Man and Animal: A New Understanding. Pages 9–16 in Thomas B. Allen (editor), *The Marvels of Animal Behavior*. Washington: National Geographic Society.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

COGHILL, G. E. 1929 *Anatomy and the Problem of Behavior*. Cambridge Univ. Press; New York: Macmillan.

McCOLLOM, IVAN N. 1973 Psychological Classics: Older Journal Articles Frequently Cited Today. *American Psychologist* 28:363–365.

MEAD, LEONARD C. 1974 Leonard Carmichael: 1898–1973. *American Journal of Psychology* 87:517–525.

WARREN, HOWARD C. 1919 *Human Psychology*. Boston: Houghton Mifflin.

كانتريل . هادلى

CANTRIL , Hadley

هادلى كانتريل (١٩٠٦ -١٩٦٩) عالم نفس اجتماعى حصل على درجة البكالوريوس عام ١٩٢٨، من كلية دارتموث ، وبعد عامين من الدراسة بجامعات ميونخ وبرلين (١٩٢٩ - ١٩٣٠) حصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٣١، ثم على دكتوراه أخرى من جامعة واشنطن - لى Washington - Lee عام ١٩٤٩ . وحين وفاته كان قد كرّس كل جهوده لتطبيق العلوم الاجتماعية على أعلى مستويات صنع السياسة العامة للحكومة ، ومع ذلك فإن التزامه الشخصى لتحسين المجتمع واعتقاده فى الدور الاجتماعى للعلم وإيمانه فى العملية الديمقراطية جعلت هذه الجهود قمة وذروة ذلك الالتزام طيلة حياته ، فمن بين كتبه التسعة عشر المنشورة كتب عشرة منها خلال خمسة وعشرين عاما، وكانت كلها مخصصة لتلك القضية . وقد اعتمد فى أعماله المبكرة على بيانات استطلاع الرأى العام ، بينما كانت كتبه المتأخرة التى تعتمد أيضًا على البحث الإمبيريقى تستند على المفاهيم والتصورات السيكولوچية كنتيجة لتطويره المدخل التعاملى transactional على السلوك الإنسانى ، وهذا المشروع الأخير مسئول عن النصف الباقى من إنتاجه العلمى .

وقد بزغت مكانة كانتريل ووضعه فى علم النفس والعلوم الاجتماعية من اهتمامه بالتفاعل بين هذين المجالين المتصلين ببعضهما . فقد كان يعتقد أن العلم الاجتماعى لن تكون له قيمة إلا إذا أمكنه أن يؤدى إلى تحسين حياة الناس ، كما كان مرتبطًا بقضية أن هذا الهدف يمكن تحقيقه فقط عن طريق علم اجتماعى سليم من الناحيتين النظرية والإمبيريقية .

كان كانتريل يعتقد أن "تحليل المشكلات العاجلة والماسة باتباع أى منهج متاح أهم بكثير من دراسة المسائل السطحية التافهة باتباع المنهج

العلمى الصارم (١٩٦٧b , p.93)

وخلال حياته المهنية كان يتنقل باستمرار بين العلم الاجتماعى التطبيقى والنظرى إذ كان يرى أن هذين الاتجاهين لايؤلفان مجالين منفصلين ، وإنما هما مظهران لعملية موحّدة، كما كان يقف موقف المعارضة من الفصل التقليدى بين المدخل الأساسى والمدخل التطبيقى وبين النظرية والممارسة وبين المنهج والمحتوى أو المضمون .

ولم يحدث أبدًا أن ضحّى كانتريل فى أى وقت من الأوقات بأى اهتمام من اهتماماته لصالح اهتمام آخر على الرغم من أنه كانت هناك فترات فى حياته المهنية تتميز بالتوكيد على موضوعات معينة بالذات . ففى الفترة من ١٩٣٢ و١٩٤٦ مثلاً ، كانت معظم جهوده - بما فى ذلك إعداد رسالته عام ١٩٣٢ - موجهة نحو إمكانات تطوير أساليب استطلاع الرأى، وبخاصة فى مجال السياسة العامة . وفى الأعوام بين ١٩٤٦ و١٩٥٥ كان يركز على تطوير المنظورالتبادلى فى علم النفس، بينما كرّس الأعوام الأربعة عشر الأخيرة من حياته لربط synthesizing إجراءات استطلاع الرأى والتفكير التعاملى فى مدخل شامل لدراسة الحقائق السياسية والاجتماعية على مستوى العالم .

فى عام ١٩٣٥، التحق بجامعة برنستون حيث أمضى أربعة وثلاثين عامًا أصبح خلالها شخصية مرموقة فى إجراء استطلاعات الرأى باعتباره عملاً علميا مؤيدًا للقوة الهائلة. وكان رائدًا فى تدريس بحوث الرأى العام لكونه متخصصًا أكاديميًا، وشارك فى تأسيس مكتب الرأى العام فى عام ١٩٤٠، ثم نشر بعد ذلك بأربعة أعوام كتابه عن Gauging Public Opinion (١٩٤٤). وفى سنوات ما قبل الحرب وأثناء الحرب نفسها عمل مستشارًا للحكومة فى مجال الدعاية ومشكلات السياسة العامة عن طريق تفسير بيانات استطلاع الرأى، ويقول فى ذلك : " خلال كل أنشطتى فى واشنطن

حـــاولت أن أتجنب الظهـــورالعلنى (١٩٦٧a,vii) وقد ظلت معظم أنشطته فى مجال السياسة العامة للحكومة فى تلك الفترة وبعدها مجهولة حتى ظهور سيرة حياته (شبه المعتمدة) تحت عنوان البعد الإنسانى The Human Dimension عام ١٩٦٧ .

خلال تلك الفترة ذاتها نشر كانتريل مجموعة من الدراسات فى علم النفس الاجتماعى أهمها : كتاب : الغزو من المريخ The Invasion from Mars الذى صدر عام ١٩٤٠ وكتاب سيكولوچيا الحركات الاجتماعية Psychology of Social Movements (1941) وكـــتـــاب سيكولوچيا التزامات الأنا The Psychology of Ego-Involvements (Sherif & Cantril 1947) . وعلى الرغم من أن اهتمامه بالنظرية السيكولوچية يبدو واضحًا فى كل هذه الكتب، فإنه لم يعثر على الطريق الصحيح إلى التفكير فى العمليات السيكولوچية إلا بعد أن ربط اهتمامه بأعمال چورچ هربرت ميد وأعمال ألبرت إيمز الابن .Albert Ames Jr الذى قابله عام ١٩٤٠ ، وتعبر تلك العملية السيكولوچية عن وجهة النظر التعاملية التى كان إيمز قد طوّرها عن طريق ربط بحوثه عن الإدراك الحسى بنظريات چون ديوى . وقد قام كانتريل بتعديل ذلك المنظور لكى يتوافق مع متطلبات العلم الاجتماعى مؤكدًا "أننا لا نتسوف ضد البيئة التى تحيط بنا...ولكنا...نتبادل الفعل مع بيئة تقوم نحن فيها بدور الوسيط الفعال" (١٩٦٧ a p.17). وقد عكف كانتريل لعدة سنوات على تطوير هذا الموقف إلى مدخل شامل لعلم النفس بدأ ظهوره لأول مرة فى كتابه "Why" of Man's Experience (1950b). وكان لايزال عاكفًا على تطويره فى ضوء علم الأعصاب والفسيولوچيا عند وفاته .

ولقد ظل انشغال كانتريل بعلم نفس دولى قائمًا خلال تلك الفترة وعبر عن ذلك الانشغال فى كتابه : التوترات التى

تسبب الحروب Tensions That Cause Wars الصادر عام ١٩٥٠ وكذلك في كتاب : كيف تنظر الأمم بعضها إلى بعض How Nations See Each Other (Cantril & Buchanan 1953). وفي عام ١٩٥٥ قام بتأسيس "معهد البحوث الاجتماعية الدولية" ووقف عليه كل نشاطه فيما بعد . وكان كانتريل يعتقد في ذلك الحين أن لديه الأدوات المنهجية والأطر النظرية التي تسمح له بإضافة إسهامات مهمة تساعد في تحقيق التفاهم الدولي، وهو مشروع طموح عرضه في سلسلة من التقارير المنشورة وغير المنشورة . ورغم تفاؤله الدائم فإنه أصيب في أواخر حياته بخيبة أمل إزاء تراخي الأوساط الحكومية والسياسية في قبول العلم الاجتماعي .

انشغاله بسعادة الفرد، واعتقاده في القدرات الفريدة المتوفرة لدى كل أفراد الجنس البشرى . فقد كان الشرط الإنسانى بالنسبة إليه ينعكس ويظهر بأجلى صوره فى شعور الإنسان الفرد ، وكان أول مقال نشره دراسة للعواطف والوجدانات (١٩٣٢) ، كما كان آخر مقال هام له بعنوان" أنا أشعر فأنا موجود" Sentio, Ergo Sum، وهو مقال أكد اعتقاده بأن " الوجود يمكن فهمه بطريقة أفضل من خلال الوعي بالشعور أكثر من أى تفكير عقلانى (b , p.94١٩٦٧)، وقد يمكن أن نعتبرالسنوات الخمس والثلاثين التى تفصل بين المقالين محاولة لتركيب وتنظيم ذلك الموقف وتطبيقه لصالح الإنسان .

والواقع أن اهتمام كانتريل الذى لازمه طيلة حياته بقيام نظرية سيكولوجية على نطاق واسع وبالعلاقات الاجتماعية على مستوى كوكب الأرض ترجع جذوره إلى

وقد يكون من المبكر أن نحكم على مدى نجاح تلك الجهود . فكثيراً ماكان كانتريل يتعرض أثناء حياته للهجوم بل كثيراً ماكان يتجاهله أتباع العلم الاجتماعى التقليدى ، ولكن تأثيره

الفـعـال كـان يقـع فى المحل الأول على تلاميذه وعلى المتخصصين من الجيل التالى الذين كانوا يبحثون عن أساليب جديدة للتفكير ، والذين كان كانتريل يمنحهم دائمًا الوقت الكافى مع عبارات التشجيع ، وقد كان مغرمًا بالاقتباس من أينشتاين لدرجة أنه قد يكون من العبث أن نحاول إقناع الآخرين – ويصدق – أنه كان يعمل إلى حد كبير خارج تيار علم النفس الأمريكى ، وعلى أية حال فإن علم النفس أخذ يقترب بشكل متزايد من تفكيره أكثر من اقترابه لآراء منتقديه. ففكرة التعاملية أصبحت شائعة ومألوفة فى أدبيات العلم الاجتماعى، وإن كان قليلون جدًا هم الذين يعترفون بالرواد الحقيقيين لتلك الفكرة ومبدعيها أو يعترفون بأن كانتريل توقع – قبل عام ١٩٥٠ – قيام التيارات الفكرية التى سادت فى علم النفس فى أواخر القرن العشرين .

المؤلف : William H. Ittelson

المترجم : أحمد أبو زيد

Works By Cantril

WORKS BY CANTRIL

1932 *General and Specific Attitudes,* Psychological Monographs, Vol. 42: Whole no. 192.

1932 CANTRIL, HADLEY; and HUNT, WILLIAM A. Emotional Effects Produced by the Injection of Adrenalin. *American Journal of Psychology* 44:300–307.

(1935) 1971 ALLPORT, GORDON W.; and CANTRIL, HADLEY *The Psychology of Radio.* New York: Arno.

1940 *The Invasion From Mars: A Study in the Psychology of Panic.* Princeton Univ. Press. → A paperback edition was published by Harper in 1966.

1941 *The Psychology of Social Movements.* New York: Wiley; London: Chapman & Hall. → A paperback edition was published by Krieger in 1973.

(1944) 1947 CANTRIL, HADLEY (editor) *Gauging Public Opinion.* Princeton Univ. Press.

1947 *Understanding Man's Social Behavior: Preliminary Notes.* Princeton, N.J.: Office of Public Opinion Research.

1947 SHERIF, MUZAFER; and CANTRIL, HADLEY *The Psychology of Ego-involvements: Social Attitudes and Identifications.* New York: Wiley. → A paperback edition was published in 1966.

1950*a* CANTRIL, HADLEY (editor) *Tensions That Cause Wars: Common Statements and Individual Papers by a Group of Social Scientists Brought Together by UNESCO.* Urbana: Univ. of Illinois Press.

1950*b* *The "Why" of Man's Experience.* New York: Macmillan.

1951 CANTRIL, HADLEY (editor) *Public Opinion 1935–1946.* Princeton Univ. Press.

(1953) 1972 CANTRIL, HADLEY; and BUCHANAN, WILLIAM *How Nations See Each Other: A Study in Public Opinion.* Westport, Conn.: Greenwood.

1958 *The Politics of Despair.* New York: Basic Books.

→ A paperback edition was published by Collier in 1962.

1960 *Soviet Leaders and Mastery Over Man.* New Brunswick, N.J.: Rutgers Univ. Press.

1960 CANTRIL, HADLEY; and BUMSTEAD, CHARLES H. *Reflections on the Human Venture.* New York Univ. Press.

1961 *Human Nature and Political Systems.* New Brunswick, N.J.: Rutgers Univ. Press.
1966 *The Pattern of Human Concerns.* New Brunswick, N.J.: Rutgers Univ. Press.
1967*a* *The Human Dimension: Experiences in Policy Research.* New Brunswick, N.J.: Rutgers Univ. Press.
1967*b* Sentio, Ergo Sum: "Motivation" Reconsidered. *Journal of Psychology* 65:91–107.
1967 CANTRIL, HADLEY; and FREE, LLOYD A. *The Political Beliefs of Americans: A Study of Public Opinion.* New Brunswick, N.J.: Rutgers Univ. Press. → A paperback edition was published by Simon & Schuster in 1968.

كريخ . ديفيد

KRECH , David

ولد ديفيد كريخ عام ١٩٠٩، وكان اسمه الأصلي إيزادور كريخيفسكى، وفى عام ١٩١٣، انتقلت أسرته من روسيا إلى نيو إنجلند، حيث تلقى تعليمه الأساسى، وقد أدى تعليمه إلى تنمية مجموعة من القيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية الراسخة التى أثرت لاحقًا فى حياته الشخصية والمهنية. التحق كريخ بجامعة نيويورك، حيث تجلى اهتمامه بعلم النفس، وذلك جزئياً؛ نظراً لتأثير ت.سى. شنيرلا T.C. Schneirla. ومع قرب انتهاء دراسته في مرحلة الليسانس قرأ كريخ كتاب كارل س. لاشلى آليات المخ والذكاء Brain Mechanisms and Intelligence (1929) الذى كان قد صدر لتوه، وقد أثر فيه هذا بقدر جعله يجرى سلسلة من التجارب التى أثبتت وجود "الفرضيات" لدى الجرذان، وبعد إتمامه لرسالة الماجستير (١٩٣١) فى جامعة نيويورك، التحق بجامعة كاليفورنيا في بيركلى عام ١٩٣١، وقام بدراسة ادوارد سى. تولمان Edward C. Tolman، والذى كان يعمل على الانتهاء من مسودته الأخيرة لكتابه السلوك الهادف فى الحيوانات والإنسان Purposive Behavior in Animals and Men (1932)، وفى هذه الأثناء كان روبرت ترايون Robert Tryon يقدم تجاربه الكلاسيكية عن الجرذان التى تم تربيتها لعبور المتاهات، وقد أثر إصرار "تولمان" على أفضل سبل لفهم السلوك تتمثل فى اعتباره ديناميكيًا وهادفًا (حتى وإن تم تطبيقه على جرذان المعمل)، وكذلك اهتمام ترايون بأهمية الفروق الفردية فى حياة "كريخ" العملية اللاحقة.

وفى أعقاب انتهائه من رسالة الدكتوراه عام ١٩٣٣، أمضى كريخ أربع سنوات مع لاشلى Lashley فى جامعة شيكاغو، بصحبة أفذاذ مثل : روبرت ليبر، ودونالد هيب، وفرانك

بيتش. ونظراً لوعيه السياسى المتزايد أصبح أحد المنظمين لجمعية الدراسة النفسية للقضايا الاجتماعية ، ثم قام لفترة وجيزة بالتدريس فى كلية -Swarth more، حيث تأثر بڤولفجانج كوهلر.

فى عام ١٩٤٢، تم تجنيد كريخ فى الجيش الأمريكى، و تكليفه بمركز تقييم مكتب الخدمات الاستراتيجية تحت رعاية هنرى أ. مورى ، وخلال هذه الفترة تزوج من هيلدا سيدنى جرونبرج، وبدل اسمه ليصبح ديڤيد كريخ . وعاد كريخ إلى كلية Swarthmore فى أعقاب الحرب حيث عمل كأخصائى نفسى اجتماعى، واشترك مع ريتشارد كرتشفيلدRichard Crutchfield فى تأليف كتاب نظرية علم النفس الاجتماعى ومشكلاته Theory and Problems of Social Psychology (1948)، وفى عام ١٩٤٧، التحق بهيئة التدريس فى بيركلى، حيث ظل حتى تقاعده المبكر عام ١٩٧٢،بل حتى وفاته عام ١٩٧٧، وقد حصل كريخ فى عام ١٩٧٠، على أحد أرفع الأوسمة التى تمنحها جمعية علم النفس الأمريكية ، ألا وهو جائزة الإسهامات العلمية المتميزة.

وكانت إسهامات كريخ المهنية متعددة الجوانب. فقد بدأ بالبحث عن مبادئ التعلم لدى الجرذان، وتلت هذا البحث مرحلة مكثفة اهتم كريخ أثناءها بعلم النفس الاجتماعى، والنشاط السياسى، وتطبيق مبادئ علم نفس الجشتالت فى فهم السلوك. وأخيراً، قام بالتركيز على المسائل البيولوچية وقام بتطوير برنامج بحثى يعتمد على العلاقات بين كيمياء المخ والسلوك، واقترن هذا البحث الأخير باهتمام بالغ بالتداعيات الأخلاقية " للسيطرة على العقل " من خلال التدخلات الكيميائية.

هناك أربعة خيوط كبرى تربط بين المراحل الثلاث لتطور كريخ وهى : أولاً– اهتمامه الشديد بالاختلافات الفردية، فبدلاً من توصيف السلوك طبقاً

للتوجهات الجماعية قام بتحليل أداء كل حيوان تعامل مع "صندوق الفرضية" – وهو متاهة لا يمكن حلها – على حدة من التفصيل، ومن ثم تمكن من اكتشاف الاستراتيچيات التي يلجأ إليها كل حيوان فى محاولة لحل المتاهة وتصنيفها، ثم انتقل من هذا المستوى إلى مستوى صياغة مخطط إجمالى يربط أساليب السلوك بالعوامل الچينية والتبادلات في النظام العصبى. وقد قام فى أعماله اللاحقة عن كيمياء المخ بتبنى هذا المنهج مرة أخرى ليتمكن من الربط بين كيمياء المخ وفرضيات الجرذان.

ثانيا – إصراره على أولوية الاهتمامات النظرية العريضة، فقد أدرك أن فائدة البيانات ترتبط بفائدة المخططات التى يمكن تصنيفها بها، بل سخر من العلماء الذين اهتموا بشكل أساسى بعملية جمع الحقائق التجريبية – وأطلق عليهم اسم "جامعى الحصى"، وقد أكد في جميع كتاباته وأبحاثه وتدريسه على تأثير بيانات بعينها على التصورات الأوسع للأهمية السلوكية.

ثالثا – اعتقاده الراسخ فى أن الاهتمامات السلوكية الكلية يمكن فهمها من خلال الاختزال الجزيئى. وكان يعتقد أنه كلما صغرت وحدة التحليل، زادت إمكانية تعميم النتائج. وأدت هذه القناعة إلى دراساته المبكرة لسلوك سلالات الجرذان المنتقاة ولآثار الإصابات المخية brain lesions على طبيعة الفرضيات، ولآثار الخبرة على التكوين الهيكلى والكيميائى للأجزاء المختلفة من المخ.

وأخيراً، حافظ كريخ على التزام قاطع لوجهات النظر الأساسية لعلم نفس الجشتالت ، فقد تقبل تأكيد الجشتالت على الوحدة المنظمة للسلوك ومقاومة محاولات لتجزئة هذه الوحدة إلى

جـزيئـات ثابتـة، بل إن دراسـاته الفسيولوجية للمخ والسلوك كان لها هى أيضا توجه كلّى يحترم التعقيد المتأصل للسلوك.

ويمكن تصنيف إسهامات "كريخ" لعلم النفس إلى أربعة مجالات: المجال الأول - هو اهتمامه بالنظرية ، فقد رفض المفاهيم السلوكية التقليدية لكل من چون ب. واطسون، وإ.ل. ثورندايك، وكلارك ل. هول، والتى تشير إلى أن الكائن الحى يواجه مشكلة ما من خلال مجموعة استجابات عشوائية لا شكل لها من الاستجابات التي يتم صياغتها إلى مجموعة ناجحة من العادات من خلال المكافأة والعقاب فى ضوء نظرية المحاولة والخطأ، وقد أوضح كريخ أن الجرذان حاولت الحلول المنظمة للمشكلات، فرفضت واحدًا تلو الآخر إلى أن وصلت للاستجابة الصحيحة ، فالخبرة السابقة والإرث البيولوجي أثرا في طبيعة الحلول المقترحة، وقد أثارت وجهة النظر هذه للتعلم باعتبارها عملية غير مستمرة قدراً كبيراً من الجدل (وبخاصة مع كينيث و. سبنس من جامعة أيوا) ،كما أثارت الكثير من الأبحاث المثمرة.

والمجال الثانى - قدم فيه كريخ إسهامات كبرى لحقل علم النفس الاجتماعى، بما فى ذلك الكتاب الدراسى الذي قام بتأليفه مع كرتشفيلد (١٩٤٨) ونشاطه السياسى. وقد ساعد التوجه النظرى للنص، مع تأكيده على علم الظواهر والتنظيم المعرفى، على توحيد المادة ونظرية ما ظل إلى ذلك الحين حقلاً متجزئًا. فبالإضافة إلى توفير إطار علمى لعلم النفس الاجتماعى، فقد جادل المؤلفان بأن السلامة النظرية لعلم النفس الاجتماعي تمتاز أيضاً بالصحة العملية والفائدة الفورية. وتحقيقًا لهذا الهدف، قام الاثنان بتقديم معالجات مكثفة لتقنيات القياس، وأساليب مسح الرأى العام، ومشكلات

العينات، وبرامج العمل التي صممت لتقليل الصراع الصناعي، والتحامل العنصرى، والتوترات الدولية.

وتراوح انخراطه السياسى من عضوية مبكرة في المنظمات الاشتراكية إلى دور قيادى فى تنظيم جمعية الدراسة النفسية للقضايا الاجتماعية، التى أصبحت الآن قسماً رسمياً من أقسام جمعية علم النفس الأمريكية، كما أنه شهد ضد المذهب المنفصل وإن كان مساويًا في دعوى قضائية عام ١٩٥١، رفعتها الهيئة القومية لتقدم الملونين بالنيابة عن أهالى أطفال سود فى كلاريندون كاونتى، بجنوب كارولينا، وكانت هذه هى المرة الأولى التى تسمح فيها محكمة فيدرالية لعلماء نفس اجتماعيين بالإدلاء بشهادتهم باعتبارهم شهوداً خبراء.

أما المجال الثالث - وهو الذى كرس له كريخ الجانب الأكبر من العقدين الأخيرين من حياته، فكان العلاقة بين كيمياء المخ والسلوك. وبدأ هذا العمل بتشجيع منه؛ فشرع فريق بحث يتكون من" كريخ "وعالم الكيمياء الحيوية إ.ل. عالم الكيمياء الحيوية ميلڤين كالڤين"، بينيت، وعالم النفس الفسيولوچى م.ر. روزنتسفايج بدراسة آثار الخبرة على تشريح مخ الجرذ وكيميائه. وانضم إليهم فيما بعد عالم تشريح عمليات تغير الاتجاه لحلقة دراسية للدراسات العليا، كما كان معلماً رائعاً لعلم النفس المتقدم، ومحاضراً ملهماً فى تدريس المقدمة إلى علم النفس. ويشهد ثلاثة من أهم كتبه الدراسية على تكرسه للتعليم، وهى: كتاب نظرية علم النفس الاجتماعي ومشكلاته الذى سبق ذكره، وكتاب تمهيدي عن علم النفس بعنوان عناصر علم النفس Elements of Psychology (Krech & Crutchfield 1958)، و مقدمة فى الحزمة الإحصائية" (Hodges, Krech & Crutchfield 1975)، وانصب اهتمام كريخ على جودة التعليم

وجودة الحياة الأكاديمية فى الجامعة، فقام بدور فعال فى مساعدة الجامعة على اتخاذ مسار عقلانى لتجاوز الاضطرابات الاجتماعية التي اجتاحت بيركلى في الستينيات من القرن العشرين.

المؤلف: Lewis Petrinovich

المترجمة : مايسة النيال

WORKS BY KRECH

WORKS BY KRECH

1932 "Hypotheses" in Rats. *Psychological Review* 39: 516–532.

1935 Brain Mechanisms and "Hypotheses." *Journal of Comparative Psychology* 19:425–462.

1948) 1962 KRECH, DAVID; and CRUTCHFIELD, RICHARD S. *Individual in Society: A Textbook of Social Psychology*. New York: McGraw-Hill. → First published as *Theory and Problems of Social Psychology*.

1950 Dynamic Systems as Open Neurological Systems. *Psychological Review* 57:345–361.

.954 KRECH, DAVID et al. Enzyme Concentrations in Brain and Adjustive Behavior-patterns. *Science* 120:994–996.

1958 KRECH, DAVID; and CRUTCHFIELD, RICHARD S. *Elements of Psychology*. New York: Knopf.

1960 KRECH, DAVID et al. Effects of Environmental Complexity and Training on Brain Chemistry. *Journal of Comparative and Physiological Psychology* 53:509–519.

1968 Tolman, Edward C. Volume 16, pages 95–98 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1969 Does Behavior Really Need a Brain? Pages 1–11 in Robert B. MacLeod (editor), *William James: Unfinished Business*. Washington: American Psychological Association.

1974 Autobiography. Volume 6, pages 219–250 in *A History of Psychology in Autobiography*. Edited by Gardner Lindzey. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

1975 HODGES, J. L., JR.; KRECH, DAVID; and CRUTCHFIELD, RICHARD S. *Statlab*. New York: McGraw-Hill.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

LASHLEY, KARL S. 1929 *Brain Mechanisms and Intelligence: A Quantitative Study of Injuries to the Brain.* Univ. of Chicago Press.

TOLMAN, EDWARD C. (1932) 1951 *Purposive Behavior in Animals and Men.* Los Angeles: Univ. of California Press.

كلاينبرج ، أوتو .

KLINEBERG , Otto .

ولد أوتو كـلاينبـرج عـام ١٨٩٩ وذاعت شـهـرته على أنه عـالم نفس أمريكى ؛ بسبب إسهاماته العديدة فى ذلك المجال خلال الأعوام السبعة والثلاثين التى عاشها فى الولايات المتحدة ، أولا بصفته عضوًا فى قسم علم النفس فى جامعة كولومبيا ، ثم بعد ذلك أول رئيس لقسم مستقل لعلم النفس الاجتماعى ، ولكن يمكن فى الوقت ذاته ، وعلى قدم المساواة ، اعتباره عالم نفس كنديًا؛ نظرًا لأن مولده كان بمدينة كيبيك Quebec ولأنه أتم دراسته الجامعية الأولى بجامعة ماكجيل، حيث حصل منها على البكالوريوس عام ١٩١٩، كما يحق له أن يعتبر نفسه طبيبًا لأنه أكمل دراسته للدكتوراه فى الطب بجامعة ماكجيل عام ١٩٢٥، أى قبل أن يحصل على دكتوراه الفلسفة من كولومبيا بعامين ، بل إن من حقه أيضا أن نعتبره عالما أنثروبولوچيًا لأنه تتلمذ أولاً على يد فرانز بواس Franz Boas ثم أصبح باحثًا مشاركًا معه فى قسم الأنثروبولوچيا فى الفترة ١٩٢٩ - ١٩٣١ ، وقد أجرى أول بحوثه الميدانية على أطفال قبائل ياكيما Yakima فى أحد معازل الهنود الحمر فى الشمال الغربى من الولايات المتحدة ، ثم جاءت بعد ذلك الدراسة التى أجراها على تلاميذ من سبع وثلاثين قبيلة من قبائل الهنود فى معهد هاسكل Haskell Institute بولاية كنساس عام ١٩٢٦ - ١٩٢٧ ، وتبعتها دراسته فى قبيلة هتشول الهندية Hutchol Indians فى المكسيك بناء على طلب روث بنديكت (1974.p. 179).

وقد وصف كلاينبرج فى عام ١٩٧٣، نفسه بأنه "عالم نفس دولى من أصل كندى"، وهو وصف دقيق جدًا للمسار العالمى لحياته المهنية ابتداءً من بحوثه عام ١٩٢٧ - ١٩٢٩، فى إيطاليا

وفرنسا وألمانيا بمنحة من مجلس البحث الوطنى National Research Council، وفى الفترة من ١٩٣٥ - ١٩٣٦ ببحوثه فى الصين بمنحة من جوجنهايم Guggenheim وعمله فى الفترة من ١٩٤٥ - ١٩٤٧ فى البرازيل بجامعة ساو باولو كأول أستاذ لعلم النفس ، ثم بحوثه فى الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ومن ١٩٥٣ - ١٩٥٥ فى باريس كمدير لعدد من المشروعات والأنشطة البحثية لمنظمة اليونسكو ، وحين تقاعد عن العمل فى جامعة كولومبيا عام ١٩٦٢ أصبح أستاذًا زائرًا لعلم النفس الاجتماعى بجامعة باريس - السوربون - حيث شغل منذ عام ١٩٧٩، كرسى علم نفس الجماعات العرقية إلى جانب رئاسته للمركز الدولى لدراسة العلاقات بين الجماعات International Center of Intergroup Relations . وقد ظل لعدة سنوات يسافر شهريًا من باريس إلى روما بصفته محاضرًا زائرًا فى العلاقات بين الجماعات فى جامعة Unversita Internationale degli Studi Pro Deo (وقد تحولت عام ١٩٧٧ إلى "الجامعة الدولية للدراسات الاجتماعية " - المترجم) .

ولقد كان لتدريبه فى عدد من التخصصات المختلفة ولحياته فى عدد من الثقافات أثر واضح فى نوعية موضوعات عمله ، ولكن هذا لايعنى أن أعماله كانت تصدر عن أية نظرية فجة عن الحتمية الجغرافية نتيجة ولادته ونشأته فى ثقافتين أو حسن حظه فى أن تتاح له فرص عديدة للسفر حول العالم أو حضور محاضرات فرانز بواس وإدوارد سابير وفلويد أولبورت Floyd Allport وروبرت وودورث Robert S. Woodworth واستطاعته أن يحصد ببساطة فوائد ذلك الحظ الحسن ، فقد حضر كثيرون غيره تلك المحاضرات فى قاعات الدرس نفسها ، كما أتيح للكثيرين غيره أيضا فرصة السفر حول العالم أكثر من مرة ؛ لكنهم لم يعودوا قط إلى محراب العلم .

ومع أن كلاينبرج كان يؤمن بأن الحظ لعب دورًا كبيرًا فى حياته المهنية، فإنه كان يعرف كيف يستغل الفرص

المتاحة على أكمل وجه ، فحين تخرج فى جامعة ماكجيل بدرجة الشرف الأولى مع منحه ميدالية أمير ويلز الذهبية ؛ سعى للحصول على منحة للدراسة بجامعة هارڤارد التى نال منها الماچستير عام ١٩٢٠، ومع أنه كان يخطط للدراسة للدكتوراه ثم يلتحق بوظيفة أكاديمية فى علم النفس فى كندا فإن أساتذته السابقين لم يشجعوه على ذلك نظرًا لعدم وجود فرص للعمل حينذاك فى ذلك المجال، وأشاروا عليه أن يحصل بدلاً من ذلك على درجة علمية مهنية؛ فقرر أن يدرس العلاج النفسى بمدرسة الطب فى جامعة ماكجيل . ولكن عند تخرجه طبيبًا أدرك تمامًا أنه على الرغم من ندرة الوظائف فإنه كان يرغب فعلاً فى تدريس علم النفس؛ فالتحق بدون تردد بقسم علم النفس بجامعة كولومبيا للحصول على الدكتوراه . وقد حضر أثناء ذلك بعض مقررات الأنثروبولوچيا التى كان يقدمها سابير وبواس؛ فانخرط بكل جهده فى هذا التخصص مثلما فعل تمامًا مع علم النفس .

دراسات الاختلافات السلالية :

فى عام ١٩٢٠ بدأ كلاينبرج عمله فى مجال السلالات واستمر فى ذلك طيلة حياته ، بحيث اكتسب فى ذلك شهرة واسعة مستحقة ، وقد توصل من دراساته الخاصة وعروضه الشاملة للمعلومات إلى أن " البحث السيكولوچى لايبرر الاعتقاد بالترتيب الهرمى للقدرات بين السلالات المختلفة " (1974.p. 167). والواقع أن دراسته للسلالات بدأت عن طريق المصادفة البحتة ، فقد طُلب إليه أن يرافق أحد طلاب الدراسات العليا فى الأنثروبولوچيا فى رحلته إلى الساحل الشمالى الغربى لإجراء بحوثه بين هنود تلك المنطقة . وحين أبدى كلاينبرج اهتمامه بإجراء بعض البحوث هناك وطلب تمويل بحثه وافق وودويرث على توفير مبلغ صغير شريطة أن تكون المادة التى يجمعها هى أساس رسالته للدكتوراه وقبل كلاينبرج ذلك الشرط وبذلك تحول تركيزه إلى السلالات (ibid. pp. 166 - 167) ،

وكان التمويل والرحلة (المجانية) إلى معزل ياكيما فى ولاية واشنطن مصدر ذلك العمل . وقد بدأ كلاينبرج بإجراء اختبارات استعراضية للذكاء على مجموعة تم اختيارها عشوائيًا من أطفال الهنود والأطفال البيض الذين كانوا يعيشون فى بلدة توبنيش Toppenish فى وسط المعزل ويدرسون فى نفس المدرسة ، وتوصل البحث إلى نتيجة غير متوقعة إذ تبين أن جميع الأطفال الهنود كانو أبطأ فى إنجاز المهام المطلوبة منهم من الأطفال البيض ولكن أخطاءهم كانت أقل (pp.27 - 31 1928)، مما جعله يركز على دراسة عامل السرعة فى المقارنة بين الجماعات ، وربما كان هناك من الدارسين الآخرين - الأقل دقة وحساسية لدور الثقافة - من أهمل تلك الحقيقة ، وقد بين فيما بعد فى كتابه Race Differences (1955b) أن عددًا كبيرًا من اختبارات الذكاء التى تعتمد إلى حد ما على عامل السرعة ومستوى الإنجاز تتأثر بسرعة الإجابة عن الأسئلة فقط، مما يؤدى إلى الحكم غير المبرر بالتدنى السلالى فى الذكاء لدى الجماعات التى لا تهتم ثقافاتها بالتدريب على السرعة ، ولذا يتم الحكم عليها بطريقة غير عادلة نتيجة لتلك الاختبارات .

والواقع أن إجراء الاختبارات على الأطفال البيض والهنود كانت تتلاءم تمامًا مع أنماط الثقافتين ، ومع تضارب الحياة الأمريكية والاختلاف بين قيم المثل الشعبى الأمريكى عن أن الفوز للأسرع من ناحية والتصور الهندى عن التفكير قبل الفعل من الناحية الأخرى ، إلا أن كلاينبرج لم يشيد قضيته على أساس المطابقة فقط، وإنما كان يختبر بدقة وعناية إمكانية أن يكون أصل اختلاف الوقع أو السرعة سلاليًا وليس ثقافيًا أو أن مرجعه إلى الاختلاف السلالى وليس الاختلاف الثقافى ، وكان باستطاعته - باعتباره طبيبًا - أن يحلل بكفاءة الأدبيات حول اختلافات الجماعات فى ميتابوليزم قاعدية وغيرها

من العمليات الفيزيولوچية وأن ينتهى إلى أن العوامل البيئية أيضا لها تأثير بالغ على نفس وقع الجسم ، وكان مدخل كلاينبرج المباشر لدراسة سبب الاختلافات هو خطة بحث تعنى بدلالة مجموعات من سلالة واحدة ولكنها تعيش فى بيئات متباينة وإخضاعها للاختبار والمقارنة ، وقد وجد أن أطفال الهنود فى معهد هاسكل حيث كان المدرسون البيض يشجعون الأطفال على العمل بأسرع ما يمكن ؛ كانوا يمارسون عملهم بطريقة أسرع كثيراً مما كان يفعل الأطفال فى ياكيما ..

وعلى ذلك فإن دراسة الاختلافات السلالية التى بدأها عن طريق المصادفة أصبحت هى غرامه طيلة حياته ، ولكن الأسلوب الذى اتبعه فى ذلك الوقت – كما يظهر من أعماله اللاحقة – كان يشتمل على استعراض دقيق للفروض البديلة حتى وإن كانت غير ملائمة . فلقد ابتكر تصميمات شبه بحثية دقيقة ولم يطلق عليها أية أحكام إلا بعد اختبار شواهد متنوعة وأساسية وبعد المراعاة الدقيقة للأشياء التى يمكن أن تنجم عن النتائج المضللة ، وقد أثبت أحد تلك التصميمات أنه النموذج الأساسى الذى يتبعه فى دراساته التالية ، مثلما كان يقارن درجات إنجازات الأطفال الهنود لفترة طويلة فى معهد هاسكل أخضع أيضا للاختبار مجموعة من الأطفال السود فى حى هارلم وربط بين درجاتهم وفترة إقامتهم فى نيويورك . ومن خلال هذه الخطة حاول أن يؤسس دعاوى نظرية عن المحددات الثقافية فى مقابل نظرية الهجرة المنتقاة

وفى عام ١٩٢٧، بعد أن انتهى من رسالته للدكتوراه عُرضت عليه وظيفة معلم بكلية سيتى فى نيويورك City College of، ولكن على الرغم من أن الحصول على عمل كان لا يزال أمراً صعبًا فإنه قرر أن يقبل بدلاً من الوظيفة منحة دراسية فى أوروبا مقدّمة من مركز البحث الوطنى .

وكان بحثه فى أوروبا حول اختبار نظرية - أو أسطورة - تفوق السلالات النوردية (١٩٣١). وقد استعرض فيما بعد فى كتابه عن الاختلافات السلالية التاريخ الطويل لهذه الأسطورة وغيرها من النظريات المماثلة عن السلالات . وربما كان أحد الدروس القاسية للعلماء أن نتذكر أن دحض كلاينبرج لتلك النظريات فى عامى ١٩٢٨ و١٩٢٩، حدث قبل إحياء هتلر لتلك الأسطورة بوقت قصير، كذلك اختبر بشكل عام هل الاختلافات فى ذكاء الجماعات السلالية مسألة فطرية أو أنها نجمت عن الظروف البيئية والثقافية التى نشأت فيها تلك الجماعات!! وقد استخدم فى ذلك نسخة منقّحة من الخطة الأساسية لدراسته الأولى .

وكان كلاينبرج قد أجرى فى وقت سابق مقارنة بين أعضاء من نفس الجماعة السلالية - وهم من هنود أمريكا - الذين يعيشون تحت ظروف متباينة . أما الآن فإن فارق الحجم والتباين بين فرنسا وألمانيا وإيطاليا كان يسمح بأن يحدد ويقارن بين الأطفال الذين ينتمون لنفس الجماعة السلالية سواء أكانت نوردية أم ألبية أم متوسطية للذين يعيشون فى بيئات مختلفة فى تلك الدول الثلاث وأن يقارن أيضا درجات الإنجاز لتلك الجماعات السلالية المختلفة حين يعيشون فى بيئة وطنية واحدة . وكان لكل هؤلاء الأطفال الذين خضعوا لتلك الخطة شبه التجريبية quasi-experimental الخصائص المشتركة ذاتها ، فقد كانوا جميعًا من الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات واثنتى عشرة سنة ويعيشون فى مجتمعات محلية صغيرة فى مناطق ريفية ويذهبون إلى المدرسة ، وكان معظمهم من عائلات تعمل بالفلاحة . ونظرًا لثبات هذه العوامل وأن الاختبارات كانت اختبارات أدائية ، ويقوم كلاينبرج نفسه بإجرائها على مستوى فردى وباللغات الوطنية فإن المتغيرات المنهجية لم تكن تستطيع

أن تكذب المقارنات أو أن تتحامل ضد أى جماعة .

وكان الاختبار السليم للنظرية يقضى بألا يتم اختيار الجماعات بطريقة تعسفية أو غير متسقة ، وأن يكون الأطفال ممثلين بقدر الإمكان لنماذج سلالية نقية ، وساعده فى ذلك إعداده الطبى والأنثروبولوچى ، وكان بواس قد أحدث ثورة فى الأنثروبولوچيا الفيزيقية حين رفض التصنيف الذاتى subjective للسلالات واعتراضه على استخدام خاصة فيزيقية واحدة يتم اختيارها بطريقة تعسفية واعتبارها أساس التصنيف ؛ لذا تولى كلاينبرج اختيار مواقع بحثه بالرجوع إلى الخرائط الأنثروبولوچية عن توزيع الأنماط السلالية المختلفة ، ثم اختار بعد ذلك من أفضل المناطق الريفية المبحوثين عن طريق الجمع بين الشعر ولون العين والنسبة الرأسية أو الدليل الرأسى cephalic index من خلال مقاييس الجمجمة ، والاقتصار فقط على الأطفال الذين ولدوا هم وآباؤهم فى ذلك الموقع .

وقد توصل كلاينبرج من البحث إلى أن مفهوم السلالة قاصر تمامًا عن تفسير النتائج نظرًا لأن أى جماعة سلالية واحدة بالذات قد تظهر على أنها متميزة تمامًا اعتمادًا على العينة الوطنية التى أخذت منها على أنها ممثلة (1931.p. 29)، ولكنه حين قارن بين مختلف الجماعات السلالية داخل نفس الدولة لم تظهر السلالة النوردية على أنها متفوقة فى أى حالة من الحالات ، بل إنه فى إحدى الدول كانت الاختلافات غير دالة insignificant إحصائيًا ، وفى دولة أخرى حصل الألبيون على أعلى الدرجات ، بينما فى دولة أخرى حصلت الجماعة المتوسطية على أفضل المستويات . " وبقدر ما تكشف عنه هذه النتائج فإنها لا تعطى أى تعزيز قاطع لأى ترتيب سلالى هرمى " (ibid, p..35).

وفى عام ١٩٣٥، نشر كلاينبرج كتابه Negro Intelligence and Selective Migration الذى كان بمثابة اختبار خطير على نطاق واسع لنظريته . ففى

دراسته الأولى ، كانت ظاهرة أن التلاميذ الهنود فى معهد هاسكل كانوا أسرع من التلاميذ فى المعزل قد قادت كلاينبرج إلى أن يستنتج أن البيئة مسئولة عن نمط السلوك ، كذلك فى دراسته الأوروبية أدى تحليله مرة أخرى للذكاء عند مجموعات سلالية متنوعة إلى نفس النتيجة ، وكانت الدراسات العديدة السابقة عن مقارنة ذكاء السود والبيض التى بينت أن سود الشمال حصلوا على درجات أعلى من سود الجنوب بل عن البيض فى الولايات الجنوبية قد أوحت هى أيضا بأن البيئة وليس الخصائص الفطرية هى المسئولة عن الذكاء النسبى للجماعات السلالية .

ولكن لما كان بعض هذه الدراسات يقوم على تجارب واقعية يتم فيها اختيار الجماعات بطريقة عشوائية لكى تعيش فى بيئات مختلفة؛ فإن التفسير البديل الذى أمكن اقتراحه هو أن العائلات الذكية تختار أن تهاجر إلى بيئات أفضل فى المدينة أو تنتقل إلى الشمال أو إلى المناطق الملائمة فى الريف ، وبالتالى يرث أطفالهم السمو بطريقة تلقائية . كذلك كان يمكن للناقد أن يؤكد أن الهندى الذكى يدرك فائدة إرسال طفله إلى معهد هاسكل. إلا أن كلاينبرج كان يرى " أنه لايمكن الحصول على أية قيمة علمية من هذا النوع من التفكير النظرى" (1935.a, p.5) .

ولما كان كلاينبرح يتوقع إثارة الشكوك حول مخططه الأساسى للبحث لهذا الجدل عن الهجرة المختارة ، فإنه اقترح فى دراسته الأولى الخطة الأكثر تنقيحًا التى تعتمد على مقارنة عدد من الجماعات الفرعية التى تتفاوت فى طول فترة تعرضها للبيئات الأفضل، فإذا كانت التقديرات تكشف عن أى تحسن نتيجة زيادة فترة التعرض ، فإن التفسير البديل يصبح محل شك لأن ملكاتهم الفطرية ينبغى أن تجعل كل الأطفال المهاجرين أذكياء بصرف النظر عن الفترة التى أمضوها هناك ، وبناء على ذلك قرر كلاينبرج تطبيق هذه الخطة

المنقحة على نطاق أوسع فى بحث أجراه على الأطفال السود. وفى دراسة مونوجرافية monograph تعتمد على المقارنة بين تسع رسائل للماجستير يستعرض النتائج التى كان قد تم الحصول عليها من أكثر من ثلاثة آلاف طفل أسود من الجنسين فى مدينة نيويورك تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة مع تسجيل درجة ذكائهم (الذى تم قياسه بعدد من قياسات الاختبار الأدائى performance اللفظية المختلفة) وتقديراتهم فى المدرسة وأنهم اختيروا بالإشارة إلى فترة إقامتهم فى الشمال ؛ تبين أن " الارتفاع فى الذكاء يتناسب بشكل تقريبى مع فترة الإقامة فى البيئات الأفضل" (ibid,p.59).

إلا أن كلاينبرج كان يدرك رغم ذلك أن النتائج التى توصل إليها قد تتعرض للهجوم ، بدعوى أن الهجرة المختارة قد تكون مجرد نوع من التفسير وأنه كلما كانت العائلة أكثر فهمًا وذكاءً؛ كانت أسرع إدراكًا لأهمية الانتقال، وبالتالى فإن أطفال العائلات التى كانت أسبق من غيرها إلى الهجرة ربما كانوا أكثر فهمًا وذكاءً منذ البداية وليس بسبب إقامتهم لفترة أطول فى بيئة أفضل . ولذا استخدم كلاينبرج خططًا إضافية لمساندة نتائجه ، ففحص أسباب الهجرة إلى الشمال تاريخيًا بتحليل الجرائد القديمة وإجراء مقابلات مع العائلات المهاجرة وبيّن التحليل أن الهجرة جاءت فى المحل الأول نتيجة عوامل قسرية أوعرضية أكثر مما كانت نتيجة قرارات عقلانية تقوم على أساس الذكاء .

وفى مقاربة مباشرة للمشكلة فحص كلاينبرج الملفات المدرسية فى ثلاث مدن فى الجنوب لحوالى ستمائة من أطفال السود الذين هاجروا جميعًا إلى الشمال لكى يرى إذا كانت قدراتهم تختلف عن قدرات زملائهم الذين استمروا فى الجنوب . وبعد أن تمت معالجة التقديرات الخام لكى تعطى دليلاً index للوضع فى الفصل جاء

متوسط التقدير للأطفال المهاجرين هو نفس الذى عند الأطفال غير المهاجرين إلى حد كبير جداً . وقد ذهب إلى أبعد من ذلك لكى يرى إذا ماكانت العائلات الأكثر تبكيراً فى الهجرة هى الأكثر ذكاء، ولكن البيانات أشارت إلى وجود نوع من التحسن التدريجى فى مستوى الذكاء، بالإشارة إلى الوضع الطبقى النسبى فى الجنوب للمهاجرين خلال السنوات الخمس عشرة التى تم فيها الاختبار ، وبذلك تبين أن النتائج المبكرة التى توصل إليها حول التأثير التدريجى للبيئة كانت أكثر إقناعاً.

وفى عام ١٩٣٥ أيضاً، نشر كلاينبرج عرضاً شاملاً للأدبيات فى الطب والأنثروبولوجيا الفيزيقية والثقافية وعلم النفس التى تناولت المشكلة العامة للاختلافات الثقافية ، وقد خصص فصلين لمناقشة المسألة التى كان قد اختبرها فى بحوثه السابقة عن " التفوق الذهنى الفطرى لسلالات معينة على غيرها من السلالات"(1935bm p.152)، وكان قد ذكر عدداً من العوامل التى تؤثر فى تقديرات تلك الاختبارات التى تظل غير مقننة uncontrolled فى المقارنات بين الجماعات السلالية . ولذا بدا واضحاً أن من التسرع أن نرد الاختلافات السلالية التى تمت ملاحظتها إلى القدرات الفطرية . كذلك استعرض مظاهر الاختلافات السلالية فى الشخصية والتخلف الذهنى والجريمة وأنماط النمو والنشاط الجسمى والملكات والقدرات الفيزيقية وقام بتحليل العوامل المختلفة (غير السلالية) التى ظهر أنها تؤثر فى تلك الاختلافات، وبيّن أن النتائج التى يمكن استخلاصها من مثل تلك الدراسات كثيراً ماتكون تعسفية وتفرض محاذير مشروعة على الاستدلالات المتسرعة مما هو فيزيقى على ماهو سيكولوجى

وفى القسمين الأولين من ذلك العمل يستخدم كلاينبرج بصفة أساسية ما يمكن تسميته "منهج النفى" method of negation لكى يقلل أو يهوّن

من الادعاءات حول استثناء الاختلافات السيكولوچية الناجمة عن محددات سيكولوچية من خلال تحليل نقدى للشواهد التى سبق استخدامها فى توكيد تلك النظرية ، ولكن تظل هناك حقيقة أن الاختلاف فى سلوك السلالات يحتاج إلى تفسير ، فإذا لم يكن هذا الاختلاف ناجمًا عن النمط الفيزيقى ولا عن المعطيات الفطرية فما الذى يؤدى إذن إلى تلك الاختلافات ؟ الواقع أن القسم الأخير من الكتاب هو عبارة عن نص مختصر ومنهجى يثير الجدل بالنسبة إلى عصر فى علم النفس الاجتماعى ، ويكشف عن التنميط الثقافى الصارم للمفاهيم والتصورات السيكولوچية الأساسية مثل الدافعية والانفعالات والمعرفة والتنظيم العقلى والشخصية، ومن المسلم به أن الكتاب يؤدى إلى إقرار أنه لا يوجد مايدل دلالة قاطعة على وجود اختلافات بين السلالات فى العقلية وأن الاختلافات التى نشاهدها ترجع فى الأغلب إلى الثقافة والبيئة السيكولوچية (ibid,vii).

والواقع أن كلاينبرج الطبيب السيكولوچى الأنثروبولوچى كان يجمع بحق بين المهارات الفنية اللازمة لذلك العمل وأنه استفاد من معرفته الوثيقة بعدد كبير من الثقافات كما هو واضح فى هذا الكتاب .

ولقد عرض كلاينبرج فى الفترة الأخيرة من حياته - ثلاث مرات على الأقل - المادة المتراكمة عن السلالة . وربما لم يقم أى شخص أخر بمثل ذلك العمل وبمثل هذه الدقة والعناية . فقد نشر تحت رعاية مؤسسة كارنيجى مجلداً عن خصائص الزنجى الأمريكى Characteristics of the American Negro (1944a) يحتوى على فصول لعدد من العلماء الثقاة عن الاضطرابات العقلية لدى السود والنماذج النمطية والاتجاهات نحو السلالة بالإضافة إلى الفصول التى كتبها هو نفسه عن ذكاء وشخصية الإنسان الأسود متوخيًا أن يكون ذلك خلفية أساسية وتوثيقًا لكتاب جنار

ميردال Gunnar Myrdal عن An American Dilemma (1944)، كما اقترح وهو مدير لمشروع " التوترات التى تؤثر فى التفاهم الدولى " لمنظمة اليونسكو إصدار سلسلة من الكتابات لعلماء البيولوچيا والعلوم الاجتماعية عن "السلالة والعلم" وكتب فيما بعد كتاباً عن السلالة وعلم النفس Race and Psychology صدر عام ١٩٥١، فى تلك السلسلة . وقد عكف فى مرحلة تالية وبتوجيه من جمعية الدراسات السيكولوچية للقضايا الاجتماعية (PSSI) التابعة للرابطة الأمريكية لعلم النفس على عرض الأدبيات المتاحة وكتابة مقال عن "Negro White Differences in Intelligence Test Performance"(1963) ، وحين انتهى من عرض الأدبيات الكثيرة والمعقدة صرّح بأنه "ليس هناك مايدل بشكل علمى قاطع على صحة الرأى بأن ثمة اختلافاً فى القدرات الفطرية بين الجماعات العرقية" (1963.p.203).

ولا تقتصر إسهامات كلاينبرج فى مجال السلالة على البحث والتدريس ، إذ على الرغم من أن طبيعة كتاباته كان لها بعض التأثير القوى على العلاقات السلالية؛ فإن قوة ووطأة ذلك التأثير تظهر بجلاء ووضوح وبشكل مباشر فى الدور الذى قام به فى الأحداث التى أدت إلى أن تصدر المحكمة العليا للولايات المتحدة قرارها ضد الفصل العنصرى . وفى واحدة من القضايا الخمس الكبرى التى تولت فيها "الرابطة الوطنية لتقدم الملونين "-National Association for the Advancement of Colored People شن الهجوم على قوانين الولاية التى تقضى بالفصل العنصرى فى المدارس ، وحين نوقشت فيما بعد أمام المحكمة العليا قام كلاينبرج بدور الشاهد الإخصائى ، وفى قضية ديلاوير Delaware Case تم قبول شهادته بدون مناقشة، ونجحت فى إقرار أن التصنيف السلالى لأغراض التمييز التعليمى هو تمييز تعسفى وغير منطقى ؛ "نظراً لأن الشواهد العلمية المتوفرة تشير إلى عدم وجود أية اختلافات سلالية فطرية فى الذكاء أو فى أى خصائص سيكولوچية

أخـرى" (Clark 1953a)، وحين أعـيـدت المناقـشـة أمـام المحكمـة العليـا تولى كلاينبرج وروبرت ميرتون مع استشـارة كنيث كـلارك وضع المخطط التـمـهـيـدى للبيان الذى قدمه للمحكمة العليا العلماء الاجـتـمـاعـيـون ردًا على الأسـئلة التى كانت المحكمة قد وجهـتـها . واعـتـرافًا بذلك وبإسـهاماته الأخرى منحته جامعة هاوارد درجة فخرية

دراســات في العــلاقـــات بين الجماعات والأمم :

فى كـتـابه التـدريسى علم النفس الاجـتـمـاعى Social Psychology الذى صــدر عــام ١٩٤٠، أكـمل كـلاينبـرج الصـياغـة التى كـان بدأها فى القـسـم الأخـيـر من كـتـابه عن الاخـتـلافـات السـلالية . فـقـد أرسى الطرق التـى يتم بها التـأثير على الملامح السـيكولوچيـة الأسـاسـيـة لدى الفـرد من الأشـخـاص الآخرين أو من الجـمـاعـة أو من الثـقـافة التى ينتمى إليها . وقد اسـتـخـدم فى ذلك المنهج المقارن بوجه خاص مع الاعـتـماد على المعلومـات الأنثروبولوچية الوفيـرة عن التنميط الثقافى للسلوك . وكان أول اتصـال له بالأنثـروبولوچيا قـد ترك فـيـه أثرًا "يشبـه إلى حد ما التـحـول الدينى" ودفعه إلى التـأمل فلسـفيًا: "كيف يمكن لعلماء النفس أن يتكلموا عن الخصائص " الإنسانية" والسلوك " الإنسانى"، بينما هم لا يعـرفـون سـوى نوع واحـد من " الإنســان" (1974.p.14). وقـد اسـتطاع فى كـتابه التدريسى أن يجـيب عن ذاك السؤال من واقع معرفته بعدة أنواع من البشر، وأن يقدم ما كـان يعتبـر أقوى تبـرير لعلم النفس الاجـتـمـاعى بأن أبرز قوة الثـقافة على ماكان يبدو أنه عمليات أولية وفردية مثل إدراك الحـجم أو اللون أو الوقت .

وثمة أجندة أخرى مـختلفة وأكثر وضـوحًا بالنسبة إلى لعلماء النفس وهى دراســة الأسـاليب الاجـتـمـاعـيـة التى يحـــددها الأفـــراد لأنفـــســـهم والتى تساعدهم على العمل من أجل الآخرين .

ويعالج كلاينبرج هذه الموضوعات فى قسم كبير عن "التفاعل الاجتماعى" مستخدمًا كأدوات محددة الأمثلة الخاصة بالنماذج النمطية والسلالية والاتجاهات التحاملية prejudiced وتعديلاتها ، وفى هذه الحدود يعتبر هذا الكتاب بمثابة الجسر الذى يربط بين أعماله المبكرة والأخيرة ، وقد أدى الاهتمام بالاختلافات السيكولوچية الوراثية المزعومة بين الجماعات العرقية إلى الانشغال بشكل مباشر بالعلاقات بين الجماعات ، ومن هنا أصبح من السهل اتخاذ الخطوة نحو دراسة العلاقات بين الأمم (1973.p.43). كذلك يعتبر ذلك الكتاب من جانب آخر جسرًا يصل بين المجالات القديمة والجديدة فى علم النفس الاجتماعى . وحين يلاحظ المرء أن بعض أحدث الموضوعات التى ظهرت فى السبعينيات مثل الاختلافات بين الجنسين واللغويات السيكولوچية والاجتماعية والسلوك الاجتماعى لدى الحيوانات ، (وكلها فصول فى كتاب كلاينبرج كان قد كتبها قبل مايقرب من أربعين سنة ، وكذلك التعبير الانفعالى وهو بالتأكيد شكل من أشكال لغة الجسم أو التواصل الجسدى الذى عالجه أيضا بطريقة موسعة فى النص) كانت تؤلف المشكلة التى اختبرها فى عمله الميدانى فى الصين قبل ذلك بأكثر من أربعين سنة، فإنه يمكن لنا أن ننصح الجيل الناشئ من الدارسين بأن يهتموا بذلك النص القديم ويعيدوا قراءته.

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية كان كلاينبرج ، رغم اضطلاعه بواجباته فى مختلف الوظائف الحكومية للولايات المتحدة ، يجرى دراساته عن العلاقات بين الجماعات والأمم. وفى محاضرته عن "علم للطابع القومى "A Science of National Character التى ألقاها عام ١٩٤١، بمناسبة انتهاء فترة رئاسته لجمعية الدراسات السيكولوچية للقضايا الاجتماعية SPSSI ركز على طابع الدول أو الأمم المعاصرة، وبصرف النظر عن

كون الأصول معقدة وثقافية وليست سلالية ؛ فالمهم هو أن الطابع القومي للأمم ، وكذلك النماذج النمطية الزائفة عن تأثير الطابع القومي تؤثر في مجموعة علاقاتها . فهذه الظاهرة تحتاج إلى أن توصف علميًا ، وقد حاول كلاينبرج أن يقيم إطارًا لدراسات أخرى أكثر تقدمًا، وخلال ربع قرن ابتداء من عام ١٩٥٠، أضاف كلاينبرج عدة إسهامات لدراسة علاقات الجماعات والعلاقات الدولية، ومن الصعب أن نذكر هنا إلا عددًا قليلاً من تلك الأعمال وبشكل مختصر . فمثلا هناك كتابه عن التوترات المؤثرة في التفاهم الدولي الذي صدر عام ١٩٥٠ ، وهو دراسة أجراها تحت رعاية مركز بحوث العلم الاجتماعي وعالج فيها باستفاضة المقاربات المختلفة لقياس الطابع القومي مع الإشارة إلى النماذج النمطية السلالية والقومية وأصولها والتعديلات التي طرأت عليها والعوامل التي تدفعها إلى السلوك العدواني ، ولقد كان اهتمامه بهذا الموضوع يغزو ذهنه بإلحاح شديد خلال تلك السنوات (1970, 1972). وفي محاضرة عن " دور عالم النفس في الشئون الدولية" The Role of the Psychologist in International Affairs" ألقاها عام ١٩٥٦ ،حين منحته جمعية الدراسات السيكولوچية للقضايا الاجتماعية جائزة كورت ليڤين Kurt Lewin التذكارية استعرض مايمكن لعلماء النفس المهتمين بدراسة الفعل أن يقوموا به من أجل تحسين العلاقات الدولية وبعض المعوقات التي تمنعهم من القيام بهذا الدور. ويعتبر كتابه عن البعد الإنساني في العلاقات الدولية The human Dimension in International Relations الصادر عام ١٩٦٤ – وهو كتاب دراسي لقي رواجًا كبيرًا ويغطي مختلف مصادر التوتر التي سبق له عرضها في دراساته السابقة والدراسات التي يمكن لعلم النفس أن يقوم بها لصالح برامج المعونة الفنية وتقييمها . وثمة دراستان تعالجان بوجه خاص برنامج التبادل الثقافي ، فكتابه عن International Exchanges in

Education, Science and Culture Suggestions for Research (1966) عــبــارة عن مــسح نقــدى للأدبيــات بالإضـافة إلى قسم مهم عن التمييزات التى يتـعرض لها غير البيض فى عدد من الدول ذات التـــاريخ الطـويل فى التـحـامل السـلالى. والدراسـة الثـانيـة بعنوان Etudients du tiers monde en Europe (Klineberg & Brika 1972) عبـارة عن تقـرير عن بحث تم إجـراؤه بين الطـلاب الوافـدين من الدول النامـيـة للدراسة فى الجامعات الأوربية .

وفى كـتـاب Religione e Preguidi-zo (1969) يسـجل هو وثلاثة من الزمـلاء الإيطاليين نتـائج تحليل مـضـمـون النصـوص الكاثوليكية المسـتـخـدمة فى المدارس الإيطالية والإسـبـانية ، وكـانت الإشـارات إلى اليهود والبروتستانت فى الفتـرة التى أجرى فيـها البـحث سلبية إلى حد كـبير، وهو اكتشـاف له دلالات واضحة بالنسبة إلى التوترات بين الجماعات العرقية . وفى ورقة مختصرة كتبها عام ١٩٧١ ، بـعـنوان "Black and White in International Perspective" يعـود كلاينبـرج إلى اهـتمـامـاته المبكرة حـول موضـوع العلاقات السـلالية ولكنه يأخذ فى الاعـتـبارالأنمـاط السـائدة فى الدول الأخـرى، وكـذلك فى الولايات المتـحـدة ويعالج مقتضياتها بالنسبة إلى العلاقات الدوليـة . وفـى مـقـال عن:"The Multi-National Society :Some Research Problems" يختبر المجتمعات المتغايرة فى مـجـالات أخـرى غيـر السـلالة لكى يكتشف مصادر الصـراع وطرق التـغلب عليها .

وثمــة عــمــلان بحـثـيــان يمكن اعتبارهما إسهامين فى تحسين وتنمية العـلاقـات بين الأمم وإن كـان لهـمـا فى الوقت ذاته أهـميـة خاصـة بالنسـبـة إلى المهتمين بمناهج المسوح التى تشمل عدة دول ، وأيضـا بالنسـبـة إلى المهـتـمين بالنظرية والتنظيـر حـول مشكلة الهـوية وعمليات الجماعات المرجعية reference groups والعمليات التنمـوية التى تكمن وراء النمـاذج النمطيـة الوطنيـة . فـفى كـتـاب النزعـات الوطنيـة بين الطلاب

الأفارقة Nationalism among African Students الصادرعام ١٩٦٩فحص كلاينبرج وماريسا زاڤالونى Marisa Za-valloni الأهمية النسبية للجماعات المرجعية القبلية والوطنية والأفريقية بين طلاب الجامعات الأفريقية من ست دول هى: إثيوبيا وغانا ونيچيريا والسنغال ويوغندا وزائير . وبالمقارنة مع استجابات الطلاب المقيمين فى فرنسا أمكن تأكيد السيطرة النسبية للجماعات المرجعية . وفى كتاب Children's Views of Foreign Peoples (1967) عرض كلاينبرج ووالاس لامبرت Wallace E. Lambert النتائج التى توصلا إليها من المسح الذى أجرى فى إحدى عشرة دولة على عينة حضرية تتألف من ثلاثة آلاف طفل من ثلاث فئات تنموية فى سن السادسة والعاشرة والرابعة عشرة . وفى الإطار التنموى المقارن للخطة الرئيسية تم اختيار أمور مثل التصورات عن الذات والجماعات المرجعية والمشاعر إزاء التشابه والاختلاف مع الأشخاص الآخرين ومن الدول الأخرى والنماذج النمطية والاتجاهات إزاء الأشخاص الذين ينتمون إلى جنسيات أخرى . وفضلاً عن الأهمية البالغة للنتائج بالنسبة إلى النظرية والتطبيق، فإن مشكلات تنظيم وتفعيل هذا المشروع الضخم الذى غطى جانبًا كبيرًا من العالم والمشكلات المنهجية الخاصة بتوحيد أساليب المقابلات المفتوحة وتكويد (ترميز) البيانات فى كل هذه اللغات أمكن عرضها كلها بعناية وتناولها بكفاءة عالية .

وقد بذل كلاينبرج كل ما يستطيع من جهد سواء على مستوى الفعل أو المجال العلمى لتعزيز التعاون الدولى، لذا ساعد فى تنظيم الاتحاد العالمى للصحة العقلية وتولى رئاستها فيما بعد، كما عمل لفترة طويلة إداريًا فى الاتحاد الدولى للعلم السيكولوچى International Union of Psychological Science، كما أنه تولى بدافع داخلى من نفسه باعتباره باحثًا ومعلمًا فى عدد من

الدول نقل رسالة حسن النوايا فى كل أنحاء العالم ونشر بذور علم النفس الاجتماعى على نطاق واسع جداً من العالم . وكانت القضية التى وهب لها نفسه منذ حياته المبكرة هى تدريس علم النفس، وقد واصل ذلك لما يقرب من خمسين سنة، وكان ذلك هو أهم مايشيع فى نفسه السرور . والواقع أن علماء النفس الذين تولى تعليمهم أو توجيه بحوثهم بمن فيهم علماء من أمثال سولومون آش Solomon E. Asch وروبرت تشين Robert Chin وكنيث كلارك وإى. إل. هارتلى E. L. Hartley وهربرت هايمان Herbert H. Hyman وإتش. إن. شونفلد H. N. Schoenfeld ومظفر شريف وكثيرين غيرهم حملوا تلك البذور لعلم نفس اجتماعى ملائم لمناطق أخرى كثيرة من العالم .

وقد حصل كلاينبرج على كثير من التكريم مثل: ميدالية بطلر Butler من جامعة كولومبيا ودرجات فخرية من جامعة درو Drew وجامعة البرازيل وجامعة هاوارد وجامعة ماكجيل . وقد وصفه جاردنر مورفى أثناء تقليده جائزة كورت ليفين التذكارية بأنه " ينظر إلى التعقيدات والانتصارات ومآسى العلاقات الإنسانية على أنها تحديات ليس فحسب لإمكانات درجة أكبر من الإخاء الإنسانى ، ولكن تحديات لإمكانات منهج علمى قوى ومتماسك "وأنه ينال التكريم من "مؤسسة راسخة ولامعة فى تطوير علم النفس الاجتماعى " .

(*) توفى أوتو كلاينبرج عام ١٩٩٢ فى سن الثانية والتسعين. (المترجم)

المؤلف : Herbert H. Hyman

المترجم : أحمد أبوزيد

WORKS BY KLINEBERG

1931 *A Study of Psychological Differences Between "Racial" and National Groups in Europe.* Archives of Psychology, No. 132.
1934 Notes on the Huichol. *American Anthropologist* 36:446–460.
(1935*a*) 1975 *Negro Intelligence and Selective Migration.* Westport, Conn.: Greenwood.
(1935*b*) 1974 *Race Differences.* Westport, Conn.: Greenwood.
(1940) 1954 *Social Psychology.* Rev. ed. New York: Holt.
(1944*a*) 1969 *Characteristics of the American Negro.* New York: Harper.
1944*b* A Science of National Character. *Journal of Social Psychology* 19:147–162.
1950 *Tensions Affecting International Understanding: A Survey of Research.* Social Science Research Council, Bulletin No. 62. New York: The Council.
1951 *Race and Psychology.* Paris: UNESCO.
1956 The Role of the Psychologist in International Affairs. *Journal of Social Issues* 9 (Supplement): 3–18.
1963 Negro–White Differences in Intelligence Test Performance: A New Look at an Old Problem. *American Psychologist* 18:198–203.
1964 *The Human Dimension in International Relations.* New York: Holt.
1966 *International Exchanges in Education, Science and Culture: Suggestions for Research.* Paris: Mouton.

1967 The Multi-national Society: Some Research Problems. *Social Science Information/Information sur les sciences sociales* 6:81–99.

1967 KLINEBERG, OTTO; and LAMBERT, WALLACE E *Children's Views of Foreign Peoples: A Cross national Study*. New York: Appleton.

1968 Prejudice: I. The Concept. Volume 12, page: 439–448 in *International Encyclopedia of the Socia Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Mac millan and Free Press.

1968 KLINEBERG, OTTO et al. *Religione e Pregiudizio. Analisi di contenuto dei libri cattolici di insegna mento religioso in Italia e in Spagna*. Bologna: Cappelli.

1969 KLINEBERG, OTTO; and ZAVALLONI, MARISA *Nationalism and Tribalism Among African Students: A Study of Social Identity*. Paris: Mouton.

1970 Alternatives to Violence: The Need for a New Way of Thinking About International Relations. Pages 229–240 in A. Tiselius and S. Nilsson (editors), *The Place of Value in a World of Facts*. Nobel Symposium No. 14. New York: Wiley.

1971 Black and White in International Perspective. *American Psychologist* 26:119–128.

1972 Aggression: A Social-Psychological Approach. Pages 56–66 in Helmut E. Ehrhardt (editor), *Agressivität, Dissozialität, Psychohygiene*. Berne: Hans Huber.

1972 KLINEBERG, OTTO; and BRIKA, J. BEN *Étudiants du tiers-monde en Europe*. Paris: Mouton.

1973 Reflections of an International Psychologist of Canadian Origin. *International Social Science Journal* 25:39–54.

1974 Autobiography. Volume 6, pages 161–182 in *A History of Psychology in Autobiography*. Edited by Gardner Lindzey. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

CLARK, KENNETH B. 1953*a* Desegregation: An Appraisal of the Evidence. *Journal of Social Issues* 9, no. 4:2–12.

CLARK, KENNETH B. 1953*b* The Social Scientist as an Expert Witness in Civil Rights Litigation. *Socia Problems* 1, no. 1:5–10.

MYRDAL, GUNNAR (1944) 1962 *An American Di lemma: The Negro Problem and Modern Democ racy*. New York: Harper. → A paperback editioı was published in 1964 by McGraw-Hill.

ليكرت ، رنزيس

LIKERT, Rensis

ولد رنزيس ليكرت في شايين، بولاية وايومينج عام ١٩٠٣، وبعد حصوله على درجة الليسانس من جامعة مشيجان في علم الاقتصاد وعلم الاجتماع عام ١٩٢٢، قام بدراسة علم النفس في جامعة كولومبيا حيث حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٣٢، وأثناء دراسته في جامعة كولومبيا تزوج من چين چيبسون التي كان قد التقاها وهي طالبة في آن أربر.

ويمكن تلخيص إسهامات رنزيس ليكرت في علم النفس الاجتماعي والعلوم الاجتماعية تحت خمسة عناوين رئيسية: (١) قياس الاتجاهات. (٢) تطوير المنهجيات للبحث المسحي. (٣) تأسيس معهد البحوث الاجتماعية بجامعة مشيجان. (٤) نظرية الإدارة المشاركية و(٥) محاسبة الموارد البشرية.

قياس الاتجاهات Measurement: of Attitudes

في مرحلة الدراسات العليا، بدأ ليكرت تدريجياً في الابتعاد عن الحقول الأكثر تقليدية لعلم النفس نحو مجال جديد هو علم النفس الاجتماعي، وقد تأثر بشكل خاص بجاردنر مورفي، الذي صار رئيساً للجنة مناقشة رسالته، وقام ليكرت، بمشاركة مورفي، بإجراء دراسة موسعة عن اتجاهات طلاب الجامعة والمتغيرات التي تؤثر في هذه الاتجاهات ، وقد صار جزء من هذا البحث رسالته التي نُشرت تحت عنوان: تقنية لقياس الاتجاهات A Technique for the Measurement of Attitudes (1932)، ومن خلال هذا البحث قام ليكرت بتطوير ما صار إجراء واسع الاستخدام في مجال قياس الاتجاهات، وهو "مقياس ليكرت Likert Scale". وفي أواخر عشرينيات القرن الماضي قام إل. إل. ثيرستون L.L. Thurstone وقد مهد الطريق في مجال قياس الاتجاهات من خلال إجراء

يعتمد على المنهج السيكوفيزيائى الخاص بالفواصل متساوية الظهور equal-appearing intervals، ثم اقترح منهجًا أكثر بساطة، وهو بناء مقياس للاتجاهات يتراوح بين المُرضى fvorable وغير المُرضى، مع وجود نقطة انتصاف محايدة، ويقدم تقريبًا ذات النتائج التى يقدمها إجراء Thurstone المرهق، بل إنه حقق ذات الدقة من خلال نصف عدد البنود.

تطوير المنهجيات للبحث المسحى:

وخلال عامى ١٩٣٠ و١٩٣٥، قام ليكرت بالتدريس فى قسم علم النفس بجامعة نيويورك. وفى عام ١٩٣٥، صار مديراً للبحوث فى جمعية إدارة وكالة التأمين على الحياة فى هارتفورد، بولاية كونكتيكت، حيث قام بإطلاق برنامج بحثى عن فعالية الأساليب المختلفة للإشراف. وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٣٩، تم تعيينه مديراً لقسم مسح البرامج بوزارة الزراعة الأمريكية فى واشنطن.

وكان قسم مسح البرامج قد تأسس لتوفير قناة يتمكن المزارعون وغيرهم من المواطنين فى التواصل مع القسم لتوضيح خبراتهم فى العديد من البرامج الفيدرالية التى أثرت فيهم. وعندما دخل ليكرت هذا القسم، كانت إجراءات جمع المعلومات إجراءات بدائية وبحاجة إلى التحسين؛ فقام بالتعاون مع موريس هـ. هانزن وآخرين من وزارة الزراعة ومكتب التعداد السكانى وجامعة أيوا الحكومية بتطوير منهج لأخذ عينات من المنازل والأفراد يعتمد على التعرف على وحدات صغيرة من الأراضى فى أرجاء البلد ورصدها فى قوائم ، وكانت النظرية الأساسية لهذا الإجراء ، وكذلك تقنيات الانتقاء المحددة، هى القاعدة لما عرف فيما بعد "العينات الاحتمالية" probability sampling.

كذلك كانت هناك حاجة إلى مناهج أكثر دقة للحصول على المعلومات من المستجيبين الفرديين ، وقد اكتشف ليكرت أن الوكالات الحكومية كانت

تستخدم "استمارة تقريرية" reporting form، كانت تحدد فقط أنواع المعلومات المطلوبة، فكان يطلب من القائمين على المقابلة طرح أية أسئلة كفيلة بالحصول على المعلومات ، وعندما تم توضيح المشكلة الخطيرة التى تتمثل فى التحيز القائم على المقابلة، وهى مشكلة متأصلة فى هذه التقنية، قام قسم مسح البرامج بتبنى استبيانات مقننة ، وطلب من القائمين على المقابلة اتباعها دون انحراف ؛ فقدم ليكرت استخدام "الأسئلة مفتوحة الإجابة" فى هذه المقابلات عندما يكون من المحبذ إتاحة الفرصة للمستجيب فى تفسير السؤال طبقاً لفهمه الخاص بدلاً من الاختيار من بين بدائل محددة. وقد صارت هذه الإجراءات منذئذ من الممارسات المعيارية فى البحوث المسحية.

تأسيس معهد البحوث الاجتماعية بجامعة ميشيجان :

فى صيف عام ١٩٤٦، قامت جامعة مشيجان بدعوة ليكرت إلى آن أربر Ann Arbor لتأسيس معهد متعدد المجالات المعرفية لإجراء أبحاث فى مجال العلوم الاجتماعية ، ولم يكن معهد البحوث الاجتماعية الذى قام ليكرت بتأسيسه وإدارته هو الأول من نوعه فى الولايات المتحدة، إلا أنه اختلف اختلافاً حيويًا عن المعاهد التى جاءت قبله أو بعده ، وحيث إن الغرض من المعهد كان منذ البداية أن يكون متعدد الحقول المعرفية بحق، فقد اتخذ موقعه إداريًا خارج المدارس والأقسام القائمة حتى يتمكن من تحقيق التوسع فى مجال الاهتمامات البحثية. وكان الباحثون فى المعهد يتولون مهامهم الأساسية فى المعهد وليس فى أقسام التدريس، وقد عملت المنح والعقود التى قدمتها المؤسسات والوكالات الحكومية والمنظمات الخاصة سواء الهادفة للربح أو غير الهادفة للربح على توفير أساس الدعم المقدم للمعهد، وفى ضوء نصائح اللجنة التنفيذية لأعضاء هيئة التدريس لم يقبل المعهد سوى الأنشطة البحثية التى كانت تتناسب بشكل واضح مع الاهتمامات العامة للجامعة والقابلة للنشر.

وكان الدور الذى قام به ليكرت فى عملية تأسيس المعهد، وبخاصة خلال سنواته الأولى غير المستقرة، دوراً حيويًا. وكانت شخصيته الجذابة ومواهبه الإقناعية ضرورية لتمثيل المعهد - أحيانًا - أمام أفراد متشككين فى الجامعة، ولكن بشكل مستمر فى عالم من المنح والعقود، حيث تعتبر المنافسة على الحصول على دعم بحثى أمرًا شاقًا. وكان تفاؤله الصامد ورفضه الاعتقاد بأن هناك مايمكنه إعاقة نمو المعهد وتقدمه دافعًا قويًا للعاملين معه على بذل كل مافى وسعهم، بحيث تحققت تنبؤاته التوسعية فى نهاية الأمر. وتحت إمرة ليكرت تنامى المعهد بشكل متسارع وصار خلال سنوات قليلة أكبر مؤسسة جامعية للأبحاث فى مجال العلوم الاجتماعية بالولايات المتحدة.

نظرية الإدارة المشاركية :

وبعد تأسيسه لمعهد الأبحاث الاجتماعية عام ١٩٤٦، بوقت قصير، استمر ليكرت فى برنامج الأبحاث الذى كان قد ابتدأه قبل اندلاع الحرب، أى دراسة الإدارة. وجاءته مساعدة فى البداية من خلال منحة قدمها مكتب الأبحاث البحرية، ودعم لاحق من خلال العقود مع مؤسسات خاصة، فقام بإدارة سلسلة من الدراسات فى مجالى الأعمال والحكومة التى كانت تهدف إلى استكشاف المبادئ التى يستخدمها المديرون الذين حققوا المستوى الأعلى من الأداء ورضاء العاملين وكيفية اختلاف هذه المبادئ عن تلك التى يعتمد عليها المديرون الذين لم يحققوا سوى نتائج متوسطة ، وقام ليكرت مع كبار مساعديه، من أمثال : روبرت كان، وفلويد مان، وستانلى سيشور، ودايفيد باورز، بإجراء المسوحات والتجارب التى أدت فى النهاية إلى سلسلة ليكرت الشهيرة من الكتب الخاصة عن الإدارة المشاركية participative management.

وكان ليكرت يؤمن بأن أساليب الإدارة تمر بأربع مراحل، تتطور مما

أطلق عليه ليكرت السلطوى الاستغلالى،إلى السلطوى الخيّر، إلى الإدارة الاستشارية، وأخيراً الإدارة المشاركية. أما المبادئ المركزية للإدارة المشاركية، أو النظام الرابع، كما وصفها ليكرت هى: (١) العلاقات الداعمة بين أعضاء المؤسسة وتفادى السلوك التأديبى المهين. (٢) بناء جماعى متعدد العلاقات وفيه تتألف كل "عائلة" تنظيمية من مشرف ومرؤوسيه. (٣) حل المشكلات جماعياً من خلال الإجماع داخل "العائلات" التنظيمية. (٤) أهداف أدائية رفيعة المستوى. (٥) عضويات متداخلة بين "العائلات" التنظيمية للأفراد الذين يقومون بدور "نقاط الربط" ، وقد وجد ليكرت أن المؤسسات التى تعمل فى ضوء هذه المبادئ كانت أكثر استجابة للدوافع البشرية الأساسية عن المنظمات السلطوية، وأنها كانت بالتالى أكثر قدرة على تعبئة مواردها البشرية؛ لتحقيق أهدافها المؤسساتية ، ووضع ليكرت هذه المفاهيم والأبحاث الخاصة بها فى كتابه New Patterns of Management (1961)، ثم فى كتاب The Human Organization (1967). وقام بالاستفاضة فى تطويرها وإجراء أبحاث إضافية وردت فى كتابه New Ways of Managing Conflict (ليكرت وليكرت ١٩٧٦).

محاسبة الموارد البشرية :

فى عام ١٩٦٧، جادل ليكرت بأن الأساليب القائمة للمحاسبة كانت تمنح الإدارة المؤسساتية معلومات غير دقيقة ومضللة عن الفعالية النسبية لأساليب الإدارة المختلفة ، وللتوسع فى مصادر المعلومات هذه، اقترح ليكرت تبنى منهج محاسبة الموارد البشرية ، واقترح عدة أساليب محتملة مختلفة؛ قام لاحقاً بتنقيحها. فمحاسبة الموارد البشرية تعمل على حساب استثمارات الشركة فى العاملين لديها من حيث المبالغ بالدولار، وكذلك التغيرات التى تطرأ

على القدرات الإنتاجية لهؤلاء العاملين من فترة محاسبية لأخرى.

ولم تعمل نظريات ليكرت عن الإدارة المشاركية فى إحداث ثورة فى الممارسات الإدارية فى مجالات الأعمال والصناعة الأمريكية، وقد وصف ليكرت -نفسه- منظمة الأعمال المعتادة فى أمريكا بأنها تقع تحت بند فئة النظام ٢، أو السلطوى الخير ، إلا أن - ولاشك فى ذلك - أبحاثه وكتاباته، بالإضافة إلى كتابات الكثيرين من الباحثين الآخرين، قد أثارت أسئلة جوهرية عن طبيعة الحياة المنظماتية، كما أسهم فى التغير التدريجى نحو ممارسات أقل سلطوية فى الإدارة الأمريكية.

وقد خرج رينسيس ليكرت إلى المعاش وهو مدير لمعهد الأبحاث الاجتماعية عام ١٩٧٠، بعد أن أمضى ٢٥ عامًا فى هذا الموقع. واستمر فى عمله باعتباره مستشارًا خاصًا فى مشكلات المنظمة والإدارة، كما أنه انشغل بالمزيد من الأبحاث عن الفعالية المقارنة للإدارة المشاركية(*).

(*) توفى رنزيس ليكرت فى الثالث من أغسطس عام ١٩٨١ . (المراجع)

المؤلف : Angus Campbell

المترجمة : مايسة النيال

WORKS BY LIKERT

WORKS BY LIKERT

1932 *A Technique for the Measurement of Attitudes.* Archives of Psychology, No. 140.

1961 *New Patterns of Management.* New York: McGraw-Hill.

1967 *The Human Organization: Its Management and Value.* New York: McGraw-Hill.

1976 LIKERT, RENSIS; and LIKERT, JANE GIBSON *New Ways of Managing Conflict.* New York: McGraw-Hill.

موراى ، هنرى أ .

Murray, Henry A .

يعد هنرى أ. موراى من أكبر المساهمين فى مجال الدراسة النظرية والامبريقية للشخصية الإنسانية فى القرن العشرين ، وقد أمدته خلفيته المتنوعة فى مجالات الطب والعلوم البيولوجية والأدب والتحليل النفسى وعلم النفس الأكاديمى بأساس قوى وملائم لإسهاماته فى المجال الواسع والشامل لعلم نفس الشخصية ، وقد كان من الواضح ارتباط موراى بمدخل عام لدراسة الشخصية ، وكذلك بالمثل كما فى تطويره لأدوات محددة لقياس جوانب من الشخصية ، وبصفة خاصة اختبار تقدير الذات الموضوعى Apper-ception Test .

وقد تغيرت المفاهيم التنظيرية لديه تغيراً جوهرياً على مدى فترة تزيد على الثلاثين عاماً ، ولكن هذه المفاهيم كانت تعكس بصفة عامة اعتقاداً راسخاً لديه بأن شخصية الفرد يجب أن تدرس ويتم التعبير عنها داخل إطارها الكامل المعقد ، وقد قدم مصطلح " الشخصنة Personology" للإشارة إلى عمل هؤلاء الذين يركزون على دراسة الحالة الفردية ، وأيضاً إلى الإقلال من النزوع إلى تطوير نوع من القداسة أو الحركة لدراسة شخص بعينه .

وقد ولد موراى فى مدينة نيويورك عام ١٨٩٣ ، وتلقى تعليمه فى مدرسة جورتون Gorton School وفى كلية هارفارد Harvard College، وتباعًا تلقى تدريبًا طبيًا فى جامعة كولومبيا Columbia University ، ثم عمل لفترة قصيرة مدرسًا فسيولوجيا فى جامعة هارفارد ، ثم عمل متدربًا مقيمًا فى مجال الجراحة فى مستشفى كولومبيا الكنسى فى مدينة نيويورك . وبعد ذلك التحق بهيئة العاملين بمعهد روكفلر للبحوث الطبية فى مدينة نيويورك ، حيث أجرى بحثًا فى علم الأجنة لمدة عامين ، ثم جاءت بعد ذلك فترة للدراسة

فى جامعة كمبريدج Cambridge University، حيث حصل هناك على درجة الدكتوراه فى الكيمياء الحيوية عام ١٩٢٧ . وخلال هذه المدة التى تلقى فيها دراسته الأوروبية ، تحولت اهتماماته بالتأكيد وللمرة الأولى نحو دراسة علم النفس .

وحتى خلال خبرته الطبية وأبحاثه البيولوجية ، أظهر موراى اهتمامًا غير عادى بتفاصيل الخبرة الإنسانية ، وذلك فى السمات الشخصية للمرضى ، وفى التفاعل المعقد بين ما هو جسمى وبيولوجى ونفسى . وقد قرأ موراى بانبهار شديد كتاب كارل يونج Carl Jungالأنماط النفسية Psychological Types (1921)، ووجد نفسه غارقًا فى أسرار وغموض اللاشعور . وقد أصبح مقتنعًا تمامًا بأن عمل يونج قدم معايير قوية فى اكتساب فهم ورؤية للمحددات الأساسية للسلوك الإنسانى ، وخلال دراسته فى جامعة كيمبردج ، قام بزيارة زيورخ ، وقد تحولت هذه الزيارة بشكل مثالى لأن تكون مواجهة قدرية مع يونج . وقد مثلت هذه الخبرة نقطة تحول لدى موراى من دراسة الطب الإحيائى إلى العلوم السلوكية .

وقد عاد موراى إلى الولايات المتحدة وهو ملتزم بعلم النفس ، ولكنه أمضى عامًا آخر فى معهد روكفلر قبل أن يتخذ الخطوة التى حسمت ما تبقى من حياته المهنية . وعلى الرغم من خلفيته غير التقليدية فإنه حظى بإعجاب الكثيرين فى هارڤارد ، ممن كانت لديهم قناعة بأنه على الرغم من نوعية تدريبه فإنه سينجح فى أى مجال يتجه إليه بعقله وتفكيره ، وقد ذهب بعد ذلك إلى جامعة هارڤارد مدرسًا فى علم النفس، حيث انضم إلى قسم مميز وعريق ، وذلك فى الوقت ذاته الذى أسس فيه مورتون برنس Morton Prince عيادة هارڤارد النفسية . وقد كانت العيادة وقفًا على دراسة وتعليم علم نفس الشواذ أو غير الطبيعيين Abnormal psychology وعلم النفس الدينامى dy-

namic psychology، وكـــان برنس يبحث عن شاب واعد صغير السن يستطيع قيادة مستقبل العيادة . وقد أدرك بوضـــوح أن مـــوراى هو ذلك الشـــخص الذى تنطبق عليـــه هذه المواصــفـات . وفى عــام ١٩٢٨، عين موراى مديراً للعيادة النفسية ، وفى عـام ١٩٢٧، ترقى إلى وظيفة أستـاذ مساعد ، وقد كان أحد أعضاء وضع ميثاق جمعية بوسطن للتحليل النفسى Boston Psychoanalytic Society. ، وبحلول عام ١٩٣٥ كان قد استكمل تدريبه فى التحليل النفسى على يد فـــرانز الكزاندر Franz Alexander، وهانز ســاكس Hanz Sachs . وتوجد وثيقة تكشف التفاصيل الدقيقة لتدريبه فى التحليل واتجاهاته نحو التحليل النفسى ، فى أعمـال ندوة تختص بعلمـاء النفس والمحللين النفسـيين (Murray 1940).

وخلال قرابة خمسة عشر عامًا قبل وقوع الحرب العالمية الثانية ، كانت العيادة النفسية لهارڤارد تحت القيادة الشخصية والعقلية المثقفة لموراى ، فكانت بمثابة مشهد لمشروع تنظيرى وتجريبى مثير . وقد التف حوله مجموعة من الدارسين المتميزين من الشباب وغير الشباب الذين وجّهوا جهودهم معًا للبحث فى استقصاء وتشكيل الشخصية الإنسانية ذات التأثير الهائل على مستقبل هذا المجال البحثى . و يتضمن كتاب اكتشافات فى الشخصية Explorations of Personality (Murray et al. 1938) تسجيلاً غير مكتمل عن مدى الابتكار فى هذا المجال ، ولكن أكثر التأثيرات أهمية تمت بمعزل بعيداً فى شكل محاولات للإقناع ومفاهيم وخطط أجراها الأفراد المشاركون . وللمرة الأولى حققت نظرية التحليل النفسى اكتساب جمهور أكاديمى جاد ، كما بذلت مجهودات للبحث عن أساليب ووسائل لترجمة الأفكار العلاجية المتميزة لكل من فرويد ويونج وغيرهما من المحللين النفسيين ، فى عمليات تجريبية يمكن أن تسمح

بدرجـــــة من الإثبـــات أو الرفض الإمـــبـــيـــريقى . ولم يخلف مـــوراى إحـسـاسًـا بالإثارة والاكـتـشـاف لدى تلاميذه فـحسب ، بل إن العيادة فتحت أبوابها للدارسين الجادين أمثال إيريك إريكسون Erik H. Erikson، وكورا ديبوا Cora DuBois، وولتـــر دايك Walter Dyk، وسكدر مـاكـيـيـل H. Scudder Mckeel، وبذلك اكتسب المشروع مذاقًا مميـزًا من التـداخل بين مـخـتلف التخصصات .

وقـد انتـهت هذه الفـتـرة فى عـام ١٩٤٣، حين ترك موراى جامعة هارڤارد والتحق بالقوات الطبية للجيش، وتدرج فى الرتب التى حـصل عليـها خـلالها ، وقـد أسس وأدار عـمليـة تقـيـيم مكتب الخدمات الاستراتيجية Office of Strategic Services، وقـد تم تكليـفـه هـو وزمـلائه بأداء مـهـمـة صـعـبـة لاخـتـيـار الأشـخـاص المرشـحين للقيـام بالمهـام السرية والخطيرة من خلال تقييم مدى ثبـاتهم الانفعـالى وقدرتهم على تحـمل الضغوط ومهاراتهم الشخصية . وظهر ملخص أنشطة هذه المجموعة فى كتاب تقييم الرجال *Assessment of men Of*(fice,. 1948). وقـد حـصل على وسـام الاستحقاق نتيجة لعمله فى الجيش.

فى عـام ١٩٤٧، عـاد مـوراى إلى هارڤارد للعمل مـحـاضـرًا لبعض الوقت فى علم النفس العـلاجى فى قـسم تم إنشـاؤه حـديثًـا ويخـتـص بالعـلاقـات الاجـتـمـاعـيـة . وليس ثمة شك فى أن ثقافة موراى وعلاقـاته الشـخـصـية مع علماء الانثربولوجيا والاجتماع المميزين فى هـارڤـارد لعـبت دورًا ملحـوظًـا فى إسباغ الشرعية على التداخل والتمازج بين العلوم . وفى عــــام ١٩٥٠، عين مـوراى أسـتـاذًا لعلم النفس العـلاجى . وكـان يميل لاسـتـئـنـاف الاتجـاه والعـمل فى العيادة النفسـيـة ، وفى عام ١٩٤٩، أسس العيادة النفسية الملحقة بجامعة هـارڤـارد ، حـيث عـمل هـو وزمـلاؤه والخريجون من الطلبة فى إجراء المزيد من الدراسات عن الشخصية ، واستمر

فى ذلك حتى تقاعده عام ١٩٦٢ . ولكنه استمر بعد ذلك فى مواصلة حياته العلمية ، ومن بين العديد من الجوائز التقديرية التى حصل عليها موراى جائزة الإسهام العلمى المميز من ، الرابطة السيكولوجية الأمريكية American Psychological Association، والميدالية الذهبية للمؤسسة الأمريكية السيكولوجية American Psychological Foundation وذلك مدى الحياة تقديراً لمساهمته فى هذا المجال العلمى .

وقد كان عدد وتنوع النماذج النظرية التى تعرض لها كبيراً للغاية ، بحيث لا نستطيع سوى اختيار عدد قليل من أكثرها أهمية ، ومن الواضح أن التحليل النفسى ، بالمعنى الواسع للكلمة كان له أكبر التأثير على تطوره الفكرى وعلى المستوى الشخصى والمباشر ، فقد تأثر إلى حد كبير بكل من يونج Jung والكزاندر Alexander وساكس Sachs، كما تأثر بفرويد ولكن من خلال كتاباته بصفة أساسية .

وظهر عمق تأثير التحليل النفسى على آرائه فى السلوك واضحًا ليس فقط فى عمله هو فحسب ، وإنما أيضا فى أعمال العديد من تلامذته ورفاقه مثل : نيفيت سانفورد R. Nevitt Sanford، وسول روزنزويه Saul Rosenzweig، وروبرت هولت Robert R. Holt، وجاردنر لينزى Gardner Lindzey، وكل هؤلاء قاموا معًا بدفع تلاميذهم إلى إجراء دراسات تجريبية وثيقة الصلة بالتحليل النفسى .

وقد ساهمت أبحاث موراى الطبية والبيولوجية فى إضفاء تقدير عميق على رأيه الذى أبداه وكان يؤكد عليه دائما ألا وهو ، أهمية الأساس البيولوجى والجسمى ، وقد أثرت خبرته فى مجال التشخيص الطبى فى إيمانه بأن التقييم المثالى للشخصية ، يجب أن يقوم به فريق من المتخصصين ، وأنه يجب فى هذا التقييم الإصغاء الجاد لكل ما يقوله الشخص عن نفسه . وبالمثل كان اهتمامه بمشكلات التصنيف فى المجال

العلمى، إذ كـان يـعـتـقـد أن الدراسـة المتأنية الدقيقة للحالات الفردية هى أمر جوهرى ومـهم لمستقبل التقدم فى علم النفس ، وكان ذلك مـتسقًا أيضًـا إلى حد كبير مع خلفيته الطبية .

ولقد زودته معرفته الشاملة بالأدب المعاصر والكلاسيكى ، وبصفة خاصة مـعلومـاته المتميزة عن هيرمان ملفيل Herman Melville وأعـمـاله ، بمصـدر ثرى للأفكار عن الإنسـان وإمكانيـاته المحتملة للخير والشر . كما وجد فى ألفـريد نورث وايتـهـد Alfred North Whitehead نموذجًا للتفكير المنطقى والتركيبى ، بينما كان لورنس هندرسون Lawrence J. Henderson بقسـوته ونبوغه بمثابة نموذج للصدام والتوجه النقدى . وقد تشبع تفكيره كثيرًا بعلماء النفس الأكاديميين أمثال : كورت ليفين Kurt Levin ووليام ماكدوجال William McDougall، وأيضًا من خلال صداقته الطويلة مع صديقه وزميله جـوردون أولبـورت Allport W. Gordon، الذى أسهم إسهامًا كبيرًا فى مجال دراسة الشخصية ، وعمل لعقود عديدة كمصدر للإلهام وعدم الإتفاق الودى ، كما تأثر بكلايد كلكهوهن Clyde Kluckhohn فى الأنثربولوجيا الثقافية . فلا عجب أن ينتج عن مثل هذا التزاوج المركب منتج راق ومتقن ومتغير باستمرار ، ولذا فهو يدين لهؤلاء العلماء ،وغيرهم كثيرون من بينهم أجيال عديدة من الطلبة الدارسين ، ويبـدو ذلك فى ثلاث وثائق تحـوى تقـديرهم بإسـهـاب شـديد (١٩٤٠ - ١٩٥٩- ١٩٦٧) وكذلك فى مـجلد يضم عددًا من المقالات التى كتبت على شرفه (White 1963).

وقد كان من الواضح لكل من يعرفونه أن مـوهبـتـه وتفـانيـه فى دراسـة الشـخصية الإنسانية تتمثل جزئيًا فى أعـمـاله المنشـورة ، كـمـا أن مـلاحظاته العرضية وتأملاته الحرة على أعداد لا نهـائيـة من الموضـوعـات زودت تلاميـذه وزمـلاءه بأفكار بحـثـيـة مـثـمـرة ، ولكن لسـوء الحظ : لم تقع كل هذه الملاحظات

والرسـائل فى أرض خـصـبـة كـمـا أنه وباللأسف الشـديد لم تحـفظ الكلمـات الشفهية بحيث تثرى السجل المكتوب . وكان موراى يميل لنشر بعض الثمرات العـارضـة لتـفكيـره الإبداعى فى منشـورات قليلة نجـمت عن سنوات دراسته المكثفة لميلفيل . وقد أكسبته تلك السنوات التى كـرسـهـا لمتـابعـة دراسـتـه مكانة لاتبـارى بين تلامـيـذ ميلفيـل ، ولكنه لم يـكن نُشـر حـتى ذلك الوقت سـوى ورقـتين فـقط تتـعلقـان بموضـوعـات تشـد الانتبـاه : إحـداهمـا تحليل رائع للمعـانى النفسيـة فى رواية مـوبى ديك Moby Dick (Murray 1951)، والأخرى مقدمة للتحليل المتعمق لرواية بيير Pierre (Murray 1949) وهى إحدى أهم روايات ميلفيل المحيرة .

وتحليل مـوراى لموبى ديك يعتـمـد على حنكته فى النظرية النفسية وبصفة خـاصـة فى التـحليل النفـسى ، ولكنه مشتق أيضًا من معلوماته التفصيلية عن حياة ميلفيل وروايته الكبرى . ذلك أنه من الصـعـوبة بمكان تلخـيص تحليل نفسى مركب لمنتج أدبى معقد خصوصًا عندما يكون جـزءًا كبيرًا من قدرة عمل مـوراى على الإقنـاع مـرتبطًا بأسلوب كتابته الثرى والقوى .

وبتـبـسـيط شـديد وصـارم يمكن القول بأن مـوراى كان يختبر ثم يرفض النظرية التى تتـشكك فى إمكان وجـود مـعنى سـيكولوجى فى مـوبى ديك . وجانب كبير من ورقته يقدم الدليل الذى يؤيد الفـرض القـائل بأن "(كـابتن اهاب Captain Ahab) يمثل الشـر ، وأن قـوى الشـر لديه -بالتـعـبـير السـيكولوجى - تعنى القوى البدائية التى لا ضابط لها ، أى الأنا السفلى Id. وعلى النقيض فإن "الحـوت الأبيض" ، مـوبى ديك ، يمثل الذات العليـا superego -وهى القـوى الأخلاقية المنضبطة فى الفرد ، وأيضا التـقـاليـد والجـزاءات الاجتـمـاعـيـة التى كانت جزءًا من مجتمع ميلفيـل.

ومع التـسليم بعـدم كـفـاية المادة المكتـوبة من أعـمـال مـوراى ، إلا إن

البــحث والتنظيــر الســيكولوجى لديه يتمثلان جيداً فى كتاب اكتشافات فى الشخصية Explorations in Personality (Murray et al. 1938) الذى يلخص فيه أفكار وبحوث الفريق فى الحياة النفسية فى نهاية الحقبة الأولى من تواجدها . وهناك جانب آخر مدون جزئياً ، يمثل التتابع البحثى لموراى متضمناً فى كتاب دراسة علاجية للمشاعر A Clinical Study of Sentiments (1945 الذى كتبه موراى مع كريستيانا مورجان Christiana Morgan -شريكته لمدة طويلة . وتتمثل التغيرات الكبرى فى قناعاته التنظيرية التى حدثت على مدى سنوات متتابعة فى فصل كتبه بالاشتراك مع كلايد كلكهون (١٩٤٨) Clyde Kluckhohn، وهو فصل نشر فى كتاب نحو نظرية عامة للفعل Towards a General Theory of Action، وكذلك فى مادة نشرت فى كتاب جدليات Dialectica (1951 b)، وفى فصل نشره فى كتاب علم النفس : دراسة فى العلم Psychology: A study of a Science (1959)، وفى مقال كتبه فى الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية International Encyclopedia of the Social Sciences (1968) كما كان كتاب مفتاح اختبار تقدير الذات الموضوعى The Thematic Apperception Test Manual (1943)، بمثابة أفضل مقدمة لهذه الأداة التى تقيس الشخصية ، وقد ابتكرها بالمشاركة مع مورجان (Morgan & Murray 1935)، و أصبحت واحدة من أكثر أدوات القياس وأكثرها انتشاراً لدى المتخصصين والقائمين باختبار الشخصية ، وقد أظهر مراى حساسية وإبداعاً فائقاً فى تطويره لمعانى تقييم وتحليل القدرات الإنسانية واتجاهات الميول ، وهو ما وضح جلياً وتحقق بحيوية فى كتابه تقييم الإنسان Assessment of men (office.. 1948).

أساليب تقييم الشخصية Methods of personality assessment. نشط موراى إلى حد كبير فى مجال ابتكار أساليب وأدوات عديدة ومختلفة لقياس أو تقييم الشخصية . وتظهر هذه

الأساليب فى عدد من الأعمال المنشورة ، وبصفة خاصة فى كتاب اكتشافات فى الشخصية Explorations in Personality الذى يعرض حسابات جزئية أو تفصيلية تضم مدى واسعًا من الأساليب المختلفة لدراسة الشخصية تحت ظروف مقننة نوعًا ما.

وبلا شك فإن أكثر الأساليب المعروفة هو اختبار تقدير الذات الموضوعى (TAT)، الذى يعتلى الصدارة مع تكنيك رورشاخ Rorschach Technique فى مجال الاختبارات الإسقاطية ، وهذه الأداة إذا تم استخدامها بالشكل التقليدى تتضمن عرض ٢٠ صورة أمام الشخص المستهدف بالقياس ، وكل صورة منها تحتمل عدة تفسيرات ، وذلك عندما يطلب من الشخص تحويل الصورة إلى قصة من خياله ، ويمكن تفسير هذه القصص بوسائل متعددة ، على الرغم من أنه من المتعارف عليه تقليديًا هو أن التأكيد عادة ما يكون على الاحتمالات التى قد تكشف فى القصص جوانب لدى الفرد قد يكون هو نفسه غير مدرك لها.

وقد ينظر البعض إلى الاختبار بعد تطبيقه على أنه يكشف اللاشعور أو الجوانب الخفية من الشخصية ، كما قد يكون بديلاً أو مكملاً للأحلام التى تستخدم فى التحليل النفسى التقليدى . وكان موراى على وعى تام بحقيقة أن اختبار TAT يكشف أيضًا عن الجوانب الظاهرة أو المعروفة للشخصية ، ويعنى ذلك أن الشعور واللاشعور يمتزجان معًا بصورة معقدة .

وقد لجأ علماء نفس كثيرون إلى استخدام نظم حسابية يمكن التوصل بها إلى وضع درجات كمية من قصص اختبار TAT ،وذلك بالنسبة إلى متغيرات معينة مثل الإنجاز achievement والانتماء affiliation والسيطرة domi-nance والجنس Sexuality (Atkinson 1958). وفى واقع الأمر، فإن العديد من الأدبيات التى تناولت تحقق الدوافع achievement motivation ومصدرها وارتباطاتها وتبعاتها بنيت على أساس المفاهيم والأساليب المنهجية لدى موراى .

وقد استخدم الاختبار فى مئات الدراسات التجريبية للشخصية الإنسانية ، وأيضا فى العيادات النفسية للوصول إلى تشخيص نفسى أو فهم للشخصية . ولم يقتصر استخدام الاختبار فقط على المواقف التى تركز على تشخيص وعلاج الحالة ، ولكنه استخدم أيضًا فى المواقف التى كان الهدف منها التنبؤ بمقدرة الفرد على أداء وظائفه بكفاءة إذا كان عليه أن يقوم بأدوار فى المجال الصناعى أو العسكرى .

الدوافع الإنسانية Human Motiva-tion :

يقع فى قلب علم النفس لدى موراى اهتمام عميق بوضع مفاهيم للدوافع وقياسها ، ولذلك فمن الأفضل أن ننظر إلى العديد من مقاييس الشخصية التى وضعها على أنها بصفة أساسية محاولة لإيجاد وسائل وأدوات لتقييم المتغيرات الدافعية التى يعتبرها محددات جوهرية للسلوك البشرى . ولم يكن موراى وحده هو الذى اهتم بالدوافع ، لأنه يدين بعمق فى هذا المجال لفرويد ويونج ، خصوصًا فى تأكيده على الدوافع الكامنة بنفس درجة التأكيد على الدوافع الظاهرة ، ويضع موراى حدودًا فاصلة بين التعريف التفصيلى لما يرى أنه دوافع أساسية Key motives، ومفاهيم أساليب القياس ، ويربط بين بعضها البعض كما يربطها أيضا بالسياق البيئى الذى تعمل فيه .

وعلى الرغم من أن الإطار المفاهيمى التنظيرى لديه قد أُدخلت عليه تعديلات كثيرة ، فإن مفهوم "الحاجة need" ينظر إليه بصفة عامة باعتباره المفهوم الأول والأساسى فى كتابه اكتشافات فى الشخصية Explo-rations in Personality، وهى غالبا أهمها وأكثرها تأثيرًا مقارنة بأى من كتاباته الأخرى. ففى هذا العمل قام بتحديد عشرين حاجة أساسية .

ونرصد هنا عدداً منها مع تعريفات مختزلة وهى : الإذلال abasement (الخضوع بسلبية لقوى خارجية ، قبول الإهانة واللوم والنقد والعقاب ، الاستسلام ، التسليم بالقدر ، تقبل الدونية والخطأ والأداء السيئ أو الهزيمة . الاعتراف والتكفير ، اللوم وتحقير الذات أو تشويهها ، البحث عن الألم والعقاب والمرض وسوء الحظ والاستمتاع بذلك) ، الإنجاز achieve- ment (تحقيق شيء صعب ، الهيمنة والقيادة ببراعة أو تنظيم موضوعات مادية أو بشرية أو أفكار ، تأدية ذلك بأقصى سرعة وباستقلالية تامة ، التغلب على العقبات والوصول إلى أعلى المستويات ، التفوق على النفس ، التنافس مع الآخرين والتفوق عليهم . إيجابية النظرة إلى الذات بالممارسة الناجحة للموهبة) ، الولاء affiliation (التعاون والتبادل بسعادة مع شخص آخر حليف شخص آخر شبيه بالفرد أو يميل إلى هذا الفرد ، أن يسعد ويكتسب عاطفة الآخر ، الالتحام بالصديق واستمرار الوفاء له) ، العدوان aggres- sion (التغلب على المعارضة باستخدام القوة ، التصارع ، الانتقام من الأذى ، الهجوم وإلحاق الأذى أو قتل الآخر ، المعارضة بقوة أو عقاب الآخر) ، الاستقلالية autonomy (أن يكون حراً ، الرعب من القيود ، كسر القيود ، مقاومة الضغط والقيود ، تجنب أو الهروب من الأنشطة التى تمارس من سلطات مسيطرة ، عدم الاعتماد والاستقلال ، الحرية فى التصرف وفقًا للدافعية . اللاانتماء واللامسئولية ، تحدى التقاليد) ، السيطرة dominance (التحكم فى البيئة الانسانية للشخص . أو توجيه سلوك الآخرين من خلال الاقتراحات أو الإغراء أو الإقناع أو الأمر . المنع والقمع) التعاطف nurtu- rance (الشفقة والإشباع لحاجات من لاحول ولاقوة لهم: كالأطفال أو أى كائن آخر ضعيف ، معوق ، متعب ، ليست لديه خبرة ، عاجز ، مهزوم ، وحيد ،

مرفوض ، مريض ، مضطرب عقليًا . مساعدة شخص فى خطر . يُغذى ، يساعد ، يساند ، يعزى ، يحمى ، يرعى ، يداوى) ، الضعف Succorance (إشباع الحاجات من خلال طرف أخر أى التعاطف والمساعدة من جانب شخص حليف . تلقى التداوى والتأثير والحماية والالتفاف والحب والنصيحة والتوجيه ، التسامح والتهدئة . يظل قريبًا من شخص يحميه بإخلاص ويكون له دائما شخص يسانده) .

وإضافة إلى تحديد هذه الحاجات الكبرى ، كان موراى دائماً يميز بينها بأساليب متعددة ، فكان يميز بين الحاجات المعلنة والخفية ، والحاجات الغريزية مقابل الحاجات ذات المنشأ النفسى ، والحاجات المتوقعة وتلك التى تمثل رد فعل ، والحاجات البؤرية فى مقابل الحاجات المشوشة أو غير المحددة .

وعلى الرغم من أن مفهوم موراى عن "الحاجة need" تقابله تعريفات عديدة متوازية لدى علماء نفس آخرين ، بما فى ذلك المصطلحات الشائعة مثل : السمة trait، والغريزة instinct، والدافع motive، والنزعة disposition، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى إضافته لمفهوم "الضغط Press" ، إذ يفتقر إلى تشابه مقارن مع غيره من علماء النفس الآخرين . وتعد الحاجات مفهومًا للنزوع يمثل الدوافع الأساسية للسلوك ، بينما يشير مفهوم الضغط إلى الجوانب ذات الدلالة فى البيئة التى تؤثر فى السلوك أو تحدده . وعلى ذلك فإن الجمع بين المفهومين معا يمثل نسقًا تنظيميًا من محددات السلوك النفسية - البيولوجية والبيئية . وفى ذلك يقول موراى: "إن ضغط موضوع ماهو مايستطيع أن يفعله للشخص أو من أجل الشخص، إنه القوة التى تؤثر فى كيان الشخص بصورة أو بأخرى" (Murray et al. 1938, p.121).

وعلى الرغم من أن كثيرين من علماء النفس قد أكدوا على أهمية تعريف وتمثيل البيئة المدركة التى

يتواجد ويعمل فيها الناس ، فإن قلة منهم ذهبوا إلى ما وراء الوصف الطبيعى لها ، لذلك فقد كانت مفاهيم موراى وتأكيداته بمثابة سوابق مهمة لما أصبح يطلق عليه أحياناً البيئة النفسية psychology environmental أو الإيكولوجيا النفسية psychological ecology.

وكنماذج للاستشهاد على مفاهيم الضغط لدى موراى نجد أنها تتمثل فى : التفكك الأسرى ، اختلاف نظام الحياة ، فراق الأبوين ، غياب أحد الأبوين ، مرض الأبوين أو أحدهما ، نقص أو دونية أحد الأبوين ، التنافر بين الأبوين ، الفقر ، البيوت غير المستقرة أو التى تفتقد بعض الجوانب المادية مثل: نقص المياه ، الظلام ، الوحدة ، الطقس السيئ ، الإنارة ، التدفئة ، الحوادث ، نقص أو فقدان التغذية ، الممتلكات ، الصحبة ، أو غير ذلك كفقدان التعاطف ، والضعف ، والحاجة للحنان ، والحماية ، الثناء ، التقدير ، الانتماء والصداقة .

إن مناقشة الأهمية النسبية للسمات أو أية نزعات ثابتة فى مواجهة الأهمية الخاصة بالمحددات الموقفية للسلوك ، تؤدى إلى نوع من التقبل العام للوضع التفاعلى بينهما . وهذا الوضع يشير إلى أن دلالة السمة أو النزعة يجب تقييمها دائما من خلال ارتباطها بعمل مجموعة معينة من المواقف أو العوامل البيئية ، وكما ذكرنا من قبل ، فإن موراى كان دقيقًا فى تحديد التداخل بين الحاجات والضغوط ، وبالتالى فى التفاعل بينهما ، ومن ثم فإن الوضع السائد حاليا ماهو إلا انعكاس لآرائه التى ذكرها منذ أكثر من ثلاث حقب مضت .

دراسة الفرد Study of the individual:

كان موراى مدافعًا قويًا عن الاقتراب المنهجى المتعلق بدراسة السلوك الانسانى الذى يبنى على أساس إجراء دراسات تفصيلية لعدد قليل من الحالات للأفراد ، وذلك فى مقابل الاقتراب ، أو المدخل الذى يركز بطريقة عرضية على أعداد كبيرة من

الأفراد ، وكان يرى أنه يمكننا أن نتعلم الكثير من خلال الدراسات المتعمقة التى تختبر حياة الأفراد على المدى الطويل من منظور متعدد ، وذلك أكثر من القيام بإجراء دراسة ضيقة ومحددة الهدف على عدد كبير من الأفراد.

وقد كان اهتمامه بدراسة الأفراد دراسة دقيقة طويلة المدى ، متوافقًا مع توجه أولبورت Allport وتأكيده على دراسة تاريخ الحياة . كذلك فإن عدم ثقته فى نتائج الأبحاث التى تصف نتائج كلية مجمعة ، يتماشى مع تأكيد بى. إف سكنر B.F Skinner على أهمية تسجيل النتائج بالنسبة إلى كل فرد على حدة أكثر من نتائج المجموعات الكبيرة .

ولم يكن موراى يعتقد فى أهمية دراسة الأفراد كحالات منفردة فحسب ، ولكنه كان يعتقد أيضا أننا نستطيع أن نتعلم أكثر من دراسة السلوك السوى فى مقابل السلوك غير السوى ، وكان يرى أنه تجب دراسة الفرد من خلال أكثر من مراقب ، وكان يستخدم مصطلح "المجلس التشخيصى diag-nostic council" ، ويقصد بذلك الإجراءات التى يقوم من خلالها مجموعة من الأشخاص المراقبين المدربين بدراسة فرد واحد بمداخل وأساليب مختلفة حتى يتوصلوا إلى التركيب والتكامل بين جملة النتائج المتحققة لدى كل منهم ووضع تصور إجمالى للفرد الخاضع للدراسة . وكنتيجة لذلك فإن بحث موراى يتضمن أعدادًا صغيرة من الأفراد ممن تمت دراستهم دراسة متعمقة على مدى سنوات باستخدام باحثين متعددين . ومن أفضل الأمثلة على هذا المدخل : "American Icarus" (1955) وسلسلة من دراسات تاريخ الحياة نشرت مع كريستيانا مورجان Christiana Morgan تحت عنوان "A Clinical Study of Sentiments" (1945).

ومما يؤكد أهمية موراى وإسهاماته فى مجال علم النفس استمرار الاهتمام بدراسة الدوافع

الإنسانية والفروق الفردية فيها ، وقد ظل كتاب اكتشافات فى الشخصية Explorations in Personality بعد مضى أربعة عقود على نشره واحداً من أهم المجلدات وأكثرها تأثيراً فى مجال الشخصية ، ولايوجد ما يدعو لتوقع حدوث تغيير فى هذا خلال العقود الأربعة القادمة(*).

(*) توفى هنرى موراى فى الثالث والعشرين من يونيو عام ١٩٨٨ وهو فى الخامسة والتسعين من العمر . (المراجع)

المؤلف : Gardner Lindzey

المترجمة : سلوى العامرى

WORKS BY iMurray

WORKS BY MURRAY

1935 MORGAN, CHRISTIANA D.; and MURRAY, HENRY A. A Method for Investigating Fantasies: The Thematic Apperception Test. *Archives of Neurology and Psychiatry* 34:289–306.

1938 MURRAY, HENRY A. et al. *Explorations in Personality: A Clinical and Experimental Study of Fifty Men of College Age.* New York: Oxford.

1940 What Should Psychologists Do About Psychoanalysis? *Journal of Abnormal and Social Psychology* 35:150–175.

1943 *Thematic Apperception Test Manual.* Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press.

1945 MURRAY, HENRY A.; and MORGAN, CHRISTIANA D. A Clinical Study of Sentiments. *Genetic Psychology Monographs* 32:3–311.

(1948) 1953 MURRAY, HENRY A.; and KLUCKHOHN, CLYDE Outline of a Conception of Personality. Pages 3–49 in Clyde Kluckhohn and Henry A. Murray (editors), *Personality in Nature, Society, and Culture.* 2d ed., rev. & enl. New York: Knopf.

1949 Introduction. In Herman Melville, *Pierre, or the Ambiguities.* New York: Hendricks House.

1951*a* In nomine diaboli. *New England Quarterly* 24:435–452. → Address delivered at Williams College at the centenary celebration of the publication of *Moby Dick.*

1951*b* Some Basic Psychological Assumptions and Conceptions. *Dialectica* 5:266–292.

1951*c* Toward a Classification of Interactions. Pages 434–464 in Talcott Parsons and Edward A. Shils (editors), *Towards a General Theory of Action.*

Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press. → A paperback edition was published in 1962 by Harper.
1955 American Icarus. Volume 2, pages 615–641 in Arthur Burton and Robert E. Harris (editors), *Case Histories in Clinical and Abnormal Psychology*. Volume 2: Clinical Studies in Personality. New York: Harper.
1959 Preparations for the Scaffold of a Comprehensive System. Volume 3, pages 7–54 in Sigmund Koch (editor), *Psychology: A Study of a Science*. New York: McGraw-Hill.
1967 Autobiography. Volume 5, pages 283–310 in *A History of Psychology in Autobiography*. Edited by E. G. Boring and Gardner Lindzey. New York: Appleton.
1968 Personality: Contemporary Viewpoints: II. Components of an Evolving Personological System. Volume 12, pages 5–13 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

ATKINSON, JOHN W. (editor) 1958 *Motives in Fantasy, Action, and Society*. Princeton, N.J.: Van Nostrand.
Nostrand.
JUNG, CARL G. (1921) 1971 *Collected Works*. Volume 6. Psychological Types. Princeton Univ. Press. → Originally published in German.

Office of Strategic Services Assessment Staff 1948 *Assessment of Men: Selection of Personnel for the Office of Strategic Services.* New York: Rinehart.
White, Robert W. (editor) 1963 *The Study of Lives: Essays on Personality in Honor of Henry A. Murray.* New York: Atherton.

موورار ، أو. إتش .

MOWRER , O. H.

ولد أو . هوبارت موورار عام ١٩٠٧، وعمل أستاذًا باحثًا متفرغًا لعلم النفس فى جامعة إلينوى . وكان موورار قوة خلاقة مبدعة ومثيرة للجدل والحوار فى مجال العلوم السلوكية خلال الأربعين عامًا الأخيرة من عمره. وكانت موهبته مثار قدر كبير من الإعجاب، والنقد البالغ الحدة سواء بين صفوف العلماء أو غير المتخصصين من خلال عاملين اثنين. ففى عصر يتميز بالتخصص فى مجال واحد فقط كان موورار يبدو كما لو كان أحد مفكرى عصر النهضة إذ كان يأبى التقيد بميدان تخصصه ، كذلك كان على استعداد دائم للدخول فى معارك فكرية سواء فى مجال علم النفس أو فى غيره من الميادين ، مستعينًا فى ذلك بقدرته الفائقة على التهكم اللاذع ، وخليق بمثل هذا المفكر أن يُنظر إليه إما على أنه مجدد جسور ومستنير ، وإما على أنه بعيد تمامًا ودخيل على العلم .

بدأ موورار حياته العملية طالبًا جامعيًا فى جامعة ميسورى (١٩٢٥ - ١٩٢٩) تحت إشراف ماكس إف. ماير Max F. Meyer وهو أحد العلماء السلوكيين الرواد المتشددين رغم تأثره بجون واطسون ، وقد انعكس اهتمام ماير بآلية السلوك على أبحاث موورار الأولى عن الانعكاسات اللاإرادية ، وتجلى هذا التأثير فى البداية حين كان موورار يدرس فى مرحلة الدراسات العليا تحت إشراف نايت دنلاب Knight Dunlap فى جامعة جون هوبكنز (حصل موورار على دكتوراه الفلسفة عام ١٩٣٢) ، وبعدها أصبح زميلاً فى جامعات برنستون وساوث وسترن وييل . ومن المفارقة أن يعكس اختيار ذلك الميدان من البحث سمة خاصة أصبحت أكثر وضوحًا أثناء تقدم مشواره المهنى ، وهى عدم قدرته على التخلص من

الغموض والبلبلة اللذين أحاطا بتوجهاته حين كان فى بالتيمور وساعداه فى الوقت نفسه على الاهتمام بالظواهر اللاإرادية والموجّهة .

فى عام ١٩٣٤،انتقل موورار إلى جامعة ييل لكى يواصل دراساته لوظائف الانعكاسات اللاإرادية تحت إشراف رايموند دودچ Raymond Dodge. وكانت جامعة ييل فى ذلك الوقت خليّة نحل لتبادل الآراء البينية، وذلك عقب إنشاء "معهد الدراسات الإنسانية" عام ١٩٢٩ ، وبتأثير هذا المثير الجديد انتهى اهتمام موورار بعلم النفس الميكانيكى mechanistic psy- chology وعاد إلى مناقشة بعض التساؤلات الأخرى التى يهتم بها علماء النفس السلوكى ، والتى كانت تغزو ذهنه منذ مرحلة الدراسة الجامعية الأولى مثل " ألا يختلف الوضع المعملى تمامًا عن السلوك الذى نخضعه للملاحظة فى الحياة اليومية ؟ " (١٩٣٨) ، أو " أيجب ألا نفترض وجود حالة دافعية (الخوف) لتفسير تجنب سلوك معين ، ورغم أنه سلوك وظيفى إلا إنه يصعب إعادة تجربة الاستجابة غير الشرطية (الهروب) له ؟ (Mowrer, 1939, 1940 ; Mowrer & Lamoreaux 1942; 1946)?

ورغم أن موورار يعتبر واحدًا من الرواد الذين اهتموا بتطبيق "تعديل السلوك" behavior modification فإنه لم يكن قط عالمًا سلوكيًا بالمعنى الدقيق للكلمة ، إذ كان أكثر اهتمامًا بفهم وتفسير السلوك من التنبؤ به . ومع أنه كان قد اعترف بالمتغيرات الدخيلة in- tervening variables فإنه كان يعتبرها وسائل ملائمة ومساعدة، ويحاول أن يجعل منها أبنية افتراضية ممكنة فى ظاهرها ، ولقد استشهد فى إعجاب وتقدير بنقد جوردون أولبورت Gordon Allport للمثير والاستجابة فى النزعة السلوكية واعتبارها عديمة الجدوى وأقرب إلى "سيكولوچيا الكائن العضوى الخاوى " psychology of empty or- ganism ، ولاحظ أن التحدى الذى يجب

مـواجـهـتـه هـو ملء ذلك الخـواء بأبنيـة مقنعة عن طبيعة الحيوانات والإنسان بصفتهم كيانات قابلة للتعلم والمعرفة والحسم .

وحتى حينما تحول موارر من التصور "الحركي" motoric إلى التصور "العقلي" mentalistic فإنه كان يضمر تحولاً آخر عن المذاهب التقليدية المتفق عليها ، وكانت مشاركته مع كلارك "هل" Hull" عميقة للغاية، كما كانت أفكاره الأولى متطابقة مع نظرية "هل" عن أحادية التعلم . وفي هذه النظرية اعتبر الخوف استجابة ذات خصائص دافعية ، ولكنها استجابة متعلمة أو مكتسبة كغيرها من الاستجابات ووظيفة للتعزيز المباشر الفوري ، بيد أن موارر لم يلبث أن أثار بعض الشكوك القوية حول تلك النظرية ، فقد لاحظ أنها تفترض أن المكافأة على استجابة الخوف (أي إضفاء الطمأنينة على الطفل الخائف) سوف تقوى الخوف بينما "معاقبة الخوف" - أي تأنيب الطفل الخائف ولومه - تؤدي إلى إضعاف الخوف ، بينما العكس هو بالتاكيد الأقرب للصحة .

وقد انتهى موارر إلى أن الخوف يتضمن مبدأ للتعزيز يختلف عن العادات الحركية ، ووضّح بالتفصيل نظريته المشهورة عن وجود عاملين في التعليم (١٩٤٧) . وقد اعترف بأنه سبق لعدد من المفكرين التعرض لمثل هذا التشعب الثنائي مثل سى . إس. شرينجتون C. S. Sherrington (1906) وسكينر B. F. Skinner (1935) وچرزى كونورسكى Jerzy Konorsky وستيفان ميلر Stefan Miller (1937) وهارولد شلوسبرج Harold Schlosberg (1937) . بيد أن موارر صاغ قضية متميزة تعتمد على مجموعة كبيرة من الأبحاث السابقة التي أعاد صياغتها للتوفيق بينها ثم حاول فيما بعد أن يبرهن بشكل قاطع أن الخوف لايلتزم بمبادئ تعزيز المكافأة ،وإنما يلتزم بمبادئ الإشراط عند بافلوف Mowrer 1950, Mowrer & Aiken 1954, Mowrer & Sol-

omon 1954. ويعتقد الكثيرون أن مورار كان مصيبًا فى ذلك .

بيد أنه لم تكد هذه الأبحاث الداعمة تنتشر حتى أبدى مورار نفسه بعض الانتقادات المهمة ، وكان الدافع هنا أيضًا تجربة شخصية حدثت هذه المرة فى معمل جرانت فيربانكس Grant Fairbanks زميل العمل فى جامعة إلينوى وأستاذ الكلام الذى اخترع جهازًا سمعيًا للتغذية المتأخرة . وقد دفع الفضول مورار إلى الخضوع للتجربة ، فحاول أن يتكلم ويقرأ . وحين استمع إلى كلماته بعد خمس وعشرين ثانية من النطق بها وجد لها خاصية متميزة ، ولكنها كانت مع ذلك صدمة غير متوقعة بالنسبة إليه ، فقد تحول كلامه المتدفق فى العادة إلى مجرد (لجلجة) وكلمات متقطعة تنم عن العجز ، ومن تلك اللحظة أدرك مورار أنه لن يستطيع أن يدعم نظرية ثورندايك - "هل" عن روابط التعلم الحركى التى تطورت وفق نظريته عن ثنائية العوامل..

بعد ذلك بقليل نشر مورار "طبعة معدّلة لنظرية ثنائية العوامل ١٩٥٦ "عاد فيها إلى أعمال باڤلوف عن التعلم ، ولكنه تمسك بفكرة وجود شرطين تعزيزيين هما : تفاقم الحافز (تعلم الخوف) واختزال الحافز (تعلم الأمل) . وباسترجاع أعمال إدوارد سى. تولمان Edward C. Tolman أكد مورار أن السلوك الظاهر (الحركى) لايتم تعلمه وأنه غير ثابت تبعًا لفئات متصاعدة للمثير والاستجابة ، وبدلا من ذلك فإن مايتم تعلمه هو مجموعة من حالات الاتجاهات العاطفية الإيجابية أو السلبية المرتبطة بأحداث المثير أى السلوك (الحركى أو المرئى أو السمعى) . ويعد مثل هذا السلوك انعكاسًا مرنًا ومتغيرًا وليس سلوكًا آليا وتلقائيًا ، وتظهر "العادات habits" نتيجة العواقب الحسية للسلوك السليم التى تكشف بطريقة منتظمة عن أقصى ردود الفعل ، أى الأمل ، وأدنى ردود الفعل ، أى الخوف . ولتفسير مبادرة

وقيمة اختيار السلوك الذى يوجهه هذا المفهوم (التغذية المؤازرة) توسع مورار كثيراً فى مجال علم النفس المعرفى وذلك فى كتابه : نظرية التعلم والعمليات الرمـــزية Learning Theory and the Symbolic Processes (1960b.) وهـو الجزء الثانى من عمل ضخم عن التعلم بلغ فيه مورار الذروة .

ومن ذلك الوقت استغرق مورار فى دراسة موضوع الاضطراب والتخلص منه فى السلوك البشرى ، وهو موضوع كان محل اهتمامه لفترة من الزمن أطول مما يُستدل عليه من أعماله المنشورة . وكان واضحًا استعداد مورار للاستفادة من تجاربه الشخصية وكشفها وإفشائها فى هذا الصدد . وقد تتبع فى وصف سيرته الذاتية ومعاركه (١٩٦٦-١٩٧٤) صراعاته ضد الاكتئاب وجهوده المبدئية للتغلب عليه من خلال التحليل النفسى .

فى عام ١٩٤٥ ،ظهر واضحاً أثناء حلقة نقاش مع هارى ستاك سوليفان HARRY Stack Sullivan اتجاه مورار للابتعاد عن علم النفس التحليلى ، ثم جاء انفصاله الرسمى عن التقليد الفرويدى فى بحثه الكلاسيكى الذى نشره عام ١٩٤٨، وعرض فيه التناقض الظاهرى لدى العصابيين ، وقد رفض مورار فى ذلك البحث وما تلاه من بحوث فكرة التعلم الزائد (الصدمة النفسية) التى تبناها فرويد وآخرون لتفسير السلوك المترتب على هزيمة الذات و ماعدا السلوك المتكرر الذى يجلد الذات (التناقض الظاهرى لدى العصابيين) . وقد اعتقد أن التناقض الظاهرى شىء من صنع التصورات). وقد ذهب مورار إلى أن العصاب شكل من أشكال"الجهل " ignorance وسوء التعلم وليس نتيجة للتعلم الزائد ، وأن الشخص العصابى تعلم المبالغة فى الكتمان والسلوك المخادع والعناد (القياس الكامل للاهتمام المناسب والذنب) . والواقع أنه يمكن فهم أفعاله؛ لأن مايفعله هو ما نحاول نحن

أن نقوم به من أجل الحصول على الإشباع المباشر . واللغز المحيّر - إذا كان هناك لغز -يكمن في الفرد السوى normal الذى يمكنه حين يصل لمرحلة البلوغ أن يملك القدرة على مقاومة هذا الإشباع الوقتى فى سبيل تحقيق الأهداف البعيدة .

وإحباطات اللحظات الأخلاقية المفاجئة عند الفرد - وليس نزعاته البيولوچية - هى التى تولد القلق الداخلى ، ولكى يوضح موورار هذه النقطة أكد أنه يفضل استخدام مفهوم "الخطيئة " sin بدلاً من كلمة "مريض " sick لوصف الأشخاص الذين يعانون اضطرابات نفسية وعقلية (c 1960) ، ولم يكن هناك وصف أصدق من ذلك . وكان رد الفعل بالغ الحدة بل لاذعًا للغاية ، ولكن على الرغم من أن بعض الاستجابات أخطأت فهم المقصود تماما ، فإن الكثيرين استشهدوا بالمقال فى عدد كبير من الأعمال العلمية الرصينة .

ثمّ جاءت التجربة الكبرى ، فإذا كانت الاضطرابات الإنسانية اضطرابات فى العلاقات بين الأشخاص بقدر ما هى اضطرابات أخلاقية فى جوهرها ، فلماذا لا نطلب العون من رأس المال الضخم المتمثل فى القوى البشرية والأملاك العينية المتوفرة لدى مؤسسة الكنيسة ؟ وقد رأى الكثيرون من زملائه فى ذلك انحرافًا عن النهج العلمى المهنى فى أقصى صوره ، واستسلامًا للغيبيات على أقل تقدير ، ولكن فى الوقت ذاته شعر الكثيرون من رجال الدين بالتأنيب إزاء تحليله الساخر المؤلم (١٩٦١) لتنكر الكنيسة للمبادئ القديمة وانشغالها بالأمور الإلهية على حساب مشاعر الأخوّة وإغفال "مرض الروح " soul sick وتركه للعلاج الدنيوى الذى يتولاه المحللون النفسيون.

ولم تكن الكنيسة بعيدةً تمامًا عن فكر موورار؛ لذا سرعان ما اكتشف وجود قصور كامن فى بنيتها . ونزولاً على رغبته الجارفة فى الابتعاد عن كل ماهو غير عملى بدأ فى فحص الجمعيات التى تعنى بالمساعدة الذاتية

(b 1966). وتشير مراجعة البحث إلى أنه كان يؤازر باستمرار فكرة أن الأشخاص غير الأسوياء يميلون إلى خرق معايير المجتمع المحلى الذى ينتمون إليه ويتبعون معايير مخالفة . وكان يبدى تقديره المتزايد لمؤسسة Alcoholics Anonymous وغيرها من المؤسسات غير المهنية التى تعالج بكفاءة مثل هذه القضايا الإنسانية .

عندما بلغ مورار سن التاسعة والستين أعاد النظر مرة أخرى فى نظريته مدفوعًا فى هذه المرة أيضًا بتجربته الشخصية ، ورغم أنه لم يعان من الاكتئاب فى أغلب الأوقات لمدة ثلاثة عشر عاما ، فإنه تذكر حادثة دفعته عام ١٩٦٩ إلى تناول عقاقير مهدئة مما حثَّه على إجراء بحث جديد عن الاستعدادات الوراثية وتعديل نظرته الصارمة إلى التعلم الاجتماعى للاضطراب والاختلال . وقد استخلص من تجربته الشخصية ومراجعته للأبحاث أن مفهوم الاستعداد للإجهاد والتوتر هو الأكثر صوابًا ودقة (١٩٧٦) .

وفى الستينيات أبدى عالم النفس المشهور إقار لوقاس Ivar Lovaas لكاتب هذا المقال الملاحظة التالية : " إنك تعتقد أنك حققت فكرة جديدة وهى عقاب الأطفال والعجز المتعلم وما إلى ذلك ولكنك تستعين فى الحقيقة بالأدبيات ومنها أعمال مورار . وإنه لمن المثير للدهشة والإعجاب أنك تعرف المجال الجديد الذى اكتشفه مورار " . وليس من شك فى أن مورار سوف يستمر فى الاكتشاف والمراجعة(*).

(*) الواقع أن مورار توفى عام ١٩٨٢ ، وكان يعتقد أن علم النفس الحديث يرتكز على نتائج خاطئة توصل إليها فرويد ، وأن الكنيسة المسيحية تخلّت عن واجباتها الحقيقية ، وأصبحت (مريضة) وعاجزة عن مساعدة المحتاجين حين تأثرت بتلك الآراء الفرويدية . (المراجع)

المؤلف : V. Edwin Bixenstine

المترجم : سعيد فرح

WORKS BY MOWRER

WORKS BY MOWRER

1934 MOWRER, O. H.; and FEARING, FRANKLIN The Effect of General Anaesthesia Upon the Experimental Reduction of Vestibular Nystagmus. *Journal of General Psychology* 11:133–144.

1938 Preparatory Set (Expectancy): A Determinant in Motivation and Learning. *Psychological Review* 45:62–91.

1938 MOWRER, O. H.; and MOWRER, W. M. Eneuresis: A Method for Its Study and Treatment. *American Journal of Orthopsychiatry* 8:436–459.

1939 A Stimulus–Response Analysis of Anxiety and Its Role as a Reinforcing Agent. *Psychological Review* 46:553–565.

1940 Anxiety-reduction and Learning. *Journal of Experimental Psychology* 27:497–516.

1942 MOWRER, O. H.; and LAMOREAUX, R. R. *Avoidance Conditioning and Signal Duration: A Study of Secondary Motivation and Reward.* Psychological Monographs, Vol. 54: Whole no. 5.

1946 MOWRER, O. H.; and LAMOREAUX, R. R. Fear as an Intervening Variable in Avoidance Conditioning. *Journal of Comparative Psychology* 39:29–50.

1947 On the Dual Nature of Learning: A Reinterpretation of "Conditioning" and "Problem Solving." *Harvard Educational Review* 17:102–148.

1948 Learning Theory and the Neurotic Paradox. *American Journal of Orthopsychiatry* 18:571–610.

1950 *Learning Theory and Personality Dynamics: Selected Papers.* New York: Ronald.

1953 Neurosis: A Disorder of Conditioning or Problem Solving? New York Academy of Sciences, *Annals* 56:273–288.

1954 MOWRER, O. H.; and SOLOMON, L. N. Contiguity vs. Drive-reduction in Conditioned Fear: The Proximity and Abruptness of Drive-reduction. *American Journal of Psychology* 67:15–25.

1954 MOWRER, O. H.; and AIKEN, E. G. Contiguity vs. Drive-reduction in Conditioned Fear: Temporal Variations in Conditioned and Unconditioned Stimulus. *American Journal of Psychology* 67:26–38.

1956 Two-factor Learning Theory Reconsidered, With Special Reference to Secondary Reinforcement and the Concept of Habit. *Psychological Review* 63:114–128.

1960*a*) 1973 *Learning Theory and Behavior.* Huntington, N.Y.: Krieger.

1960*b* *Learning Theory and the Symbolic Processes.* New York: Wiley. → Companion book to 1960*a*.

1960c "Sin," the Lesser of Two Evils. *American Psychologist* 15:301–304.

1961 *The Crisis in Psychiatry and Religion*. Princeton, N.J.: Van Nostrand.
1966a *Abnormal Reactions or Actions? An Autobiographical Answer*. Dubuque, Iowa: Brown.
1966b Integrity Therapy: A Self-help Approach. *Psychotherapy: Theory, Research and Practice* 3:114–119.
1968 New Evidence Concerning the Nature of Psychopathology. Volume 1, pages 113–193 in Marvin J. Feldman (editor), *Studies in Psychotherapy and Behavior Change*. Volume 1: Research in Individual Psychotherapy. Buffalo Studies, Vol. 4, No. 2. Buffalo, N.Y.: State University of New York at Buffalo.
1974 Autobiography. Volume 6, pages 329–364 in *The History of Psychology in Autobiography*. Edited by Gardner Lindzey. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.
1976 Changing Conceptions of "Neurosis" and the Small-groups Movement. *Education* 97:24–62.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

KONORSKI, JERZY; and MILLER, STEFAN 1937 On Two Types of Conditioned Reflex. *Journal of General Psychology* 16:264–272.
SCHLOSBERG, HAROLD 1937 The Relationship Between Success and the Laws of Conditioning. *Psychological Review* 44:379–394.

Sherrington, C. S. (1906) 1948 *The Integrative Action of the Nervous System*. 2d ed. New Haven: Yale Univ. Press.

Skinner, B. F. 1935 Two Types of Conditioned Reflex and a Pseudo Type. *Journal of General Psychology* 12:66–77.

مورفى . جاردنر

MURPHY, Gardner

يحقق بعض العلماء الشهرة باعتبارهم من المنظرين مثل Nسحق نيوتن، بينما يحقق أخرون الشهرة باعتبارهم من المخترعين مثل توماس إديسون ، إلا أن نادرًا ما يحقق عالم ما شهرة بشكل أساسي لكونه معلمًا . وكان جاردنر مورفي واحدًا منهم . فقد عكف على تعليم عدد من الأجيال من علماء النفس من خلال دروسه الرائعة والمحاضرات التى دُعى إلى إلقائها، بل قام بتعليم الكثيرين ممن لم يلتق بهم وذلك من خلال كتبه التى تغطى تقريبًا مجال علم النفس بأكمله، كما أنه أيضًا علّم كيفية إجراء أبحاث دقيقة ومنظمة من خلال إجرائه للأبحاث في مجال ما وراء علم النفس parapsychology، وعلم النفس الاجتماعي، وديناميكيات الشخصية، والوظائف المعرفية - الإدراكية cognitive-perceptual functioning.

كان رجلاً وثق به زملاؤه وطلابه وأصدقاؤه بشكل فطرى عندما انطلق يصطحبهم فى رحلات للبحث عن المعرفة ، ولم يكن مهمًا من إين تأتى المعرفة، سواء من أوديسيوس فى الإغريقية الأصلية، أو شكسبير، أو سيجموند فرويد، أو چان بياچيه، أو ويليام س. چيلبرت، أو أرثر سوليڤان، أو موهاندس ك. غاندى، أو أفلام الصور المتحركة، أو الأبحاث المنشورة ، فكانت دروسه تتضمن فى الكثير من الأحيان كل هذه المصادر بل أكثر منها ، وكان يحرص على تشجيع طلابه على استكشاف كل شيء ، وكثيرًا ما كانوا يتجاوزون حدود ما يتوقعونه بكثير.

إن الوقائع المعروفة عن حياة مورفي لا تمثل فى الحقيقة أكثر من شواهد على إنجازاته والتغييرات التى استحدثها، لكنها لا تخبرنا عن "الأمور البينية" الأخرى المثيرة للاهتمام والمهمة

فى آن ، وإن كانت تقدم فى الوقت ذاته علامات تساعد على تحديد جذور أو أسس أفكاره وسبل ربطها ببعضها البعض من حيث تأثيرها فى تطور أفكار غيره من علماء النفس .

ولد جاردنر مورفى (١٨٩٥-١٩٧٩) فى ولاية أوهايو، وحصل على درجة الليسانس من جامعة ييل عام ١٩١٦، ودرجة الماجستير من جامعة هارڤارد عام ١٩١٧، ودرجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام ١٩٢٣, وحصل على زمالة هودجسون Hodg-son fellow من جامعة هارڤارد عامى ١٩٢٢ و١٩٢٣، ثم كان بين عامى ١٩٤٠ و ١٩٥٢، أستاذًا ورئيس قسم علم النفس بكلية سيتى فى نيويورك. وأصبح مديرًا لقسم البحوث فى مؤسسة مينينجر فى توبيكا بولاية كانساس عام ١٩٥٢، حيث ظل حتى عام ١٩٦٧، عندما تم ترشيحه أستاذًا زائرًا فى جامعة چورچ واشنطن بواشنطن.

ظل مورفى طوال حياته انتقائيًا، يستعير بشكل كبير من العديد من المصادر ، بل إن مولده نفسه كان شكلاً من أشكال توحيد التنوع، فكان والده قسيسًا فى الكنيسة الأسقفية فى تكساس، وكان ليبراليًا عمل على تأسيس لجنة عمالة الأطفال القومية. أما والدته فكانت من اليانكى فى نيو إنجلند وتعمل فى التدريس، وكان جانب من نشأته فى الجنوب ولكن معظمها كان فى كونكورد بماساشوستس، حيث كان فرع أسرة والدته ، وكان مورفى مولعًا بحكى القصص عن مشكلات هويته ، فكان يحكى عن سكك حديد بوسطن ومين التى كانت تفصل ما بين الكاثوليكيين من العمال المنحدرين من أصول أيرلندية والتزموا طيلة الوقت بمكان إقامتهم الجديدة ، والبروتستانت موظفى المكاتب المنحدرين من أصول أنجلو ساكسونية وكانوا كثيرى التنقل ، وكان مجرد اسم مورفى كافيًا لأن يحدد مكان العائلة على أحد جانبى

مـسـار القطار، ولكن انتـمـاءها إلى الكنيسة الأسقفية أتاح لها فرصة الإقامة على الجانب الآخر. ولذا كان كثيرًا ما يشكو من أنه كان يعانى من مشكلة الهوية ، لكنه فى الحقيقة كان يعانى من مشكلة التنوع التى تعرّض لها ، فقد كان جده لوالدته كثيرًا ما يقتبس من أعـمـال شكسـبيـر أو الشـعـر أو الإنجيل، وكانت جدته إنسانة حنونة ورقيقة ورزينة. وكانت هذه الوفرة من الأفكار والمشاعر التى تحيط به تتطلب منه اندماجًا مـعـقـدًا ، لذا فليس من المستغرب أنه إلى جانب كل ما قام به فإنه كانت له قدرة هائلة على الإندماج وعلى إدماج أى شىء يصادفه مهما كان تنوع هذا الشىء ، وذلك للخروج بعلاقات جديدة وروابط جديدة بين مختلف مجالات المعرفة التى تبدو على أنها تؤلف جزرا منفصلة .

إن المجالات الكبرى التى قدم فيها مورفى إسهاماته بالكتابة أو البحث أو التدريس هى مجالات تاريخ علم النفس، وعلم النفس الاجـتـمـاعي، ونظرية الشـخـصـيـة، ومـا وراء علم النفس ، والتـعليم . ولكن على الرغم من تنوع مجالات اهتمامه، فإنه كان يشير دائما إلى نفسه بأنه عالم نفس اجتماعى فى المقام الأول. وكان دائمًا ما ينطلق من مـفـهـوم أن فـهم الإنسـان يعـتـمـد على أدراك الإنسان باعتباره كائنًا اجتماعيًا يعـيش فى عـالم اجـتـمـاعى له تاريخ اجتماعى.

مـا وراء علم النفس Parapsy-chology :

كان مجال ما وراء علم النفس من أوائل حـقـول علم النفس التي أثارت اهتمام مورفي . وكان والده يخطط قبل وفاته المبكرة لتأليف كتاب عن المشكلات فى هذا المجـال من حـيث عـلاقـتـهـا بالمسيحية ، كما كان جده لوالدته، چورچ أ. كـينج، مـحـامـيًا للوسـيطة الروحـانيـة السيدة بايبر Mrs. Piper، التى قام وليام چيمس بدراستها، وقد

أثارت هذه الاهتمامات الأسرية عقل مورفى الشاب، وقامت بتوجيهه نحو المسار الذى اتبعه بعد ذلك ، ولكنه ظل دون إرشاد فى قراءاته الخاصة إلى أن بدأ فى دراسته العليا بجامعة هارفارد حين طلب منه ل. ت. ترولاند أن يكون مساعده فى أبحاثه فى مجال ما وراء علم النفس والتى كان يمولها صندوق ريتشارد هودجسون . وجاءته الفرصة لينغمس فى قراءات عن التخاطر telep- athy ، وكان من الطبيعى أن ينضم إلى جمعية الأبحاث الوسيطية Society for Psychical Research فى لندن عندما كان فى فرنسا مع القوات الاستطلاعية الأمريكية خلال الحرب العالمية الأولى. وهناك التقى عالم ما وراء علم النفس العظيم رينيه واركولييه René Warcollier، ونشأت بينهما صداقة طويلة، حيث ظل يتابع أعماله، وقام بزيارته مرة أخرى عام ١٩٢٩ .

وبعد عودته من الحرب ذهب مورفى إلى جامعة كولومبيا، حيث ظل حتى عام ١٩٤٠، وأثناء انشغاله برسالته للدكتوراه هناك ، وكان كثير التردد على جامعة هارفارد ، حيث ساعده وليام ماكدوجال على الحصول على زمالة ريتشارد هودجسون ليتمكن من الاستمرار فى أبحاثه عما وراء علم النفس ، وبوجه أخص في مجال التخاطر بعيد المدى ، وقد زامله فى هذا المشروع البحثى هارى هيلسونHarry Helson وجورج إستابروكس George Esta- brooks ، وظلت هذه الازدواجية فى حياته، هذا الانتقال جيئة وذهابًا بين ما هو موثوق علميًا وما يقع على أطراف العلم، طوال حياته. وعلى الرغم من أن أبحاثه الخاصة عبر السنوات مع أشخاص من أمثال برات J.G.Pratt؛ وإرنست تافيز Ernest Taves وجيه إل. وودرف J.L.Woodruff ، وبخاصة جرترود شمايدلر Gertude Schmeidler، فإنه لم يقدم نتائج مهمة كما كان المتوقع ، إلا أن إيمانه بأن تصوراتنا المعتادة عن المكان والزمان والهوية

الشخصية قد تأثرت بالأبحاث الوسيطية psychical research لأن هناك علاقات عابرة للمكان والزمان والأشخاص تتجاوز مفاهيم المكان والزمان والذات المتعارف عليها. و قد عمل بوصفه رئيسًا للجمعية الأمريكية لأبحاث التخاطر على استهلال ودعم مجال واسع من الأبحاث الدقيقة ويطالب دائمًا بفحص حالات التجارب الخارقة التلقائية والنتائج المحكمة لتلك التجارب ، كما أضاف أيضًا إلى الخلفية التاريخية لذلك المجال حين تولى مع روبرت أ. بالو Roberet O. Ballau (1960) تحقيق كتابات ويليام جيمس عن هذا الحقل المثير للجدل .

مجالات اهتمام آخري طويلة المدى Other major areas of long-term interest :

اتبعت إسهامات مورفى لمجال علم النفس مسارًا متعرجًا، إلا أن جميعها ارتبطت من خلال افتراضات عامة بعينها قام بتلخيصها فى سيرته الذاتية (1967. p. 261)، وهى:

١- "إن أفضل سبيل لفهم الأمور يأتى من خلال دراسة أصولها وتطورها".

٢- "لا ينفصل علم النفس عن العلوم البيولوجية من ناحية والعلوم الاجتماعية من ناحية أخرى سوى من خلال التصنيف التعسفى الذى من المرجح أن يكون أكثر ضررًا عنه نفعًا".

٣- "إذا كان علم النفس بحق هو دراسة الكائن العضوى برمّته، أو الفرد بأكمله، فإنه يؤلف بذلك دراسة للخبرات والمواقف والبداهة immediacy، بالإضافة إلى دراسة ما يمكن ملاحظته من الخارج".

٤- "إن الدراسات السلوكية مفيدة للعلوم بعكس المعتقدات السلوكية فهى غير مفيدة ".

٥- "إن مبدأ التضمن inclusiveness والتركيز على ما هو ايجابى، يتطب

متابعة الكثير من الجهود البدائية المتخبطة التي قد تتحول في بعض الأحيان إلى علم من العلوم، وإن كان الطريق إلى هذا طويلاً".

وكان الافتراض السادس الذي تضمنه منهج مورفي في البحث والتدريس كما يلي:

٦- "يجب دائمًا أن تعامل الآخرين بكرامة واحترام باعتبارهم بشراً ، قد لا تتفق مع الشخص الآخر لكن يجب أن تستمع إلى ما يريد إخبارك به ولا تنتقص من أفكار الآخرين أو أحلامهم".

وتعد هذه الافتراضات أشبه بعقيدة أكثر من كونها مجرد مجموعة من الافتراضات الضمنية لفهم علم النفس ، كما أنها تقدم نظرة شاملة لإسهامات مورفي. فلكي نفهم الأمور على ماهي عليه الآن مثلا يجب أن ندرس أصولها وتطورها، ولعل هذا المبدأ يرجع على أقل تقدير إلى مقرر الأنثروبولوجيا الذي قام ألبرت ج. كيلر Albert G. Keller بتدريسه في جامعة ييل، وكان مورفي معجبًا به ، لذا كان من المناسب أن يكون أول كتاب يؤلفه مورفي هو : مقدمة تاريخية لعلم النفس الحديث Historical Introduction to Modern Psychology (1929 الذي كان في البداية مجموعة من المذكرات لمحاضراته التي كان قد أعدها لمقرر تاريخ علم النفس، الذي بدأ تدريسه بجامعة كولومبيا عام ١٩٢٣ ، وكانت عيناه قد وهنتا بشدة في تلك الفترة، فقامت مجموعة من طلابه المخلصين وزوجته بقراءة المخطوطة والمراجعات اللازمة ، وعلى الرغم من هذه الصعوبات الصحية، فإنه تتبع تاريخ علم النفس من أصوله الإغريقية ولدى الفلاسفة الهنود حتى أقرب تاريخ حاضر مستطاع ، ثم أضاف إلى ذلك فيما بعد إدوارد ب. تيتشنر، وچورچ ت. لاد، وروبرت س. وودورث، ووليام چيمس، وچون ب. واطسون. وفي عام ١٩٧٢، قام بإضافة أشكال التقدم التي حققها علم النفس الروسي بالإضافة إلى التطورات الأكثر حداثة في مجالات

واسعة المدى مثل علم النفس التعليمى ، والوظائف الحسية والإدراكية و المعرفية وعلم النفس المقارن والإيثولوچى etho-logical (العلم الذى يجمع بين المعامل والعلوم الميدانية) و الفسيولوچى وعلم نفس عبر دورة الحياة وعلم نفس الشخصية، وعلم النفس الاجتماعى ، بل إنه ألقى أيضا نظرة عابرة على التوجهات المستقبلية لذلك المجال الشامل ، وليس من شك فى أن ذلك الامتداد الهائل لتاريخ علم النفس فى تطوره واستمراريته منذ بواكير الفكر الإغريقى والهندى حتى أكثر التطورات حداثة قد أسهم فعلاً فى توكيد عقيدة مورفى الأولى ، ولن نجد عالمًا أرفع مقامًا أو ذا منظور أكثر حساسية عن موقعنا فى الماضى وموقعنا اليوم، واتجاهنا فى المستقبل . فقدم فى كتاباته التاريخية بصائر استثنائية بالإضافة إلى التطور المتسلسل للأفكار السيكولوچية، وكثيرًا ما كشف لنا عن ضآلة ماتعلمناه عن تاريخنا .

وبالطبع، فإن مبدأ الأصول والتطور ينطبق أيضًا على تطور الجنس البشرى، بما فى ذلك العوامل الخفية والعامة للبناء الاجتماعى وتطور كل طفل على حدة ، وهذا يتضمن وجود وعى شديد بمدى تشابه وظائفنا الإدراكية والعاطفية مع وظائف الأجناس الحيوانية الأقل تعقيداً ، إلا أن مورفى لم يتردد فى توكيد أن الجنس البشرى يتمتع بقدرات وطاقات كامنة ومتميزة يختص بها دون غيره من الأجناس ، ولا يمكن اختزالها إلى الظواهر الأكثر بساطة، والتى توجد عند القردة العليا والجرذان والحمام . وهذا الرفض لرؤية الأشياء فى مقياس زمنى ومكانى مختزل كان أمرًا طبيعيًا بالنسبة إلى مورفى، ولكن زوجته عملت على تعزيزه والتوسع فيه بشكل كبير. وكان قد التقى لواز Lois عام ١٩٢٤، عن طريق واحدة من طالباته هى روث مونرو، وتزوجا عام ١٩٢٦ . وكان مجال اهتمام لواز هو تطور الشخصية لدى الأطفال، ونظرية التحليل النفسى، والتعليم، والأديان

المقارنة ، فعمل الاثنان معًا على اكتشاف واستكشاف كتابات غاندى وفرويد وغيرهما ، وقد حافظت الزوجة على الاهتمامات التى كان يتعين على مورفى أن يبدأ بها، لكنها عملت أيضًا على تشكيل منظوره لوظائف الشخصية من خلال إضافة بعد إكلينيكى وتنموى لوجهة النظر متعددة الجوانب التى كان قد عمل على تطويرها بالفعل.

وقد شاركت لواز مورفى بالطبع فى تأليف كتاب جاردنر مورفى الثانى – علم النفس الاجتماعى التجريبى Experimental Social Psychology (1931) - الذى اعتمد بشكل كبير على المحاضرات التى كان يلقيها فى مقرر علم النفس الاجتماعى بجامعة كولومبيا ، وكان ذلك أول كتاب حديث ذى توجه تجريبى فى هذا المجال الحيوى ، وطبقًا لقاعدته الثانية التى تنص على أن الاجتماعى لا يمكن فصله عن البيولوچى إلا بشكل تعسفى وغالبًا ما يؤدى ذلك إلى الكثير من الضرر، ونجح الكتاب فى دمج الدراسات السلوكية دون أن يتبع المنهج السلوكى ، وقد اتبع الكتاب المنهج الذى كان فلويد أولبورت Floyd Allport قد نادى به من قبل، بل إن مورفى كان يعرف أولبورت منذ أيام دراستهما الجامعية فى جامعة هارڤارد، وكذلك فى فرنسا، بل قام بالتدريس بدلاً من ألبورت فى مقرر علم النفس الاجتماعى بجامعة سيراكيوز خلال فصل الصيف من عام ١٩٢٧ ، إلا أن مورفى قلل من شأن وجهة النظر السلوكية وركز على أهمية الفرد وتكوينه الثقافى ودوره كفاعل ومستجيب اجتماعى، وهى أفكار قام فيما بعد مظفر شريف بتطويرها بشكل أكبر، كما تم ادماج الأفكار المؤسساتية لكل من روبرت س. وهيلين م. ليند فى كتابهما Middletown (1929) فى منظور أوسع من علم النفس الاجتماعى ، بالإضافة إلى الاختلافات الثقافية واختلافات الشخصية، وذلك بتشجيع من زوجته فى كثير من الأحيان . وقد فاز هذا الكتاب بجائزة بطلر Butler بجامعة كولومبيا لعام ١٩٣٢ .

ومن خلال طلابه ومساعديه أمكن لمورفى الإسهام بشكل كبير فى مجال علم النفس الاجتماعى ، فقد عمل تلميذه رينسيس ليكرت Rensis Likert، على تطوير منهج لقياس المواقف، وظهرت نتائج هذه الدراسة عام ١٩٣٨، فى كتاب : الرأى العام والفرد Public Opinion and the Individual ، وكان مورفى نشطًا فى المجموعة التى كانت تضم ديفيد كريخ David Krech، وروس ستاجنر Ross Stagner وغيرهما والتى قامت بتطوير جمعية الدراسات النفسية للقضايا الاجتماعية Society for the Psychological Study of Social Issues (SPSSI)، التى تؤلف الآن الإدارة السابعة فى جمعية علم النفس الأمريكية. وقد وقع الاختيار على مورفى للإشراف على تحرير مجلد عن مبادرات السلام ومشكلاته تم نشره بعنوان: الطبيعة البشرية والسلام الدائم Human Nature and Enduring Peace عام ١٩٤٥ .

فى عام ١٩٤٩، ذهب مورفى إلى الهند ممثلاً لليونيسكو لدراسة الصراع الدائر بين الهندوس والمسلمين. وكالعادة، أدى هذا إلى دراسة أكثر تعمقًا عن الديانات الهندية بالإضافة إلى إقامة المؤتمرات التعليمية والمجموعات البحثية فى أرجاء الهند ، وتم توثيق هذا كله عام ١٩٥٣، فى كتاب بعنوان In the Minds of Men ، وقد شجع ذلك إريك هـ. إريكسون على الذهاب إلى الهند، وهى الرحلة التى أثمرت دراسة إريكسون عن غاندى ، و كان مورفى وقت وفاته لايزال يتناقش مع المهتمين بمشكلات السلام العالمى، فقد كان يأمل أن يحدث ولو تغيرًا طفيفًا فى أساليب وطرق تحقيق سلام دائم لعل أفضل ما يوضح مدى اتساع نظرة مورفى نظريته عن الشخصية التى بدأت تتبلور فى محاضراته بجامعة كولومبيا عن علم النفس غير الطبيعى abnormal psychology تم نشرها فيما بعد تحت عنوان Outline of Abnormal Psychology (1929). وقد تم تطوير هذا العمل ليظهر فى شكل كتاب جديد بعنوان Approach-

es to Personality (Murphy & Jensen 1932) وبتشجيع من زوجته قام باستكشاف كل من فرويد ويونج ويوجين بلويلر Eugen Bleuler وشارلوت بولر Charlotte Bühler ووليام چيمس وآخرين خلال الثلاثينيات من القرن العشرين. وصارت المفاهيم التنموية تؤثر فيه بشكل متزايد، وبدأ في تطويع مفاهيم التحليل النفسى والتوسع فى استخدامها ، وظهر هذا المنحى فى تطور تفكيره فى النهاية فى كتابه Personality (1947)، ثم قام فيما بعد بدمج مفاهيم النظرية الميدانية وبعض الاحتمالات الأخرى الأكثر اتساعًا فى كتابه Human Potentialities (1957a)، وكتاب Outgrowing Self-deception (Murphy & Leeds 1975).

وكان مورفي قد رفض فى وقت سابق ما اعتبره مفاهيم سلوكية ساذجة لصالح مدخل فنومنولوچي للشخصية والظواهر الاجتماعية ، ولذا يعتبر أحد مؤسسى المدرسة الأمريكية لعلم النفس الإدراكي -المعرفي- perceptual-cognitive psychology. وكان يعتقد بشكل خاص أن التصور يتلاءم دائمًا مع الحاجة وعادة ما توجهه الحاجة ، وكان هذا هو أساس مفهوم الإدراك التوحدى autistic perception، حيث يتبلد التواصل مع الواقع ويصيبه الارتباك، وقدم التطور الإدراكى لدى الأطفال من خلال توجيهه مجرى الدوافع عبر نظم التغذية المرتدة biofeedback؛ بل إن أهمية التغذية المرتدة ، سواء العضلية أو الإحشائية، للحصول على اتجاه واستقرار للتصور كانت من الأمور التى أكد مورفى أهميتها فى بدايات الخمسينيات من القرن العشرين، أى قبل عقد تقريبًا من انتشار هذه المفاهيم والأفكار ، وقد تم تنفيذ الدراسات المبكرة عن التصور أو الإدراك التوحدى على يد بعض طلاب الامتياز فى كلية سيتى، إذ تولى بعضهم مثل روبرت لوڤين Robert LeVine وهارولد بروشانسكى Harold Proshansky وروى شافر Roy Schafer وچيروم ليڤين Jerome Levin وليو پوستمان Leo

الكثـيـر من أعـمـال جـمـع Postman البـيـانات ، و(كـمـا هو مـعـتـاد)، أرجع مـورفـى لهم الفـضـل الأكبـر. وقد سـاعد جوليان هـوخبرج Julian Hochberg في وضـع حـدود النظرية الأولى للتـصـور التـوحـدى (Murphy & Hochberg 1951) ، وقـام بعض طلاب الدكـتـوراه، مـثل دوجـلاس إن. جاكـسـون Douglas N. Jackson وصـامـويل مـيـسـيك Samuel Messick بمؤسـسـة مينينجر بالمسـاعدة فى تنقـيـح البـحـث والنظرية التى تم تعـزيزها فى كـتـاب تطور عـالم الإدراك Development of the Perceptual World (Solley & Murphy -1960)، فكان مـحـاولة كبـرى للتعـامل المنظم مع التعلم والنمو الإدراكى.

كان جاردنر مورفى يتمتع بمهارات أسطورية في الإلقـاء والتـدريس ، وكـان يرد الفضل فى الكثير من هذه المهارات إلى مـدرس اللغـة الإنجليـزية فى السنة الثانية من تعليمه الجامعى بجامعة ييل، چون تشيستر أدمز. وكان خريجو سيتى كوليدج بجامعة نيويورك ينتخبون مورفى عامًا بعد عام على أنه المدرس الأفضل فى رأيهم ، وقـد بدأت مـعظم إسـهامـاته فى الكتابة والبحث كجزء من تدريسه ، الذى كـان يأتى أحـيـانًا فى شكل محاضرات نظامية، لكنها كانت تقوم فى الغـالب على مـقـتـبـسـات من حـوارات عرضـيـة كانت تلهم المستمـع وترشده ، وقد وصف يوچين هارتلى باسـتـفـاضـة هذه القدرة على الإثارة والتوجيه وجعل المسـتـمـع يشـعـر بالأهمـيـة فى مـجلد تذكارى Festschrift مـخـصـص لمورفى ظـهـر عـام ١٩٦٠ (Peatman & Hartley 1960) ، وفي مـسـح قـام به كـينيث إ. كلارك عام ١٩٥٧ عن علماء النفس؛ كان ترتيب مـورفى الثـانى بعـد سـيـجـمـوند فرويد مباشرة من حيث عدد الأشخاص الذين قام بإلهامهم للانخراط فى مجال علم النفس ، وقـد نجح عـدد هائل من تلاميذه فى مواصلة تعليمهم العالى حتى حصلوا على درجة الدكتوراه وحققوا نجـاحًا ملحوظًا فى مجـال علم النفس.

كانت محاضراته وسيلة للاستكشاف والتساؤل والتوسع والتنقيح والترسيخ من خلال طلابه ، ولكنه كان دائمًا مايقول: إنه هو الذى يكتسب المعرفة من هذه اللقاءات ويصر على أن طلابه وزملاءه وأصدقاءه كانوا معلميه.

وقد تم تكريم مورفى عند انتخابه رئيسًا للجمعية الأمريكية لعلم النفس عامى ١٩٤٣ و١٩٤٤، ومنحته ميداليتها الذهبية عام ١٩٧٣، عن إسهاماته البارزة فى مجال تطوير النظرية والبحث فى ميدان علم النفس.

المؤلف : Charles M. Solley

المترجمة : مايسة النيال

WORKS BY GARDNER MURPHY

(1929) 1969 MURPHY, GARDNER; and BACHRACH, ARTHUR J. (editors) *An Outline of Abnormal Psychology.* Rev. ed. New York: Modern Library. → Murphy was the sole editor of the first edition.

(1929) 1972 MURPHY, GARDNER; and KOVACH, JOSEPH K. *Historical Introduction to Modern Psychology.* 3d ed. New York: Harcourt. → Murphy was the sole author of the first two editions.

(1931) 1937 MURPHY, GARDNER; MURPHY, LOIS B; and NEWCOMB, THEODORE M. *Experimental Social Psychology.* Rev. ed. New York: Harper. → Gardner Murphy and Lois B. Murphy were the authors of the first edition.

1932 MURPHY, GARDNER; and JENSEN, F. *Approaches to Personality.* New York: Coward-McCann.

1935 *A Briefer General Psychology.* New York: Harper.

(1938) 1967 MURPHY, GARDNER; and LIKERT, RENSIS *Public Opinion and the Individual.* New York: Russell.

945 MURPHY, GARDNER (editor) *Human Nature and Enduring Peace.* Boston: Houghton Mifflin.

947 *Personality: A Biosocial Approach to Origins and Structure.* New York: Harper .

951 *An Introduction to Psychology.* New York: Harper.

951 MURPHY, GARDNER; and HOCHBERG, J. E. Perceptual Development: Some Tentative Hypotheses. *Psychological Review* 58:332–347.

953 *In the Minds of Men: A UNESCO Study of Social Tensions in India.* New York: Basic Books.

1957*a* *Human Potentialities.* New York: Basic Books. → A paperback edition was published in 1975 by Penguin.

1957*b* Notes for a Parapsychological Autobiography. *Journal of Parapsychology* 21:165–178.

1960 MURPHY, GARDNER; and BALLOU, ROBERT O. (editors) *William James on Psychical Research.* New York: Viking.

1960 SOLLEY, CHARLES M.; and MURPHY, GARDNER *Development of the Perceptual World.* New York: Basic Books.

(1961) 1977 *Freeing Intelligence Through Teaching: A Dialectic of the Rational and the Personal.* Westport, Conn.: Greenwood.

1961 MURPHY, GARDNER; and DALE, LAURA A. *Challenge of Psychical Research: A Primer of Parapsychology.* New York: Harper.

1967 Autobiography. Volume 5, pages 253–282 in *A History of Psychology in Autobiography.* Edited by E. G. Boring and Gardner Lindzey. New York: Appleton.

1968 *Psychological Thought From Pythagoras to Freud: An Informal Introduction.* New York: Harcourt.

1968 MURPHY, GARDNER; and SPOHN, HERBERT *Encounter With Reality.* Boston: Houghton Mifflin.

1975 MURPHY, GARDNER; and LEEDS, MORTON *Outgrowing Self-deception.* New York: Basic Books.

CLARK, KENNETH E. 1957 *American Psychologists: A Survey of a Growing Profession.* Washington: American Psychological Association.

LYND, ROBERT; and LYND, HELEN M. (1929) 1930 *Middletown: A Study in Contemporary American Culture.* New York: Harcourt. → A paperback edition was published in 1959.

PEATMAN, J. G.; and HARTLEY, E. L. (editors) 1960 *Festschrift for Gardner Murphy.* New York: Harper.

مورفى . لواز بى .

MURPHY, Lois B.

ولدت لواز باركلى مورفى عام ١٩٠٢، لوالدين على درجة عالية من التعليم ؛ سمحت لهما بتهيئة بيت يسوده جو فكرى وثقافى مثير لأطفالهما الخمسة وجعلهما يتوقعان أن يحققوا فى حياتهم إنجازات ذات مستوى رفيع . وكان للزيارات التى اصطحبت فيها وهى طفلة والدها رجل الدين إلى المناطق العشوائية فى شيكاغو أثرها فى أن تدرك أن ليس كل الأطفال لهم نفس القدر من الحظ الحسن الذى تتمتع به هى وأخواتها ، كما غرست فيها مشاعرالانشغال طيلة حياتها برفاهية الأطفال المحرومين . وبالمثل كانت الافتراضات assumptions المبكرة عن المسئولية نحو الأطفال الصغار فى الأسرة ناجمة عن تقدم مرض الأم المتزايد . وقد أدى ذلك كله إلى أن تكتسب مهارات حول رعاية الطفل أثبتت أهميتها القصوى فى حياتها العلمية والمهنية فيما بعد .

وقد أدى هذا الجو المثير الذى وجدته فى البيت بالإضافة إلى الاحتكاك بعدد من المدرسين الأذكياء فى المدرسة الثانوية إلى أن ترى الحياة فى كلية ڤاسار Vassar فى بداية التحاقها بها مخيبة للآمال ، ووجدت علاقاتها الأولى مع بعض أعضاء هيئة التدريس من الإناث تدعو إلى الإحباط لأنهن كن يمثلن الاعتقاد العام بأن الإنجاز المعرفى يتطلب التخلى عن المشاعرالدفيئة والحدس والتلقائية والإحساس بالآخرين . وكانت أفكار وآراء چون واطسون John B. Watson مسيطرة على عقول المشتغلين بعلم النفس ؛ لذا وجدت مورفى - التى كانت متعودة على المشاركة أثناء العشاء فى البيت فى مناقشة أفكار وليام چيمس وچون ديوى وغيرهما - أن ذلك المدخل الواطسنى مدخل عقيم لايثير التفكير والتأمل .

وكانت اهتماماتها حتى ذلك الحين لاتزال تتسم بالسعة والتنوع كما ظلت هكذا طيلة حياتها ، لذا كان تخصصها الرئيسى فى كلية ڤاسار فى الاقتصاد ، بينما جاء علم النفس فى المرتبة الثانية ، إلا أن أحد المقررات فى الدين المقارن كان له وقع خاص فى نفسها والتأثير القوى فى تفكيرها مما دفعها إلى أن تواصل دراساتها العليا فى ذلك المجال فى اتحاد المعهد اللاهوتى Union Theological Seminary حيث تخصصت فى ديانات الهند ، وهذه الدراسة هى التى زودتها بغير شك بنوع الخلفية الفلسفية التى ساعدتها فيما بعد على أن تشارك جاردنر مورفى فى تأليف كتابهما عن سيكولوچيا الشرق .

وحين نستعرض الحياة العملية للواز مورفى فى المرحلة الجامعية الأولى ، فإن الانطباع الذى نخرج به هو عن طالبة كانت تمثل أكبر التحديات لأساتذتها ، ولكن من الصعب أن نقرر هل هى استفادت من تلك التجربة بقدر ما أفادت . فقد كانت تلك مرحلة النضج وتنمية قواها الذهنية وتعميق اقتناعاتها حول الحياة والتطور الإنسانى التى كانت قد بدأت تتبلور أثناء فترة تكوينها المبكرة، التى أثرت خلال السنوات التالية فى عدد كبير جداً من التلاميذ والزملاء .

حين تخرجت لواز مورفى فى كلية ڤاسار عام ١٩٢٣ ، كانت تتطلع بشدة إلى اكتساب بعض تجارب الحياة؛ لذا تطوعت لفترة قصيرة للعمل فى هيئة التعليم فى سينسيناتى Cincinnati فى مجال توجيه الطفل ، لكن سرعان ما تحول ذلك إلى وظيفة ثابتة . لكنها لم تلبث أن عادت فى خريف عام ١٩٢٤ ، إلى نيويورك والتحقت كطالبة لدراسة الأديان المقارنة فى المعهد اللاهوتى مع الانتظام فى الوقت ذاته فى حضور دروس فى علم النفس فى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا والتخطيط للحصول على الماجستير من تلك الكلية . ولكن

تربيتها وتعليمها الراقى المبكر جعلا بعض المقررات تبدو فى نظرها ساذجة ؛ فقررت الانصراف عن دراسة علم النفس وإن كانت تعرفت مع ذلك على أستاذ يقدم مقرراً دراسياً بعيداً جداً عن البساطة والسذاجة هو عالم النفس اللامع والمتعاطف جاردنر مورفى Gard-ner Murphy الذى أصبح زوجها عام ١٩٢٦ . وفى عبارة بسيطة وهادئة تصف زواجهما الذى دام لأربع وخمسين سنة تقول : " كان زواجاً رائعاً وممتعاً إلى أبعد الحدود" . ومنذ ولادة ابنهما الأول عام ١٩٣٠، حتى التحاقها بالعمل فى مؤسسة مننجر Menninger Foundation كانت تعطى أهمية بالغة لعائلتها ، بحيث كانت تعمل لنصف الوقت فقط . وهذا السلوك جعل قدراتها الإنتاجية الفائقة خلال السنين أمراً خليقاً بالإعجاب والاحترام .

وقد كانت البداية الحقيقية لحياتها العملية عام ١٩٢٨ ، حين التحقت للعمل بكلية ساره لورانس Sarah Lawrence College التى كانت قد أنشئت حديثاً فقامت بتدريس مادة الدين المقارن ولكنها أخذت تخصص مزيداً من الوقت لتدريب الطلاب على كيفية القيام بدراسة الأطفال الصغار وملاحظة تطورهم ومتابعة نموهم . وفى عام ١٩٣٧، تولت إنشاء مدرسة للحضانة تابعة للكلية واستمرت فى الارتباط بها حتى عام ١٩٥٢ ، حين انتقلت هى وزوجها جاردنر مورفى للعمل فى عيادة منينجر Menninger Clinic فى توبيكا Topeka بولاية كنساس حتى عام ١٩٧٢ ، وبعدها عكفت على تحليل البيانات التى تم جمعها للمؤسسة ، كما عملت مستشارة لعدد كبير من المشروعات الوطنية والدولية عن الأطفال الصغار .

وخلال فترة حياتها العملية والمهنية لم تتحول اهتماماتها بعيداً عن دراستها المبكرة عن التعاطف التى بدأتها فى كلية ساره لورانس خلال السنوات الخمس الأولى من الثلاثينيات ، وبذلك ظلت قريبة من موضوع التأثير

الاجتماعى مع الاهتمام بدراسة السلوك الإيجابى أكثر من السلوك السلبى مثل دراسة كيف ينمو الأطفال ، ويستخدمون قدراتهم الذاتية فى التكيف مع التحديات ومع الصراع، وكيف يتفاعلون مع الأشخاص الذين يحتلون مكانة خاصة فى بيئة تتصف بالعلاقات الحميمية المتبادلة ، وكيف يكشفون عن إمكاناتهم على التكيف وعلى مرونتهم وكيف يتجاوبون مع مختلف أنماط رعاية الأطفال الصغار، وكيف يمكن مساعدتهم على استرداد كفاءتهم حين تسير أمورهم على غير ما يرام؛ وما إلى ذلك . ولكى تصف هذه العملية وتقرّبها إلى الأذهان كانت تستخدم عبارات وألفاظًا بعيدة تمامًا عن مصطلحات علم النفس الصعبة وكلمات عادية لم تكن عرفت طريقها إلى المعجم السيكولوچى، مثل مواجهة الصعاب والتغلب عليها . وكان ذلك اختيارًا موفقًا منها؛ نظرًا لأنها كانت تهتم بالعملية process وليس ببعض النتائج مثل التكيف adaptation أو عدمه mal-adjustment. فقد كانت تعتقد أن استخدام بعض الألفاظ العادية مثل التعامل مع الأشياء يساعد على إدراك الفردية والتلقائية بل الإبداعية أيضا التى تميزالتنميطات الجديدة للاستجابة التى نراها ونشاهدها ، وكذلك الاستمرار والمثابرة والجهد المتكرر التى كثيرا ماتكون ضرورية فى الصراع من أجل السيطرة (Murphy et. Al. 1962, p.7)

لقد أدت هذه المقاربة إلى ظهور ثلاثة تحديدات strictures على الأقل وهى : (١) الدراسة الطولية. (٢) منهج الملاحظة. (٣) الاهتمام بالفردية. وكانت القضية هى كيف يمكن ملاحظة التصدى والمواجهة المؤثرة والفعالة إذا اكتفينا بشريحة ضيقة من حياة الطفل ؟ وهل يمكن لنا إصدار أية أحكام صحيحة عن المرونة أو عدم الرضوخ إذا اكتفينا بتقدير استجابة سريعة وعابرة لأزمة واحدة صادفته ؟ فطبقًا لما تذهب إليه لويز مورفى فإننا نبالغ فى

اعتبار استمرار التأثير أمرًا مسلمًا به ولانسمح بظهور استخدام القوى الداخلية التي يمكن أن تحقق المواجهة مع التجربة بشكل صحيح . والطريقة الوحيدة للوصول إلى تقييم سليم للقدرة الكامنة على المواجهة والتغلب هي متابعة الطفل باستمرار خلال مراحل نموه المتتالية ، وقد بيّنت أنه في البحث وفي الحياة اليومية على السواء يمكن أن نرى الأطفال والبالغين الذين تجعل مرونتهم من تنبؤاتنا القاطعة مسألة مضحكة ومثيرة للسخرية.

كذلك كان التزامها وتمسكها بمنهج الملاحظة في مواقف الحياة الـ relevant مطردًا وثابتًا خلال كل حياتها المهنية . ويبدو أنها لم تحظ أبدًا بما تستحقه من تقدير حول هذا المسألة . ففي كتاب علم النفس الاجتماعي التجريبي Experimental Social Psy-chology الذي صدر عام ١٩٣١، وأعيدت طباعته عام ١٩٣٧ ، والذي اشتركت في تأليفه مع جاردنر مورفي وتيودور نيوكومب Theodore New-comb يوجد قسم طويل عن منهج الملاحظة الذي يمكن استخدامه في تغيير سلوك الأطفال الصغار . وقد عادت لنفس الموضوع في المجلدين اللذين أصدرتهما عن الشخصية لدى الأطفال الصغار Personality in Young Children (1956). ، وإذا كان هناك أي قدر من عدم التساهل في أيٍ من كتاباتها ، فإن ذلك يكون موجّهًا نحو العلماء الذين يعتمدون على إجراءات تجريبية محدودة وقاصرة دون أن يأخذوا في الاعتبار بقدر كاف المجال الذي تجرى فيه تجاربهم ، لذا فإنه على الرغم من أنها لم تستخدم أبدا – بقدر ما أعرف – مصطلح "المواءمة الإيكولوجية" ecological relevance فإنها كانت توصي دائمًا بمراعاة هذه المسألة في التجارب السيكولوجية وذلك قبل أن يصبح هذا الاتجاه سائدًا بوقت طويل .

والاهتمام الثالث الذي يظهر واضحًا في كل أعمالها هو ضرورة

تقدير واحترام الفردية ، فمع إدراكها أن هناك اختلافات فردية فى القدرات الداخلية على المواجهة والتصدى بل أيضا فى أنماط المطالب البيئية envi-ronmental demands التى يواجهها الطفل أثناء عملية النمو ، فإنها كانت تؤكد دائمًا على حاجة البالغين إلى إدراك واحترام تلك الاختلافات . وحين أصبحت مسألة رعاية الأطفال خارج البيت قضية سياسية فى الولايات المتحدة ساورها بعض القلق حول أن بعض الجهود الكبيرة التى تبذل فى تطويرالبرامج قد تغفل الحاجة إلى رعاية الأطفال كأفراد . وفى ورقة قامت بإعدادها للأشخاص الذين كانوا يحاولون رسم برامج الرعاية اليومية للأطفال الصغار كانت تحثهم على مراعاة مزيد من الحذر الذى يرتكز على تلك الحاجة كمدخل ذهنى ideographic approach.

وسواء أكنا نتكلم عن رعاية جماعية للأطفال الصغار تعتمد على الحرمان أم عن أمثلة أخرى أفضل فلا زلنا نرى أن هناك حاجة إلى تقييم أكثر انتظامًا وتعاطفًا مع احتياجات الأطفال الصغار كأفراد ، واعتبار ذلك أساسًا لتخطيط الرعاية والبيئة والاحتياجات المادية والفرص أو المناسبات التى يمكنها إشباع أو مقابلة احتياجات أى طفل من حيث هو فرد متمايز وتجعل فى الاستطاعة تحقيق قدرات كل طفل على حدة بطريقة أكثر دقة . فلكل طفل مستوى معين من نوع وكم الإثارة stimulation التى يحدد الاستجابة التى تؤدى إلى التفاعل مع الكبار أو مع الأطفال الآخرين؛ وتدفع بالتالى إلى التواصل التنموى المتكامل وإلى التجربة الفاعلة active والتحكم فى البيئة . ولابد من تحقيق ذلك المستوى لكل طفل على أرض الواقع إذا أردنا حمايته من اضطرابات الشخصية (Murphy 1969, pp. 122-123).

ويمكن أن نضيف إلى هذه التحديدات الثلاثة strictures (الدراسة الطولية

ومنهج الملاحظة ومراعاة الفردية) قاعدة أخرى رابعة أساسية تتعلق بعملها، وهى الاهتمام بالخصائص والمقومات الإيجابية فى الفرد. فعلم النفس بالنسبة إليها تخصص يهتم بالبحث عن تمهيد الطريق لإبراز جوانب القوة بدلاً من الاكتفاء بشواهد الضعف السيكولوجى والصدمة التجريبية experiential trauma. ومع ذلك فإنه ليس علم نفس بانجلوسى Panglossian (نسبة إلى شخصية بانجلوس فى قصة كانديد المتفائل دائمًا فى جميع المواقف والظروف – المترجم) يغفل علامات الضعف والنقد القاطع فى الكائن العضوى أو الاجتياح devastation المحتمل من جانب البيئة ، فالتصدى عملية يمكن عن طريقها التوصل إلى توافقات compromises ولكن حسب النمط الذى يميز كل فرد . والعالم الذى يقنع برد الكائنات الإنسانية إلى منظومة من الأرقام التى لاتعرف سوى اختبار الفروض المستخلصة من فروض أخرى والذى يلجا مرغمًا إلى استمداد قوانين طبيعية ومنطقية nomothtic عن السلوك لن يشعر بالراحة فى إطار يتسع مدخل لويز مورفى إلى علم النفس . ولكن على الجانب الآخر فإن العالم الذى لديه الوقت لأن يعتبر الوقت كمتغير، والذى يلتزم بضرورة الحصول على المعرفة فى ظروف وأوضاع واقع الحياة، والذى تتولى النجاحات التنموية نقل أكبر قدر من المعلومات عن قوانين السلوك على أنها اختلال وظيفى dysfunctioning ؛ سوف يعتبر لواز مورفى إحدى المنظّرات ذات القيمة الكبرى على أعلى مستوى .

وختامًا: يجب أن ننتبه إلى أن لواز مورفى كانت تتحرك خلال خمسين عامًا فى دائرة من الأشخاص المثيرين فكريًا ، وقد ارتبطت هى وزوجها ارتباطًا قويًا بعلماء النفس التجريبى وعلماء النفس التحليلى و المهتمين بتربية الطفل والدارسين والباحثين فى كل مجالات الإنسانيات، وأنه من خلال كل الإثارة الفكرية والاجتماعية كان فى استطاعتها هى وزوجها الارتباط معا أحدهما

بالآخر وأن يتعلم كل منهما من الآخر ، لذا فـإنهـا تظهـر على أنـهـا أحـد الأشخاص المحظوظين الذين سعى إليهم الإشـباع الشـخـصى والمهنى من خـلال تجـربة كـانت تلقى فـيـها طيلة حـياتها الرعـاية من الآخـرين ، وتقـدم أيضًـا الرعـاية للآخـرين بشكل يسـمـح للذكـاء الخارق أن يتطور فى سياق من الاهتمام الاجـتمـاعى القوى . لقـد كانت حـياتيًا ومـهنيًـا تشـمل وتحـتـوى وتضـم وحـدة متكاملة؛ لأنها - هى نفسها - كانت بلا أدنى شك شـخصًا متكاملاً بكل معانى الكلمة.

(*) توفيت لواز باركلى ميرفى يوم ٢٤ ديسمبر عام ٢٠٠٢، وهى فى الواحدة بعد المائة من العمر . (المترجم)

المؤلف : Bettye M. Caldwell

المترجم : أحمد أبو زيد

WORKS BY LOIS B. MURPHY

(1931) 1937 MURPHY, GARDNER; MURPHY, LOIS B.; and NEWCOMB, THEODORE M. *Experimental Social Psychology*. Rev. ed. New York: Harper. → Gardner Murphy and Lois B. Murphy were the authors of the first edition.

1956 *Personality in Young Children*. 2 vols. New York: Basic Books. → Volume 1: *Methods for the Study of Personality*. Volume 2: *Colin: A Normal Child*.

1962 MURPHY, LOIS B. et al. *The Widening World of Childhood: Paths Toward Mastery*. New York: Basic Books.

1964 Some Aspects of the First Relationship. *International Journal of Psychoanalysis* 45:31–44.

1968 Assessment of Infants and Young Children. Pages 107–138 in Caroline A. Chandler, Reginald S. Lourie, and Anne DeHuff Peters (editors), *Early Child Care: The New Perspectives*. New York: Atherton.

1968 MURPHY, GARDNER; and MURPHY, LOIS B. (editors) *Asian Psychology*. New York: Basic Books.

1969 Children Under Three: Finding Ways to Stimulate Development. *Children* 16:46–62.

1973*a* Some Mutual Contributions of Psychoanalysis and Child Development. *Psychoanalysis and Contemporary Science* 2:99–123.

1973*b* The Stranglehold of Norms on the Individual Child. *Childhood Education* 49:1–6.

1974 MURPHY, LOIS B.; and MURPHY, GARDNER A Fresh Look at the Child. *Theory Into Practice* 13:343–349.

1976 MURPHY, LOIS B.; and MORIARTY, ALICE E. *Vulnerability, Coping, and Growth: From Infancy to Adolescence.* New Haven: Yale Univ. Press.

نيوكومب . تيودور إم .

NEWCOMB , Theodore M .

عندما حصل تيودور إم. نيوكومب على درجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا، كان حقل علم النفس الاجتماعي قد بدأ في البزوغ لكونه مجالاً فرعيًا واضحًا من علم النفس وعلم الاجتماع. وقد تأثر تطور هذا الحقل منذئذ بشكل واضح بإسهامات نيوكومب بصفته باحثًا ومنظرًا، وأيضًا من خلال دوره مشرفًا وموّجهًا لطلاب الدراسات العليا الذين أصبحوا علماء سلوكيين بارزين ، وبدأ نيوكومب دراساته العليا في Union Theological Seminary، حيث تعرض للانفتاح العقلي والفكري والاهتمامات الاجتماعية لأساتذته (وبخاصة هاريسون س. إليوت Harrison S. Elliot وهاري وارد Harry Ward). إلا أن المقررات التى درسها فى كلية كيمبردج للمعلمين Cambridge Teachers College التى تقع فى نفس المنطقة حولت اهتمامه إلى علم النفس ، فانتقل إلى كولومبيا ، حيث حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٢٩ . وقد تأثر فى كولومبيا إلى حد كبير بمدخل القياس والمنهجية الخاصة لدى روبرت س. وودورث وإدوارد لى ثورندايك. ويمكن إرجاع جذوره لكونه عالم نفس بشكل كبير إلى دراسته العليا تحت جاردنر مورفى الذى ربطته به صداقة عمر وعلاقة فكرية شخصية امتدت طوال حياتهما. كما تشكلت توجهاته وآراؤه فى علم النفس أيضًا من خلال إشراف وتوجيهات جودوين واطسون الذى صار صديقًا حميمًا كذلك.

ولد نيوكومب عام ١٩٠٣، وكان ابنًا لأحد رجال الدين ، وقد أمضى سنوات عمره الأولى فى بيئة ريفية بأوهايو ثم التحق بكلية أوبرلين Oberlin College ، حيث حصل على درجة الليسانس عام ١٩٢٤، وبعد أن اشتغل

بتدريس الفرنسية والإنجليزية لمدة عام التحق بكلية Union Theological Seminary اللاهوتية على أمل أن يصبح مدرساً للدين فى تلك الكلية، لكنه انتقل بعد سنتين للعمل بكلية المعلمين بجامعة كولومبيا.

بعد أن حصل نيوكومب على درجة الدكتوراه كان أول تعيينه فى السلك الأكاديمى مدرسًا لعلم النفس فى جامعة ليهاى Lehigh University ، وبعد مرور عام انضم إلى هيئة التدريس بقسم علم النفس فى مجمع كليفلاند Cleveland لجامعة Western Reserve University ، حيث أمضى أربع سنوات (١٩٣٠-١٩٣٤) ، وأثناء وجوده بجامعة Western Reserve قام بإجراء دراسة بحثية مع أحد طلابه ، وكانت تلك الدراسة (Newcomb & Svehla, 1937) بمثابة مؤشر مبكر على أعماله اللاحقة من حيث المنهج والمحتوى، فقد اهتمت بأوجه الشبه والاختلاف بين اتجاهات الزوجيات dyads (فى هذه الحالة المقارنة بين الوالد والطفل) باستخدام تقنيات للقياس كانت سابقة لعصرها ، ثم قام بالربط بين التأثيرات المتبادلة بين شخصين وتأثيرات الكيانات الاجتماعية الأكبر حجما . وقد بينت الدراسة بوجه خاص أن سياقات الانتماءات العرقية والدينية هى أدوات ووسائل لنقل الاتجاهات من الآباء إلى الأطفال ، كذلك تميزت تلك الدراسة بخاصية صارت مميزة لنيوكومب وهى التحليل المفصل والإحصائى الدقيق للبيانات الذى يؤدى إلى نتائج غير متوقعة ولم يسبق التنبؤ بها.

وخلال عامه الأخير فى كليفلاند قام نيوكومب بالاشتراك مع جاردنر مورفى ولواز بى. مورفى Lois B. Murphy بنشر طبعة منقحة لكتابهم علم النفس الاجتماعى التجريبى Experimental Social Psychology (1937) . ولعل هذه المراجعة كانت مؤثرة فى تحديد التوجه المستقبلى لعلم النفس الاجتماعى الأمريكى كحقل تجريبى وشبه تجريبى.

وقد انتقل نيوكومب إلى كلية بنينجتون Bennington College عام ١٩٣٤، أي بعد عامين فقط من قبول الكلية لأول دفعة من الطلاب بها إذ لم تكن الكلية مكانًا مناسبًا بالمعنى الدقيق للتعليم العالى، فقد كانت مجرد كلية جديدة صغيرة الحجم منعزلة فى الجبال الخضراء لمنطقة Vermont وذات توجهات جديدة تركز على مجتمع الكلية الخاص ، فضلاً عن أن الطلاب كانوا جميعًا من الإناث فحسب، ومن عائلات ميسورة بشكل أساسى ، ولكن ذلك كان هو المكان الذى جمع منه نيوكومب بياناته عن الطلاب لدراسته عن بنينجتون التى أصبحت أحد المعالم الأساسية فى الدراسات البحثية من حيث الأهمية النظرية والقدرة على التعميم ، وقد نشرت الدراسة تحت عنوان الشخصية والتغيير الاجتماعى Personality and Social Change (1943). وقد تضمن البحث دراسة طولية لتغيرات الاتجاه السياسى الاجتماعى ، وأظهرت النتائج وجود تحول شامل عن الاتجاه المحافظ بين الطلاب خلال سنوات الدراسة نتيجة لقوة الترابط الجماعى بين الأنداد والمعايير المجتمعية ، بينما تركزت الاستثناءات بين الطلاب الأكثر سلبية والأكثر اعتمادًا على الأسرة والبعيدين عن معايير المجتمع أو الذين ينتمون إلى مجموعات صداقة جامعية صغيرة تعيش فى عزلة نسبية عن مجتمع الجامعة الأكبر أو لديهم مواقف سلبية إزاءه .

وفى عام ١٩٤١ ، تم تعيين نيوكومب أستاذًا مساعدًا فى قسم علم الاجتماع بجامعة مشيجان، حيث ظل حتى إحالته إلى المعاش عام ١٩٧٢، وذلك باستثناء أربع سنوات قضاها فى واشنطن فى مواقع عديدة ذات علاقة بالحرب . وعندما عاد إلى جامعة أن آربر عام ١٩٤٥، حصل على الأستاذية فى قسمى علم النفس والاجتماع . وفى عام ١٩٥٥، وأثناء عمله بجامعة مشيجان، تم انتخابه رئيسًا لرابطة علم النفس الأمريكية.

وقد أنشأ برنامج الدكتوراه فى علم النفس الاجتماعى بجامعة مشيجان عام ١٩٤٦، وصار نيوكومب مديراً له عام ١٩٤٧، إلى أن تم حله عام ١٩٦٣، الأمر الذى أسف له نيوكومب ،لأن البرنامج كان قد اكتسب سمعة عالية حول تخريج أرقى الحاصلين على درجات الدكتوراه فى علم النفس الاجتماعى ، الذين حقق الكثير منهم نجاحًا باهرًا فى عملهم.. وإضافة إلى دوره كمدير لبرنامج الدراسات العليا، ومشرف لطلاب الدكتوراه كان نيوكومب يحظى باحترام وتقدير كمحاضر بالمرحلة الجامعية الأولى .

وكان لكتابين من كتب نيوكومب التى ارتبطت ارتباطًا وطيدًا بآرائه التدريسية دخل كبير فى صياغة محتوى علم النفس الاجتماعى، سواء من حيث تأثيرهما فى زملاء المهنة أو فى تعليم الطلاب . وهذان الكتابان هما قراءات فى علم النفس الاجتماعى Readings in Social Psychology (1947) الذى شارك فى تحريره يوچين إل . هارتلى Eugene L. Hartley، وكتاب علم النفس الاجتماعى Social Psychology (1950). وقد قدم الكتاب الأول للطالب مجموعة من المقالات البحثية التصورية التى تعكس حالة تقدم علم النفس الاجتماعى ، وقد اشتمل الكتاب على ملحق لتعريف الطلاب بأسس فرضية اختبار الإحصائيات الاستدلالية.

أما كتاب علم النفس الاجتماعى، فهو كتاب دراسى يقدم نظرية شاملة لعلم النفس الاجتماعى تضم وتدمج العديد من الأطر التصورية بما فى ذلك نظريات الذات الاجتماعية عند تشارلز هورتون كولى Charles Horton Cooley وچورچ هربرت ميد George Herbert Mead، ونظرية الإطار المرجعى frame of reference theory التى تعتمد بشكل أساسى على أعمال مظفر شريف، ونسق البناء والوظيفة التعريفى الذى

وضعه رالف لينتون Ralph Linton. وقد أضفت مفاهيم لينتون عن الدور والمكانة role and status بشكل خاص على كتاب نيوكومب طابع الجمع بين البناء الاجتماعى والسلوك على المستوى النفسى الفردى.

فى بداية الخمسينيات من القرن العشرين ، تركزت اهتمامات نيوكومب على الصيغ النظرية لطبيعة التفاعل بين اتجاهات الأفراد إزاء بعضهم البعض واتجاهاتهم إزاء الأشياء الخارجية (سواء الأشخاص الآخرون أو الأفكار الأخرى) ، وظهرت نماذجه الأولية لهذه الصيغ فى مقال بمجلة Psychological Review (1953) ، وبدأ فى العام التالى بحثًا عن الطلاب الذين يسكنون معًا لعام أكاديمى واحد بعد تعريفهم بأنهم سوف يكونون هم الذين يخضعون للفحص لهذه الدراسة ، وتمت دراسة مجموعتين، كل مجموعة على حدة خلال عامين متتالين، وكانت أهداف نيوكومب البحثية الاختبار التجريبى لأطروحاته النظرية وصقلها من حيث النتائج ، وتم رصد هذا البحث فى كتابه The Acquaintance Process (1961)، وقد وجد أنه بينما لا يوجد تغيير واضح فى الاتجاهات إزاء الأشياء الخارجية كان هناك تأثير متوازن تتغير من خلاله اتجاهات الطلاب إزاء بعضهم البعض وإزاء التجمعات الشخصية المصاحبة تبعًا لتقدم عملية التعارف ، وقد اتسقت هذه النتائج مع موقف نيوكومب من أفكار فريتز هيدر Fritz Heider عن "نظرية التوازن" balance theory ، وقد أدت هذه الدراسة إلى الاهتمام بفهم طبيعة الاستقرار لدى الأفراد وداخل المجموعات التى قام نيوكومب بمناقشتها فى بحثين متتاليين (١٩٦٣ و١٩٦٥).

وبعد مرور نحو ٢٥ عامًا على دراسة بنينجتون، بدأ نيوكومب فى بحث متابعة على الطلاب السابقين ، فقام بالمقارنة بينهم وبين طلاب بنينجتون فى منتصف الستينيات ، وتم نشر هذا

البحث بعنوان الاستمرارية والتغيير: كلية بنينجتون وطلابها بعد مرور ٢٥ عاماً Persistence and Change: Bennington College and Its Students After Twenty-Five Years - (Newcomb et al, 1967) ، ولعل أكثر ما يثير الدهشة هو أن خريجى الكلية كانوا يميلون إلى الاستمرار فى ليبراليتهم وعدم "الارتداد" إلى المذهب المحافظ.

وأوضحت بياناته عن طلاب بنينجتون خلال الستينيات وجود اختلاف مهم عن طلاب الثلاثينيات ، وهو أن طلاب أوائل الستينيات كانوا حتى قبل التحاقهم بالكلية يتمتعون بآراء ليبرالية ، لذا فلم يكن لتجربة بنينجتون بالنسبة إليهم تأثير واضح ، وقد فسر نيوكومب هذه الآثار على أنها تعزيز لاتجاهات قائمة بالفعل ، إلا أن الاتجاهات الاجتماعية السياسية لم تكن محط اهتمام واضح فى بيئة بنينجتون فى أوائل الستينيات ، لذا كانت الاتجاهات الأكثر شخصانية للفردية وعدم التقليدية والاستقلالية الفكرية أكثر ملاءمة لمعايير مجتمع الكلية.

وقد تناول نيوكومب الظاهرة العامة لمجموعات الطلاب الجامعية فى مقالين تم نشرهما ضمن مجموعتين من الدراسات ، قام Nevitt Sanford بتحرير أحدهما بعنوان The American College (1962)، ومجلد مصاحب قام بتحريره نيوكومب نفسه مع إفريت ويلسون Newcomb and Everett K. Wilson بعنوان College Peer Groups (1966) ، وقام نيوكومب فى هذين المقالين بتنظير المتغيرات التى تحدد تكونات الأنداد، وتناول بشكل أدق الانفصال بين اهتمامات المجموعات والقيم من ناحية، والوظائف الفكرية الأكاديمية للكلية من ناحية أخرى. واعترف نيوكومب بأن هذا الاهتمام بالتأكيد ليس بالأمر الجديد، إلا أنه أرجع تفاقم هذه الحالة حديثًا إلى زيادة حجم الكليات والانهيار المتزايد لخصائص المجتمع الأكاديمى:

"إننى أومن بأن أعضاء هيئة التدريس بالكليات بشكل عام لا تقل

قدراتهم اليوم على تقديم الإثارة الفكرية عما سبق، إلا أنهم اليوم يعملون فى ضوء نظم اجتماعية لا تتيح متابعة أو تعزيز أو مضاعفة الإثارة الفكرية التى يقدمونها من خلال ما يتم مشاركته خارج الفصل الدراسى ، فقد كانت الكليات فى السابق صغيرة الحجم، وكان الطلاب بها متجانسين نسبيًا، وكان الجو العام أشبه بالمجتمع المصغر ، وقد أدت معظم التغيرات التى طرأت خلال العقود القليلة الماضية إلى حرمان كثير من الكليات من هذه الخصائص ، وكانت النتيجة أن تأثيرات جماعات الأنداد ظلت على قوتها، ولكنها أصبحت منفصلة عن الاهتمامات الفكرية"

(Newcomb & Wilson 1966, p. 484).

وقام نيوكومب، بالتعاون مع Kenneth A. Feldman بكتابة عرض موسع ومجمع للأبحاث التى أجريت عن آثار الالتحاق بالكلية بعنوان The Impact of College on Students (1969) ، ويشير المؤلفان فى هذا العمل إلى عملية يطلقون عليها اسم"التوكيد" accentuation - أى التركيز على تعزيز القيم والتوجهات الدافعية القائمة بالفعل لدى الفرد. ويتأثر التوكيد بشكل خاص ببيئة الكلية عندما يكون حجم وحدة الكلية أو الوحدة الفرعية صغيراً بالقدر الذى يسمح بوجود جو مجتمعى ، ويمكن تعزيز الأهداف الفكرية للكلية عندما يتيح حجم وحدة الكلية وتنظيمها التواصل الاجتماعى غير الرسمى بين عضو هيئة التدريس والطالب ، وقد أدى الإيمان بهذه الفرضية عام ١٩٦٧، إلى إنشاء كلية "داخلية" Residential College بجامعة مشيجان، وكانت أولى دفعاتها تتكون من ٢٢٠ طالبًا ، وصار نيوكومب، الذى شارك فى تأييد الكلية والتخطيط لها، مديراً مساعداً لشئون التقييم والبحوث.

وفى أعقاب تقاعده الأكاديمى وإحالته إلى أستاذ متفرغ استمر نشاط نيوكومب البحثى بغير تراجع، كما

استمر فى تحليل البيانات الصادرة عن أبحاث تلك الكلية الداخلية (كلية تسمح بإقامة الطلاب داخلها) ، وأجرى تحليل البيانات التى حصل عليها من عينة تتكون من ٢٠٠٠ من نزلاء مؤسسات الأحداث بالولايات المتحدة ، وكان الهدف من هذا محاولة اكتشاف الأسباب وراء نجاح "الإصلاح لدى بعض الأطفال وفشله مع الآخرين ، ويشهد هذا التحول فى الاهتمام من الأكثر تفضيلاً إلى الأقل تفضيلاً من شباب مجتمعنا على قابلية تطبيق صيغ نيوكومب النظرية بشكل عام ، وكذلك اهتمامه الأبدى بالقضايا الاجتماعية(*).

المؤلف : Lloyd Barenblatt

المترجمة : مايسة النيال

WORKS BY NEWCOMB

WORKS BY NEWCOMB

1937 MURPHY, GARDNER; MURPHY, LOIS B.; and NEWCOMB, THEODORE M. *Experimental Social Psychology*. Rev. ed. New York: Harper. → Gardner Murphy and Lois B. Murphy were the authors of the first edition, published in 1931.

1937 NEWCOMB, THEODORE M.; and SVEHLA, GYULA Intra-family Relations in Attitude. *Sociometry* 1:180–205.

(1943) 1957 *Personality and Social Change: Attitude Formation in a Student Community*. New York: Dryden.

1947 NEWCOMB, THEODORE M.; and HARTLEY, EUGENE L. (editors) *Readings in Social Psychology*. New York: Holt.

1950 *Social Psychology*. New York: Holt.

1953 An Approach to the Study of Communicative Acts. *Psychological Review* 60:393–404.

1961 *The Acquaintance Process*. New York: Holt.

1963 Stabilities Underlying Changes in Interpersonal Attraction. *Journal of Abnormal and Social Psychology* 66:376–386.

1965 Interpersonal Constancies: Psychological and Sociological Approaches. Pages 38–49 in Otto Klineberg and R. Christie (editors), *Perspectives in Social Psychology*. New York: Holt.

1966 NEWCOMB, THEODORE M.; and WILSON, EVERETT K. (editors) *College Peer Groups: Problems and Prospects of Research*. Chicago: Aldine.

1967 NEWCOMB, THEODORE M. et al. *Persistence and Change: Bennington College and Its Students After Twenty-five Years*. New York: Wiley.

1969 FELDMAN, KENNETH A.; and NEWCOMB, THEODORE M. *The Impact of College on Students*. San Francisco: Jossey-Bass.

هايدر ، فريتز

Heider , Fritz

ولد فريتز هايدر (هيدر) فى فيينا عام ١٨٩٦ ، وقضى طفولته فى جراتز Graz، وتلقى تعليمًا تقليديًا فى المدرسة الرسمية للولاية (جيمنازيم Gymna-sium). ولم يستطع أن يخدم فى الجيش خلال الحرب العالمية الأولى نظرًا لإصابته فى عينه فى مرحلة الطفولة ، وقد التحق بجامعة جراتز . ولم يكن يشغل تفكيره أى هدف مهنى ، لكنه كان يحضر - وفقًا للتقاليد الأوربية- المحاضرات المتنوعة التى كانت تتاح لكل الطلبة الجامعيين ؛ وقد بدأت اهتماماته تتركز فى دراسة الفلسفة وعلم النفس .

وقد قابل هايدر أثناء التلمذة اليكسيوس ماينونج Alexius Meinong، وهو شخصية مؤثرة ومشهورة فى مجال الفلسفة الأوروبية ، حيث اقترح عليه أن يكون موضوع رسالته للدكتوراه الاجابة عن السؤال : " لماذا نقول إننا نرى البيت ولا نقول إننا نرى الشمس ؟" (الأشعة المنعكسة من ضوء الشمس هى المثير الذى يضرب العين فعليًا) . وفى مناقشة هذه المشكلة ميز هايدر بين "الشيء "Thing أو الموضوع object "الوسيط "medium ، أو ما يوجد فى البيئة التى تزودنا بالمعلومات حول الموضوع ، ويقول آخر الوسطاء media-tors (1927) . وقد استخدم هذا التحديد فى تحليله الأخير للإدراك الشخصى ، وفى جراتز كان هايدر متأثرًا أيضا بعالم النفس فيتوريو بنوسى Vittorio Benussi الذى كان أول من أجرى ونشر تجارب فى مجال الإدراك الكلى gestalt perception (الجشتالت) .

وبعد أن انتهى هايدر من رسالة الدكتوراه التى كتبها خلال شهور شتاء عام ١٩١٩ ، عمل لمدة عام فى مجال علم النفس التطبيقى ، ولكنه بعد مضى

فترة من عدم الاستقرار قرر الذهاب إلى برلين ، حيث كان أحد أعمامه يعمل مختصًا فى علم الحيوان ، وقد أشار عليه بوسى Benussi أن يشرع خلال فترة إقامته فى الاتصال بعلماء النفس فى جامعة برلين .

وكان هناك جو من الإثارة يشيع فى قسم علم النفس بجامعة برلين ، وكانت المحاضرات فى الإدراك – وخصوصًا تلك التى كان يلقيها ماكس ڤرتايمر Max Wertheimer – لها شعبية كبيرة للغاية بين تلاميذه المثقفين أيضًا فى مجالات مختلفة ، وكان هناك إحساس يقينى بأن البحوث والنظرية فى الجشتالت سوف يكون لها تأثير مهم على تطور علم النفس ، وكان هايدر يحضر محاضرات ڤرتايمر وكذلك محاضرات ڤولفجانج كوهلر Wolfgang Kohler ووجد أن كثيرًا من المفاهيم فى الجشتالت – مثل القوانين التى تحكم "تكوّن الوحدة unit forma-tion" – ذات فائدة بالنسبة إليه فى عمله الأخير عن الإدراك فى العلاقات بين الأشخاص ، كما أقام علاقة صداقة دائمة مع كورت ليڤين Kurt Lewin الذى كان أصغر الأعضاء سنًا فى كلية برلين .

وبعد برلين جاءت سنة الرحلة والراحة قبل التفرغ للعمل (ڤاندر ياهرن Wanderjahren) التى أتاحت له وقتًا كافيًا للغاية فى قراءة الفلسفة وبخاصة فلسفة سبينوزا Spinoza ونيتشه Nietzche، بالإضافة إلى القراءة فى علم النفس والأدب . و فى عام ١٩٢٧، أصبح مساعدًا لوليام ستيرن William Stern فى جامعة هامبورج ، وتعرف أثناء ذلك على هاينز ڤرنر Heinz Werner وإرنست كاسيرر Ernest Cassirer، وقد تعلم الكثير من خلال اتصاله ومعرفته بهولاء الثلاثة. وفى عام ١٩٣٠ ، نشر "Die Leis-tung des Wahrnehmungs- systems" ثم حصل على إجازة من هامبورج ليقبل منصبًا كان يعتقد فى البداية أنه لمدة عام واحد؛ للعمل مع عالم النفس الجشتالتى كورت كوفكا Kurt Koffka،

فى كليــة ســمــيث Smith College فى نورثمــــبــــتـــون Northampton فى ماساشوستس Massachusetts. وهناك كان عمله الأساسى فى مدرسة كلارك Clarke School لفاقدى السمع ، وهناك قـابل جـريس مـور Grace Moore التى كانت أيضا ضمن مـجموعة الباحثين المشاركين فى بحث كوفكا ، وقد تزوجا بعد فترة قصيرة، واستقر هايدر فى الولايات المتحدة . وفى السنوات التالية جمع بين الدراسة البحثية فى مدرسة فاقدى السمع، التدريس فى كلية سميث ، ونشــر بالمشــاركـة مع جــريس هـايدر دراستين عن سيكولوچية فاقدى السمع (١٩٤٠– ١٩٤١) ، وقد كانت الملاحظات التى قام بها هايدر فى محاولة منه لفهم عمليات التفكير لدى الأطفال فى مرحلة بدايات تعلم الكلام ، بمثابة الملهم له فى الفيلم الذى أعده بعد ذلك مع مـاريان سيميل Marianne Simmel، حيث أدمج النتائج التى بنيت على هذا الفيلم تباعًا فى عمله عن إدراك السلوك الشخـصى العرضى ، وفى عامه الأخير فى كلية ســمــيث تم تقـديره بإعطائه منحــة جـوجنهـايم Guggenheim لاستكمـال بحوثه التى أصبحت بعد ذلك مادة كتابه الأوسع انتشارًا وقراءة عن العلاقات بين الأشخاص .

وفى عام ١٩٤٧، انتقل هايدر إلى جـامـعـة كـانسـاس ، و كـان الرئيس الجــديد لقـســم علم النفس آنذاك هـو روچر چى. پاركـــر Roger G. Parker الذى استدعى للعمل معه فى القسم مـجـمـوعـة من الأشــخــاص الذين يتشابهون معه ولهم ارتباطات وثيقة الصلة بكيــرت ليــفين Kurt Lewin ، وخـلال السنوات التالية قضى هايدر فصلاً دراسيًا فى جامعة كورنل ، وعامًا فى جامعة أوسلو كأستاذ زائر مبعوثًا من فولبرايت ، وعـامًا فى جامعة ديوك Duke فى منصب أستاذ متميز يحمل اسم ويليام برستون فيو William Preston Few. وفى عـام ١٩٥١، حصل على منحة جوجنهايم للمرة الثانية ، وفى عام ١٩٥٦، تسلم منحـة مـن مـؤســسـة

فورد أتاحت له استكمال كتابه سيكولوچية العلاقات بين الأشخاص The Psychology of Interpersonal Relations (1958) ، ثم حصل في عام ١٩٥٩ ،على جائزة ليڤين التذكارية التى تمنحها "جمعية الدراسات النفسية للقضايا الاجتماعية" ، وفى عام ١٩٦٣، تقاسم مع بايرون كالدويل سميث By-ron Caldwell Smith الجائزة التى تمنحها جامعة كانساس ، وفى عام ١٩٦٥، حصل على جائزة الإسهام العلمى المميز التى تقدمها الرابطة الأمريكية لعلم النفس .

وقد كان أكثر إسهامات هايدر تأثيراً هو كتابه سيكولوجية العلاقات بين الأشخاص ، ففى هذا الكتاب طبق هايدر قوانين إدراك الموضوعات المادية التى طورها علماء نفس الجشتالت على الإدراك والدوافع نحو الموضوعات الاجتماعية "objects" أو نحو الأشخاص ، وكان التركيب بين الموضوع وإدراك الشخص أحد أهم إنجازاته العلمية .

. وثمة موضوعان رئيسان ومترابطان كان لهما تأثير كبير فى تطور علم النفس تولى هايدر توضيحهما بالتفصيل فى كتاب سيكولوجية العلاقات بين الأشخاص . ويرتبط أحد هذين الموضوعين بمفهوم التوازن ، وقد ذكر هايدر أن أشكال أو صور الموضوعات بما فى ذلك الموضوعات الاجتماعية يمكن تصنيفها بين تلك التى توجد فى حالة توازن (ثابتة)، والتى توجد فى حالة من عدم التوازن (غير ثابتة) ، ونظراً لأن الحالات المتوازنة تعتبر مفضلة من الناحية الذهنية عن الحالات غير المتوازنة ، فإن أى علاقات جديدة يمكن تشكيلها وفقاً لمبدأ التوازن يجب أن تتحقق أيضا بالنسبة إلى أى بناء غير متوازن . وعلاوة على ذلك فإن وجود أى حالة من حالات عدم التوازن يتضمن وجود قوة تدفع لتغييرها فى اتجاه التوازن ، فإذا تناولنا النظام الخاص بوجود علاقة بين شخصين ، كما هو

الحال ، مثلا ، إذا كان الشخص "أ" يميل إلى "ب" ، و"ب" يميل إلى "أ" فإننا نكون أمام علاقة متوازنة ، أما إذا كان "أ" يميل إلى "ب" ولكن "ب" لا يميل إلى "أ" فإنه يكون هناك عدم توازن فى العلاقة ، وتكون لدى "أ" قوة لتغيير اتجاه "ب" وإساءة فهم عاطفة "ب" بشكل متحيز أو تغيير الاتجاه نحو "ب" ، والأشكال التى تضم ثلاثة كيانات ، مثل تلك التى تقوم بين شخصين وموضوع ما ، تكون أشد تعقيداً. فعلى سبيل المثال إذا كان "أ" يميل إلى "ب" وموضوع (× مثلا الرئيس المنتخب) فإنه يترتب على ذلك أنه إذا كان "ب" لا يميل إلى × فإن الموقف يكون غير متوازن، وتكون هناك حاجة لإيجاد وخلق قوة لإعادة النظام إلى حالة التوازن . وبطريقة هايدر المتميزة التى تمزج بين الملاحظات اليومية، والأمثلة الأدبية، والتحليل العلمى، تبين أن كثيراً من الأعمال التراجيدية تستخدم وتستفيد من مبادئ التوازن (ففى قصة روميو وجولييت مثلا، كان روميو يحب جولييت، وجولييت تحب وتطيع والديها، ولكن والديها لا يتقبلان روميو) ، وهناك مثل على عدم التوازن "الكامن latent" ، والذى يسهم فى حدوث توتر درامى فى قصة إبسن Ibsen البطة المتوحشة Wild Duck، وذلك عندما كان الزوج كثير الشكوك يحب زوجته التى كانت متورطة دون علمه فى عمل غير أمين من أجل مصلحته.

العوامل المتسببة :

إن النقطة المحورية الثانية الأساسية فى سيكولوجية العلاقات بين الأشخاص The Psychology of Inter-personal Relations تختص بمدركات المتسببات، وبصفة خاصة بين الأفعال أو السلوك ودوافع ونوايا الآخرين ، وفى تجربة سابقة قام بها هايدر وزيمل Simme على مجموعة من الأشخاص تم عرض ثلاثة أشياء تتحرك على شاشة (وهذه الأشياء هى مثلث كبير وآخر صغير ودائرة)، لاحظ الاثنان أن

تفسير الأشخاص الذين خضعوا للتجربة للفيلم المعروض، كانت تتم فى الأغلب على أنها تشير إلى العلاقات بين الأشخاص ومشاعرهم وأحاسيسهم . فعلى سبيل المثال ، كان التصادم بين الأشياء يفسر بالمعارك التى يتسبب فيها الشعور بالغيرة، أما الحركات المشتركة فهى دليل على الحب و"الترابط فيما بينهم " ... وهكذا. وعلى ذلك فإن إدراك السببية ينظم الإدراكات ويستبعد التمييز بين إدراك الشىء المادى وإدراك الشخص.

ويسلم هيدر بأن الناس تكون مدفوعة لفهم بيئتهم والتحكم فيها لأن الفهم – من ناحية – يعتبر أداة للتكيف وللسلوك المستقبلى، ولأن ثمة من الناحية الأخرى ميلاً أصيلاً لحب الاستطلاع والرغبة فى "المعرفة to know". وامتداداً للتمييز الذى أجراه فى مقاله "Ding und Medium"" 1927" ذهب إلى أننا غالباً ما نكون فى اتصال بالحقائق المباشرة والبيانات الأولية، ولكننا نبحث عن العمليات التى تقف وراءها أو الخصائص التى نميل إليها لكى نفسر ونشرح هذه الحقائق ، وهذه الحقائق الأساسية هى بصفة عامة الجوانب المحتملة فى الحياة. وقد اقترح هايدر أنه فى "التحليل الأولى البسيط للفعل naive analysis of action" يتم إدراك الأسباب الرئيسية للأحداث إما بصفتها عوامل داخلية لدى الشخص (القدرة والمجهود) وإما بصفتها عوامل خارجية (سمات الجهد والعمل بوجه خاص) . وللخصائص العملية لهذه العوامل المتباينة تبعات بعيدة المدى. فعلى سبيل المثال إذا كان شخص ما يستمتع بالأكل فى أحد المطاعم، فإن سلوكنا نحن (كأن نقرر تناول طعامنا فى ذلك المطعم) يختلف تبعاً لما إذا كان تمتعه بطعامه يرجع إلى الجوع أم إلى نوعية الطعام.

المنهج العلمي :

ترجع مصادر أفكار هايدر إلى حد كبير إلى ملاحظاته وإلى الأدب، وكان

منهجه غالبًا ما يبدأ بعمل "تجارب ذهنية mental experiments" تصاغ فيها مواقف التفاعل بين الأشخاص وتتغير بطريقة منتظمة (فمثلا قد لا يحب روميو جولييت، أو أن جولييت لا تعبأ ولا تهتم بوالديها)، ثم يستخلص منها النتائج السيكولوجية ، وقد قادته الأفكار التي تولدت بهذه الطريقة إلى مزيد من التجارب قام هو ببعضها هايدر ولكن أكثرها قام بها آخرون غيره، ودفعته تلك التجارب بدورها إلى المزيد من التنظير.

التراث العلمي Scientific Heritage:

منذ عام ١٩٥٥ ،يسيطر في علم النفس الاجتماعي نموذجان أساسيان : الأول: هو التنافر الإدراكي أو المعرفي، وهو نظرية للإدراك الدينامي قال بها ليون فيستنجر Leon Festinger، و كانت تؤلف جزءًا من المبدأ العام للتوازن. بينما كان النموذج الثاني (ولايزال): هو نظرية العوامل المتسببة التي كانت كتابات هايدر هي المنبه والمثير لها، وكانت تبدو خاصية السبب هي أقوى ما في هذا النموذج ، وقد سادت علم النفس الاجتماعي، كما غزت مجالات دراسة الدوافع والشخصية والعلاج النفسي. وجزء من ثراء هذه النظرية يرجع إلى شخصية هايدر الذي كان يشجع الاتجاهات الجديدة والمسارات البديلة بدلاً من التعسف في فرض مجموعة أفكار معينة والإصرار عليها(*).

(*) توفي فريتز هايدر في الثاني من يناير عام ١٩٨٨ وهو في الحادية والتسعين من العمر ، بينما توفيت زوجته جريس هايدر عام ١٩٩٥، وهي في الحادية والتسعين من العمر أيضًا ، إذ كان مولدها عام ١٩٠٢ . (المراجع)

المؤلفان : Marijana Benesh Weiner
and Bernard Weiner

المترجمة : سلوى العامرى

WORKS BY HEIDER

WORKS BY HEIDER

1927 Ding und Medium. *Symposion, philosophische Zeitschrift für Forschung und Aussprache* 1:109–157.

1930 Die Leistung des Wahrnehmungs-systems. *Zeitschrift für Psychologie* 114:391–394.

1940 HEIDER, FRITZ; and HEIDER, GRACE M. *A Comparison of the Sentence Structure of Deaf and Hearing Children.* Psychological Monographs 52, no. 1: Whole no. 232. → First volume of *Studies in the Psychology of the Deaf.*

1941 HEIDER, FRITZ; and HEIDER, GRACE M. *The Adjustment of the Adult Deaf.* Psychological Monographs 53, no. 5: Whole no. 242. → Second volume of *Studies in the Psychology of the Deaf.*

1944 Social Perception and Phenomenal Causality. *Psychological Review* 51:358–374.

1944 HEIDER, FRITZ; and SIMMEL, MARIANNE An Experimental Study of Apparent Behavior. *American Journal of Psychology* 57:243–259.

1946 Attitudes and Cognitive Organization. *Journal of Psychology* 21:107–112.

1958 *The Psychology of Interpersonal Relations.* New York: Wiley.

1959 On Perception and Event Structure, and the Psychological Environment. *Psychological Issues* 1, no. 3:1–123. → A collection of previously published papers, translated into English, including "Thing and Medium" ("Ding und Medium," 1927) and

"The Function of the Perceptual System" ("Die Leistung des Wahrnehmungs-systems," 1930).
1960 The Gestalt Theory of Motivation. Pages 145–172 in Marshall R. Jones (editor), *The Nebraska Symposium on Motivation: 1960*. Lincoln: Univ. of Nebraska Press.
1968 Stern, William. Volume 15, pages 262–265 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

HARVEY, JOHN H.; ICKES, WILLIAM; and KIDD, ROBERT F. (editors) 1976–1978 *New Directions in Attribution Research*. 2 vols. Hillsdale, N.J.: Erlbaum.
JONES, EDWARD S. et al. 1972 *Attribution: Perceiving the Causes of Behavior*. Morristown, N.J.: General Learning Press.

وكسلر، ديفيد

Wechsler , David

ولد ديفيد وكسلر David Wechsler لأبوين هما موزيس Moses ولى Leah (باسكال Pascal) وكسلر فى مدينة ليسبدى Lespedi برومانيا Romania فى ١٢ يناير عام ١٨٩٦، وكان ترتيبه الأخير بين سبعة أطفال. وقد تزوج روث أن هالبرن Ruth Ann Halpern فى ٢١ يوليو عام ١٩٣٩، و أنجب منها طفلين. وكان ألفريد بينيه Alfred Binet– الذى وصل وكسلر إلى مكانته فيما بعد– قد بلغ بالفعل عامه التاسع والثلاثين سنة ١٨٩٦ التى شهدت إطلاق برنامج بحثى توصل من خلاله فى عام ١٩٠٥ – وبعد العديد من الإخفاقات – إلى أن يقدم للبشرية أول اختبار يقيس الذكاء ، وهو مقياس بينيه – سيمون Binet - Simon. وقد هاجر والد وكسلر – الذى كان يعمل أستاذًا – هو وأسرته إلى مدينة نيويورك عندما كان وكسلر فى السادسة من عمره ، فاستكمل دراسته الابتدائية والثانوية فى مدينة نيويورك، ثم أعقب ذلك تخرجه فى كلية نيويورك سيتى College of the city of New York، حيث حصل على درجة البكالوريوس عام ١٩١٦، ثم حصل على الماجستير من جامعة كولومبيا عام ١٩١٧ ، حيث كتب رسالته تحت إشراف روبرت س. وودورث Robert S.Woodworth كما كان من بين أساتذته الآخرين جيمس ماكيين كاتل James Mckeen Cattell وإدوارد إل . ثورنديك Edward L.Thorndike، وتوماس هنت مورجان Tomas Hunt Morgan.

كان تدريب وكسلر فى علم النفس معاصرًا لدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى مباشرة ، وبينما كان فى انتظار تجنيده ذهب إلى معسكر يفانك Yaphank بلونج أيلاند Long Island حيث عمل تحت توجيه إدوين چى . بورنج Edwin G. Boring، الذى ساعده

فى وضع درجات وتقييم عدة آلاف ممن تم استدعاؤهم للجيش وطبق عليهم اختبار ألفا العسكرى Army Alpha Test، وبعد تجنيده وتدريبه فى كلية علم النفس الحربى فى معسكر جرين ليف Greenleaf بولاية جورجيا ، تم تعيينه فى الوحدة النفسية بفورت لوجان Fort Logan بولاية تكساس ، وهناك كانت مسئولياته وواجباته تتعلق إلى حد كبير بتقييم الأشخاص الذين يتم استدعاؤهم للجيش، وذلك من خلال تطبيق اختبار ستاتفورد - بينيه لقياس الذكاء، ومقياس يركز بوينت Yerkes Point Scale ومقاييس الأداء العسكرى للفرد Army Individual, Performance Scale. بينما كان يحاول تقييم اللياقة العسكرية للأفراد الذين تكرر فشلهم عند تطبيق الاختبارات المقننة، ولكنهم قدموا سجلات تشير إلى ملاءمتهم فى أداء العمل والتكيف فى الحياة المدنية، أدرك للمرة الأولى مدى الحاجة إلى (١) مفهوم أوسع للذكاء عن المفاهيم الشائعة حينذاك . (٢) وجود اختبار لقياس الذكاء يناسب بطريقة أفضل الأشخاص البالغين المتعلمين وغير المتعلمين على السواء.

فيما يتعلق بالإشكالية الأولى أصبح أكثر اقتناعًا بمضى السنين، بأن الممارسة التاريخية التى ارتبطت بكل من ثورنديك وسبيرمان ولويس تيرمان وهنرى جودارد بتحديد (وبالتالى بقياس) الذكاء فى ضوء القدرة العقلية وحدها، يحتاج إلى تعديل ومراجعة ، فقد كان وكسلر يرى أنه يجب ألا يفصل الذكاء عن باقى الشخصية ، وقد كانت وجهة النظر هذه أحد إسهاماته التى وجدت تعبيرًا لها فى تعريفه للذكاء (1939b, pp .3-12) ، وذلك بصفته قدرة عامة وليست متفردة ؛ تتضمن مكونات عاطفية ونزوعية مثلما تتضمن مكونات معرفية، ولكن على الرغم من أن هذه كانت تطورت منذ سنواته المبكرة، فإنها لم تتبلور تمامًا إلا بعد أن نشر مقياس Bellevue-Wechsler (1939a)، وكتابه قياس وتقدير ذكاء البالغين The Measurement and Appraisal of

Adult Intelligence (1939b) ثم تطور بصورة أكبر فى كتاباته فى الأعوام ١٩٤١، ١٩٤٤، ١٩٥٨, ؛ أما الإشكالية الثانية ، فقد أشار إليها أيضًا فى مقياس Belleuve-Wechsler عام ١٩٣٩، وفى كتاب بعد أن أدخل فى هذا المقياس خمسة اختبارات فرعية غير لفظية للأداء تتناسب مع تقييم الأجانب المقيمين بمدينة نيويورك والسكان البالغين من غير المتعلمين ، وذلك بدلا من الاختبار اللفظى الشائع - ستانفورد- بينيه - الذى تم تقنينه على الأطفال أولا ، وكان قد مر فى ذلك الوقت عشرون سنة على تجنيده فى الحرب العالمية الأولى حين نُشر لأول مرة مقياس Bellevue-Wechsler، وذلك قبل أن تنضج هاتان الفكرتان تمامًا.

وقد تخللت تلك المرحلة فترات طويلة من الاهتمامات المتنوعة والانشغالات المختلفة ، ففى البداية، عندما كان شابًا فى فرنسا، تم قبوله (١٩١٩) طالبًا مجندًا فى جامعة لندن مما أتاح له فرصة غير عادية للدراسة والعمل مع سبيرمان Spearman ومع كارل إتش.. بيرسون Karl H. Pearson. وقد كان لكليهما تأثير قوى على تفكيره فيما بعد، إذ تأثر بسبيرمان من خلال مفهومه عن الذكاء، وتأثر ببيرسون من خلال استخدام الأساليب الارتباطية المبتكرة ، وفى البيئة التى صادفها هناك انحاز وكسلر بسرعة إلى العامل "g" عند سبيرمان، وهو عامل عام موجود فى كل قدرة عقلية، ويتعارض بشكل مباشرمع الجدل المحتدم لدى ثورندايك والآخرين الذين يرون أن الذكاء يتألف أيضًا من عوامل معينة ، وبعد مرور عدة سنوات، وبصفته نوعًا من رد الفعل لدراسات كل من ترومان إل. كيللى Truman L. Kelley وإل. إل. ثيرستون L. L. Thurstone، وأيضا نتيجة لتأثير ملاحظاته الشخصية فى العلاج تخلى وكسلر على مضض عن العامل الواحد لدى سبيرمان (الذى أصبح بعد ذلك عاملاً ثانيًا) ، وذلك فى نظرية التكوين-

الوراثى للذكاء .constitution-genetic وفيما بعد فسر وكسلر أسبابه فى ذلك قائلا: "إننى أنظر إلى الذكاء باعتباره نتيجة وليس سببًا، أى إنه نتاج لتفاعل العديد من العوامل والقدرات" (١٩٣٩) (b) 1958, pp.vii-viii ولعل النظر إلى الذكاء المقاس باعتباره نتيجة بدلاً من أن يكون سببًا كما كان لدى سبيرمان وتيرمان وآخرين غيرهما هو الذى أتاح لوكسلر تقديم فكرة تأخر نمو الشخصية ، وعلى ذلك لا يكون التكوين الوراثى وحده هو المؤثر فى قياس الذكاء. وعلى الرغم من أنه ظل طوال عمره يؤيد الدور القوى الذى تلعبه الوراثة فى تحديد معدل الذكاء IQs، فإنه كان من أوائل المعالجين النفسيين ١٩٣٩ ، b١٩٢٦، الذين افترضوا أيضا أهمية التأثير القوى للشخصية والعوامل التعليمية والعاطفية والثقافية الاجتماعية بصفتها مؤثرات على معدل نسبة الذكاء.

وبعد فترة قصيرة من انتهاء خدمته العسكرية (أغسطس ١٩١٩) حصل وكسلر على منحة من الجمعية الأمريكية للمنح للدراسة فى الجامعات الفرنسية حيث قضى عامين (١٩٢٠-١٩٢٢) فى جامعة باريس، جامعًا بين عملين تحت إشراف هنرى بيرون Henri Piéron بكلية الدراسات العليا، ولوى لابيك Louis Lapique بمعمل علم النفس بجامعة السوربون ، واستطاع خلال تلك الفترة أن ينهى الجزء الأكبر من أبحاثه فى موضوع الانعكاس الكهرو-عصبى Psychoglavanic reflex الذى شكل أساس موضوعه لرسالة الدكتوراه بعد ذلك عن "The Measurment of Emotional Reactions: Researches on the Psychoglvanic Reflex"(1925a) تحت إشراف وودورث فى جامعة كولومبيا. وكانت تلك هى الفترة التى التقى فيها أيضا تيودور سايمون Theodore Simon وبيير چانيه .Piérre Janet

وعاد وكسلر إلى الولايات المتحدة من باريس فى ربيع عام ١٩٢٢،

لحصوله على عرض فى وظيفة معالج نفسى فى مكتب تم استحداثه لإرشاد الأطفال فى نيويورك ، واستمر فى العمل هناك فى الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٤ ، وكان يقضي فترات الصيف فى العمل مع إتش. إل. ويلز H.L. Wellsفى مستشفى الأمراض النفسية ببوسطن ، كما كان يحضر مؤتمرات ويليام هيلى William Healy واوجستا ف. برونر Augusta F. Bronner فى المدينة نفسها . وقد أتاحت له هذه الخبرة الصيفية والتدريب العلاجي فى بوسطن فرصة المشاركة بفاعلية فى البرامج الجديدة التى تم تطويرها فى المكتب الإرشادى للأطفال فى نيويورك، كما كانت مفيدة للغاية بالنسبة إليه فى موقعه بصفته معالجًا بعد ذلك فى مستشفى بلڤيو Bellevue. وخلال فترة عمله فى مكتب الإرشاد النفسى للأطفال كان يمضى بعض الوقت فى جامعة كولومبيا لاستكمال رسالة الدكتوراه التى حصل عليها عام ١٩٢٥ .

و فى عام ١٩٣٢، أصبح وكسلر رئيسًا للمعالجين النفسيين فى مستشفى بلڤيو للأمراض النفسية ، وقد تزامن ذلك مع تعيينه فى كلية الطب بجامعة نيويورك (١٩٣٣) ، وظل يشغل هذين المنصبين لمدة ٣٥ عامًا حتى أصبح أستاذًا فخريًا عام ١٩٦٧ ، وفى الفترة بين عامى ١٩٢٥ و ١٩٣٢ انشغل بالعمل فى عيادة خاصة، كما شغل عددًا من المناصب الأخرى من بينها فترة محددة عمل فيها سكرتيرًا للمؤسسة السيكولوجية (١٩٢٥-١٩٢٧) التى كانت فى ذاك الوقت تحت رعاية وإشراف أحد أساتذته الأوائل وهو كاتيل Cattel. وكما فعل بينيه، عمل وكسلر على الجمع بين البحث والدراسة والعمل العلاجى ، وقد انعكس ذلك فى عناوين كتاباته المنشورة فى تلك الفترة ، وكان أهمها فى رأيه مقاله عن"مدى القدرات الإنسانية The Range of Human Capacities " (1930)، فقد كان ذلك المقال بمثابة الرائد الذى اعتمد

عليه فى كتابه الذى نشره بعد ذلك فى عام ١٩٢٥ الذى يحمل الاسم نفسه . ومن الطريف أن وكسلر كان يعتبر ذلك الكتاب أهم أعماله الأدبية على الإطلاق. وكان يشير دائمًا فى كتبه وأوراقه المنشورة إلى أن المدى الذى تنتظم تحته معظم السمات والقدرات الإنسانية، بما فيها تلك التى تتعلق بأداء الذكاء ، تعد صغيرة نسبيًا. ومن الأمور التى تمثل دلالة تاريخية خاصة، تلك النتائج التى توصل إليها بخصوص نمو وتدهور القدرة مع السن، والتى أشار إليها عام ١٩٢٥، وضمنها فى كتابه.

ومع بداية عام ١٩٣٤، توجهت مجهودات وكسلر الإبداعية إلى اثنين من الموضوعات التى تعد من أكثر إسهاماته أهمية، وهما : تطوير مقاييس الذكاء التى حملت اسمه وتقنيتها ، واستبدال معدل الانحراف (وهو أمر مهم فى تقييم مستوى ذكاء البالغين) الذى كان يرد درجة اختبار ذكاء الشخص إلى الجماعة العمرية التى ينتمى إليها كمرجع بدلاً من ربطه بأى عمر عقلى ويحد أقصاه خمس عشرة سنة للشخص البالغ على ماكان يفعل بينيه وتيرمان وآخرون . وقد كان المنبه المباشر لهذين الإسهامين هو إدراكه لمدى الحاجة لوجود أداة ملائمة لقياس التعدد اللغوى المتزايد والاختلافات الكثيرة بين السكان ممن كانوا يلجأون إليه لإجراء الاختبارات النفسية فى بلڤيو Bellevue. ولم يكن الاختلاف راجعًا فقط لسهولة استخدام اللغة الانجليزية، ولكن أيضا لاختلاف الأصول العرقية القومية والتباين فى المستويات الاقتصادية الاجتماعية واتساع الفئات العمرية لدى الأفراد ، لذلك وجد أن مقياس ستانفورد- بينيه، واختبارات (Army Alpha and Beta) لا تتلاءم علاجيًا بالنسبة إلى مثل هؤلاء الأفراد البالغين ، لذلك بدأ يختبر العديد من اختبارات الذكاء الفردى المنشورة التى تبدو أكثر ملاءمة للاستخدام مع هؤلاء الأفراد البالغين، من خلال التجريب

والمحاولة والخطأ، توج هذا المجهود بتجميعه فى بطارية واحدة أطلق عليها مقياس بلفيو- وكسلر Bellevue- Wechsler (1939a) ، وقبل اتخاذ القرار بتطوير هذا المقياس الذى يحتوى على بنود كثيرة، عمل وكسلر على اختبار عدد من الأفكار التى ثار حولها جدل شديد بين الأكاديميين الثقات أمثال سبيرمان من لندن وثورندايك من كولومبيا ، وعلى خلاف هؤلاء العلماء الذين كانوا بحكم الطبيعة الخاصة لاهتماماتهم، يختبرون جماعات كبيرة من الطلبة غير المعروفين لديهم وكذلك أفراد طبيعيون كانت مسئولياته فى بلفيو تضعه فى موقف اتصالى بمريض واحد، وكانت نتائج القياس النفسى لهذا المريض تبرز فى التقييم النفسى، وكان يتبع ذلك إما علاجًا نفسيًا وإما اتخاذ إجراءات قانونية .

وهذه المعرفة الواسعة فى المجال العلاجى كوحدة للتاريخ التكيفى الاجتماعى لكل مريض كان يتم فحصه على حدة فى مستشفى بيلفيو، قد منحت وكسلر بصيرة ثاقبة بأن تحديد معدل الذكاء فى حد ذاته أمر جيد ولكنه غير كاف كمؤشر لنجاح السلوك التكيفى للفرد ، وأنه بناء على ذلك يمكن للشخصية والدوافع والفرص الثقافية وظهور أمراض نفسية وما إليها أن تؤثر بقوة على درجة معدل ذكاء الفرد. وذهب وكسلر إلى أن الاختبارات العشرة الفرعية والشاسعة التباين اللفظى والأدائى والتى تكوّن فى مجموعها اختبار Bellevue- Wechsler الأول الذى يرجع إلى عام ١٩٣٩، لا تمدنا فحسب بمقياس كامل لمعدل الذكاء، ومعدل الذكاء اللفظى، ومعدل الذكاء فى الأداء، ولكنها أيضا تسمح بالتفسير والتحليل الكمى والكيفى، بحيث يمكن فى حدود نماذج الاختبارات الفرعية وتوزيعاتها أن تتيح رؤية ثرية للعلاج فى ضوء بعض جوانب شخصية الفرد الخاضع للفحص والعلاج.

وكان وكسلر يعتبر أن هذه الإمكانية الثرية فى العلاج من خلال

استخدام مقياسه Bellevue- Wechsler المتعدد من النواحى اللفظية والأدائية غاية فى الأهمية حتى أنه استمر فى استخدام البطارية متعددة الاختبارات والقابلة للمقارنة (المكونة من ١٠ أو ١١ اختبارًا فرعيًا) فى تطوير: (١) اختبار العسكرية لوكسلر لعام ١٩٤٢ (Bellevue- Wechsler 11–) ، وذلك لاستخدامه فى الجيش الأمريكى إبان الحرب العالمية الثانية (١٩٤٦). (٢) مقياس وكسلر لذكاء الأطفال (١٩٤٩). (٣) وضع دليلاً لمقياس وكسلر لذكاء البالغين (١٩٥٥). (٤) مقياس وكسلر لذكاء الأطفال فى مرحلة ما قبل المدرسة والمرحلة الإبتدائية (١٩٦٧). (٥) مقياس وكسلر المعدل لذكاء الأطفال (١٩٧٤). وقد واصل هذا التوجه والاقتراب ، وذلك فى (٦) مقياس وكسلر لذكاء البالغين – المعدل، والذى تم بناء عليه قيامه هو والاتحاد النفسى Psychological Cor- poration بالبدء فى إجراء عمليات تطوير وتقنين المقياس فى النصف الأخير من السبعينيات ، هذا ويمكن التعرف على مراحل تطور أفكار وكسلر عن طبيعة الذكاء الذى أمده بالإطار المرجعى للمقاييس التى أعدها بالرجوع إلى أعماله ومنشوراته التى تم إعادة نشر الكثير منها فى مجلد يضم هذه الأعمال المجمعة، والتى قام بتصنيفها هو وألن چيه. إدوارد Allen J. Ed- wards (1974p).

وخلال تاريخه المهنى الثري والمتنوع ، حصل وكسلر على تقدير شرفى من جهات عديدة من بينها: (١) تكريم من الرابطة الأمريكية لعلم النفس لإسهاماته المتميزة فى مجال العلاج النفسى من قسم علم النفس (١٩٦٠). (٢) تقدير خاص من قسم علم النفس المدرسى (١٩٧٣). (٣) ميدالية ذهبية كجائزة سنوية للإسهام المهنى المتميز من الرابطة الأمريكية لعلم النفس (١٩٧٣) ، كما تلقى أيضا تكريمًا خاصًا لإسهاماته المتميزة من الرابطة الأمريكية للإعاقة العقلية (١٩٧٢)، كما

حـــصل أيضـــا على تكريم مماثل من جامـعات وجمـاعات علمية كثيرة على مستوى العالم .

وكـــــان لايـزال وهـو فـى بـداية الثمانينيات من عمره مطلوباً للتحدث فى الولايات المتحـدة الأمـريكيـة وفى كـثيـر غيرها من دول العالم(*).

(*) توفى ديفيد وكسلر عام ١٩٨١، وهو فى الخامسة والثمانين من العمر . (المراجع)
المؤلف : Joseph Matarazz
المترجمة : سلوى العامرى
WORKS BY WECHSLER

WORKS BY WECHSLER

(1917) 1974 A Study of Retention in Korsakoff Psychosis. Pages 267–270 in David Wechsler, *Selected Papers of David Wechsler*. New York and London: Academic Press. → First published in the *Psychiatric Bulletin* of the New York State Hospital (Utica) 2:403–451.

1925*a* The Measurement of Emotional Reactions: Researches on the Psychogalvanic Reflex. *Archives of Psychology* 12(76):5–181. → Published also as PH.D. thesis, Columbia University.

1925*b* What Constitutes an Emotion? *Psychological Review* 32:235–240.

(1926) 1974 On the Influence of Education on Intelligence as Measured by the Binet–Simon Tests. Pages 227–236 in David Wechsler, *Selected Papers of David Wechsler*. New York and London: Academic Press. → First published in the *Journal of Educational Psychology* 17:248–257.

(1930) 1974 The Range of Human Capacities. Pages 101–105 in David Wechsler, *Selected Papers of David Wechsler*. New York and London: Academic Press. → First published in the *Scientific Monthly* 31:35–39.

(1932) 1974 On the Limits of Human Variability. Pages 106–109 in David Wechsler, *Selected Papers of David Wechsler*. New York and London: Academic Press. → First published in the *Psychological Review* 39:87–90.

(1935) 1952 *The Range of Human Capacities*. 2d ed. Baltimore: Williams and Wilkins.

1938 Mental Deterioration: Its Measurement and Significance. *Journal of Nervous and Mental Disease* 87:89–97.

1939*a* *The Bellevue–Wechsler Scale, Form I.* New York: Psychological Corporation.

(1939*b*) 1972 *The Measurement and Appraisal of Adult Intelligence.* 5th ed., rev. & enl. Baltimore: Williams and Wilkins. → First published as *The Measurement of Adult Intelligence.* Fifth edition written by Joseph D. Matarazzo. References in the text sometimes refer to the 1958 edition.

(1943) 1974 Non-intellective Factors in General Intelligence. Pages 36–38 in David Wechsler, *Selected Papers of David Wechsler.* New York and London: Academic Press. → First published in the *Journal of Abnormal and Social Psychology* 38:101–103.

1944 WEIDER, A. et al. The Cornell Selectee Index: A Method for Quick Testing of Selectees for the Armed Forces. *Journal of the American Medical Association* 124:224–227. → Written in collaboration with Bela Mittleman, David Wechsler, and Harold G. Wolff.

1945 A Standardized Memory Scale for Clinical Use. *Journal of Psychology* 19:87–95.

1946 *The Wechsler–Bellevue Intelligence Scale, Form II: Manual for Administering and Scoring the Test.* New York: Psychological Corporation.

1949 *Wechsler Intelligence Scale for Children: Manual.* New York: Psychological Corporation.

(1950) 1974 Cognitive, Conative, and Non-intellective Intelligence. Pages 39–48 in David Wechsler, *Selected Papers of David Wechsler.* New York and London: Academic Press. → First published in the *American Psychologist* 5:78–83.

1955 *Manual for the Wechsler Adult Intelligence Scale.* New York: Psychological Corporation.

1967 *Wechsler Preschool and Primary Scale of Intelligence.* New York: Psychological Corporation.

(1971) 1974 Concept of Collective Intelligence. Pages 55–60 in David Wechsler, *Selected Papers of David Wechsler.* New York and London: Academic Press. → First published in the *American Psychologist* 26:904–907.

1974*a* *Selected Papers of David Wechsler.* With introductory material by Allen J. Edwards. New York and London: Academic Press.

1974*b* *Wechsler Intelligence Scale for Children—Revised (WISC–R).* New York: Psychological Corporation.

1975 Intelligence Defined and Undefined: A Relativistic Appraisal. *American Psychologist* 30:135–139.

قائمة المصطلحات (A)

إعداد – أحمد أبو زيد

A

Ability	قدرة
Abnormal	شاذ ، غير سوى ، غير طبيعى
Acquisitions	مكتسبات
Adaptation	تكيّف
Adjustment	توافق
Affect	وجدان
Age ranges	فئات العمر
Analysis	تحليل
Path)-	تحليل
Regression	المسار
Anomaly	تحليل ارتدادى
Antagonism	شذوذ
Anxiety	تصارع
Aspiration	قلق
Association	تطلّع ، طموح
Association of Ideas	رابطة ، ترابط
Attitude	تداعى المعانى
Autistic perception	اتجاه
	إدراك توحدى

Axioms	بديهيات

B

Backwardness	تخلف
Behavioural Methods	المناهج السلوكية
Biometry	إحصاء إحيائى

C

Catholicity	عمومية– شمولية
Clairvoyance	استشفاف
Closure	إغلاق (الجشتالت)
Coefficient of correlation	معامل الارتباط
of reliability	معامل الثبات
of validity	معامل الصدق
Concomitant	مصاحب ، ملازم
Conditioning	الإشراط
Contention	مبدأ
Contiguity	تجاور
Contrast	تباين
Conventions	اتفاقيات ، اصطلاحات ، أعراف
Counter proof	دليل عكسى
Cross section	مستعرض
Culture Fair Intelligence Test	اختبارالذكاء المتحررمن الثقافة

D

Delinquency	الجنوح
Delinquent	الجانح

Derivatives	مشتقات
Dichotomous questions	أسئلة ثنائية الإجابة
Differentiation	تفاضل ، تمايز
Displacement	إزاحة
Dissociation	فك ، تفكك
Dizygotic Twins	التوائم غير الصنوية

E

Egocentricity	تمركز حول الذات
Electroencephalograph (EGG)	جهاز تخطيط المخ كهربيًا
Elusive	مراوغ
Equivalent	مكافئ
Essence	ماهية
Ethology	علم سلوك الحيوان
Evaluated Participation	مشاركة محسوبة
Experience	خبرة
Experiment	تجربة
Experimental psychology	علم النفس التجريبى
Extinction	إطفاء

F

Fatigue	إجهاد
Factor Analysis	تحليل عاملى
Factorial Techniques	طرائق عاملية
Faculty	ملكة
Field theory	نظرية المجال
Fixation	جمود ، تثبيت

Foresight	تبصر
Frame of Reference	إطار مرجعى
Frustration	إحباط

G

Genetic	نشوئى ، تكوينى
Genetics	علم الوراثة
Gestalt	جشتالت) ، صيغة
Growth	نمو
Gradients	درجات الميل (عند سبنس)

H

Hormic psychology	علم النفس النزوعى
Hypnotism	التنويم المغناطيسى

I

Identical	متطابق
Identical Twins	توائم صنوية
Identification	توحد
Idiosyncrasy	حصوية
Imagery	تصور
Impression	انطباع
Inborn	فطرى
Incentive	باعث
Inclination	نزوع
Inclusion	تضمين
Individuality	فردية

Individuation	إفراد
Inhibition	الكبت - المنع
Insight	استبصار
Integration	تكامل
Intelligence quotient (IQ)	نسبة الذكاء
Intentional	عمدى
Interactionism	التفاعلية ، مذهب التفاعل
Internalization	استدماج
Introjection	استماج
Introspection	استبطان

J

K

L

Law of Effect	قانون الأثر
Learning , Discrimination	تعلم تمييزى ، انتقائى

M

Maladjustment	سوء توافق
Maturation	النضج
Maze	متاهة
Metaphore	مجاز
Modulation Theory	نظرية التضمين
Monozygotic Twins	توائم صنوية

Motivation	الدافعية
Motive	دافع
Multivariate	متغيرات متعددة

N

Neurology	طب الأعصاب
Neurosis	عُصاب
Nominalistic view	رؤية اسمية
Norms	معايير

O

Obsession	وسواس
Ontogenetic History	التاريخ الوراثى
Operationalism	الإجرائية ، المذهب الإجرائى
Orthopsychiatry	طب الأمراض العقلية

P

Path Analysis	تحليل المسار
Path Coefficient	معامل المسار
Perception	الإدراك الحسى
Perversion	انحراف
Predictive Power	قدرة تنبؤية
Projection	إسقاط
Propositions	افتراضات ، قضايا
Proportional correlation matrix	المصفوفة الارتباطية المتناسبة
Prospect	مشهد
Psychical research	الأبحاث الوسيطة

Psychometry	القياس النفسى
Psychotherapy	العلاج النفسى

Q

Questionnaire	استخبار
Quota Sample	عينة حصصيّة
Quotient	النسبة
Quotient , Intelligence (I.Q.)	نسبة الذكاء

R

Rating	تقدير
Recurrent	معاود
Regression Analysis	تحليل ارتدادى
Rehabilitation	تأهيل
Reliability	الثبات
Replicability	القابلية للتكرار
Response	استجابة

S

Scale	مقياس
Shifting Balance	توازن متبدّل
Specifications	مواصفات
Standardization	تقنين
Statistical Reasoning	استدلال إحصائى
Stereotype	نمطية ، نمط مثالى
Stimulus	منبه ، مثير
Stress	إجهاد

Subnormality	تخلف

T

Tendency	ميل / نزعة
Tenet	معتقد
Tension	توتر
Testability	القابلية للاختبار
Traits	ملامح ، سمات
Transposition	إحلال (تغيير المواقع عند سبنس)

U

Unconditioned	غير مشروط

V

Validity	الصدق
Variance	تباين
Verbal Attitude Scale	المقياس اللفظى للاتجاهات
Verification.	تحقق
Voluntary	إرادى
Voter	مصوت (فى الانتخابات) -عند جالوب

المترجمون فى سطور :

١ - أحمد أبو زيد (مراجع) :

- أستاذ الأنثروبولوجيا المتفرغ - كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

تلقى تعليمه بجامعة الإسكندرية (ليسانس فلسفة واجتماع ١٩٤٤) ثم بجامعة أكسفورد B.Lit (1953), D. Phil (1956) فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

- حصل على جائزة النيل فى العلوم الاجتماعية لسنة ٢٠١١
- أنشأ قسم الأنثرولوجيا بكلية الآداب جامعة الإسكندرية عام ١٩٧٤ .
- خبرات بحثية ميدانية واسعة ومتنوعة فى صحارى مصر (الصحراء الغربية - شمال وجنوب سيناء - الواحات الخارجة - الواحة البحرية) وصحارى شمال إفريقيا والشرق الأوسط بتكليف من مكتب العمل الدولى بجنيف (ليبيا - الجزائر - المغرب - الأردن - العراق - سوريا - المملكة العربية السعودية - إيران).
- دراسات ميدانية فى إفريقيا جنوب الصحراء (جنوب السودان - يوغندا - تنزانيا - نيجيريا - سيراليون).

أهم أعماله :

- البناء الاجتماعى جزآن (المفهومات - الأنساق).
- المدخل إلى البنائية.
- الإنسان والثقافة والمجتمع - جزآن.
- المجتمعات الصحراوية فى مصر - شمال سيناء.
- الاهتمام حاليًا بالدراسات المستقبلية - كتاب (المعرفة وصناعة المستقبل) - كتاب (مستقبليات ٢٠١٠) .

٢- أحمد محمد عبد الخالق :

- أستاذ ورئيس قسم علم النفس بكلية العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت.

كان أستاذًا ورئيسًا لقسم علم النفس بجامعة الإسكندرية .

حصل على درجاته الجامعية الثلاث (الليسانس والماجستير والدكتوراه) من كلية الآداب - جامعة الإسكندرية .

كما حصل على دبلومة فى علم النفس التطبيقى من جامعة القاهرة عام ١٩٦٧ .

له اهتمامات واسعة بعلم النفس والشخصية ، وسيكولوجيا الشخصية والصحة النفسية ، وسيكولوجيا التعلم وبناء الشخصية ، ومناهج البحث .

عضو الرابطة المصرية للدراسات النفسية ، وعضو الرابطة النفسية الأمريكية A.P.A. وأكاديمية نيويورك للعلوم والرابطة الأمريكية لتقدم العلوم ، له عدد كبير من المؤلفات والمقالات معظمها باللغة الإنجليزية .

كتب مترجمة :

- الأنثروبولوجيا الاجتماعية - تأليف إ.إ. إيفانز بريتشارد.

- ما وراء التاريخ - تأليف ويليام هاولز.

- الغصن الذهبى - سير جيمس فريزر (بالمشاركة) مع الإشراف والمراجعة والتقديم.

٣ - سلوى العامرى :

- أستاذ علم النفس الاجتماعى بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، عملت منذ تخرجها عام ١٩٦٢، بالمركز وتدرجت فى وظائفه الأكاديمية. اهتمامها البحثى الأساسى فى مجال الرأى العام ودراسات المجتمع المدنى.

- أشرفت وشاركت فى إجراء العديد من استطلاعات الرأى، أحدثها استطلاع رأى الجمهور فى النظام الحزبى المصرى (٢٠٠٨) ، واستطلاع رأى النخبة فى قضية نقل وزراعة الأعضاء البشرية (٢٠٠٩) ، واستطلاع رأى النخبة فى المواطنة والتطور الديمقراطى فى مصر (٢٠٠٩).

٤ - فاروق أحمد مصطفى :

- أستاذ الأنثروبولوجيا بكلية الآداب جامعة الإسكندرية حاصل على دكتوراه فى الأنثروبولوچيا بمرتبة الشرف الأولى ١٩٧٨ . أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه فى الأنثروبولوچيا. قام ببحوث قومية فى شمال سيناء، وجنوب سيناء، وبحوث حدودية فى حلايب وشلاتين وأبى رماد.

- أستاذ زائر لجامعة يوتا الأمريكية ١٩٨٠ - ١٩٨١، حضر العديد من المؤتمرات المحلية والدولية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى الهند، وفى بريطانيا وقدم بحوثًا باللغة الإنجليزية.

- يعد أحد المحكمين الدوليين فى رسائل الدكتوراه فى الجامعات الهندية.

- أصدر مجموعة من الكتب عن الدراسات والبحوث الأنثروبولوچية. كما قام بترجمة بحوث عن الثقافة والشخصية.

- عضو لجنة الدراسات الاجتماعية بالمجلس الأعلى للثقافة.

٥- مايسة أحمد النيال :

- أستاذة ورئيسة قسم علم النفس بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية.

معارة حاليًا عميدة لكلية الآداب - جامعة بيروت العربية .

حصلت على درجاتها الجامعية الثلاث فى علم النفس من جامعة الإسكندرية .

قامت بأعمال رئيس قسم الصحة النفسية بجامعة قطر عام ١٩٦٩-١٩٩٧ .

لها اهتمامات واسعة بالنمو النفسى ، والصحة النفسية ، وعلم النفس الاجتماعى ، وسيكولوجيا الفئات الخاصة .

عضـو الجمعية النفسية المصرية ، وعضو الجمعية الأمريكية للإخصائيين النفسيين .A.P.A

حضرت العديد من المؤتمرات العلمية فى مصر والخارج .

لها العديد من المؤلفات والمقالات فى مجالات اهتمامها باللغتين العربية والإنجليزية .

٦ – سعيد فرح :

- أستاذ علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة طنطا.
- حصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة الإسكندرية.
- له بحوث منشورة فى عدد من المجلات العلمية المعروفة.
- له اهتمامات بدراسات الطفولة والشخصية القومية والفقر الحضرى.
- شارك فى الكثير من التراجم من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية.

٧ – ناهد صالح :

- أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية. ولدت بالقاهرة فى عام ١٩٣٦ ، وحصلت على جميع شهاداتها العلمية من جامعة القاهرة – ليسانس علم الاجتماع، وماجستير علم الاجتماع من كلية الآداب، ودبلوم الإحصاء من معهد البحوث والدراسات الإحصائية، ودكتوراه فى علم الاجتماع من كلية الآداب بجامعة القاهرة.
- منذ تخرجها فى كلية الآداب قسم علم الاجتماع عام ١٩٥٧ ، عملت باحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، الذى تولت إدارته فى الفترة من يونيه ١٩٨٤ إلى أغسطس ١٩٩٦ .

- امتد تخصصها العلمى فى مناهج البحث إلى مجال قياسات الرأى العام، وأخلاقيات البحث العلمى الاجتماعى ، ولها العديد من البحوث والدراسات العلمية فى هذه المجالات الثلاثة. من أحدث المؤلفات التى صدرت لها مجلدات عن البحث الاجتماعى : فى قضاياه ومناهجه (عام ٢٠٠٩) ، واستطلاع للرأى عن هموم واهتمامات المواطن المصرى (عام ٢٠٠٨)، والتاريخ الاجتماعى للمركز القومى للبحوث الاجتماعية (عام ٢٠٠٦).

- واستمرارا لاهتمامها العلمى بموضوع المؤشرات الاجتماعية ، الذى بدأ منذ ثمانينيات القرن العشرين، تشرف حاليًا مع الأستاذة الدكتورة هدى مجاهد على مشروع علمى ضخم بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية لوضع تقرير اجتماعى مصرى ، صدرت لهما دراسة نظرية عنه بعنوان : التقرير الاجتماعى المصرى : نظرة للماضى ، رصد للحضارة ، رؤية للمستقبل .

٨ - هدى محمد مجاهد :

- حصلت على ليسانس الآداب (علم الاجتماع) كلية الآداب قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة عين شمس عام ١٩٥٦، ودبلوم معهد العلوم الاجتماعية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية عام ١٩٦١، ثم درجة الدكتوراه فى الآداب (علم الاجتماع) كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٧٢ فى مجال سوسيولوجيا التماسك الأسرى .

- تعد من رواد البحث العلمى فى مصر ، إذ التحقت منذ التخرج عام ١٩٥٦ بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، وتدرجت فى وظائفه الأكاديمية (باحث مساعد - أستاذ غير متفرغ)، أثرت خلالها العمل العلمى طوال مسيرة امتدت لأكثر من خمسين عامًا. شغلت مناصب علمية وإدارية بالمركز ، ومناصب أخرى فى برنامج التنمية بالأمم المتحدة UNDP (لفترات محددة) ، وقامت بالتدريس فى بعض الجامعات المصرية والعربية.

- أشرفت على كثير من المشروعات البحثية فى المركز فى مجالات متعددة : الريف ، والسياسات والبرامج الاجتماعية والأسرة ، ونشرت عدة مقالات وأوراق علمية، وشاركت فى العديد من المؤتمرات العلنية المحلية والدولية. عضو لجنة الدراسات الاجتماعية بالمجلس الأعلى للثقافة.

تشارك حاليًا فى مشروع علمى بحثى مهم فى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، هو "التقرير الاجتماعى المصرى".

التصحيح اللغوي : محمد الشربيني
الإشراف الفني : حسن كامل